أخي القارئ

تمَّ تنضيد الكتب على عجل

وأيّ خطأ مطبعي

هو نتيجة الإسراع

في تنزيل هذه الكتب على النت

نزولاً عند رغبة الإخوة القرّاء

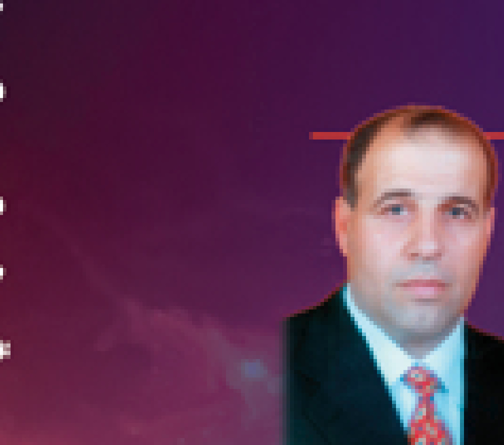
ونتيجة عدم مراجعتها

لذلك نعتذر

إن وُجدت بعض الأخطاء المطبعية

ونعد بتصحيحها لاحقاًبإذن الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي



.. عفواً أيّها السادة ..

.. هذا الكتاب ..

.. للباحثين عن الحقيقة..

.. أولي الألباب في كلّ جيل ..

المهندس عدنان الرفاعي

كاتب ومفكّر إسلامي

مواليد : سورية - درعا - تل شهاب .. عام : ١٩٦١ م ..

من المؤلّفات:

"النظريّة الأولى (المعجزة)

"النظريّة الثانية (القدَر)

"النظريّة الثالثة (الحق المطلق)

"النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة)

"النظريّة الخامسة (إحدى الكُبَر)

"النظريّة السادسة (سلّم الخلاص)

"المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء)

"محطات في سبيل الحكمة

"الحق الذي لا يريدون

"قصّة الوجود

"نقد نقد النظريّة الإعجازيّة في القرآن الكريم

المهندس عدنان الرفاعي

الحق الذي لا يريدون

الحَقّ الذي لايُريدون

دراسة في روايات الأحاديث على ضوء القرآن الكريم

اقرأ

المهندس عدنـــان الرفـــاعي

مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

كلمة لا بُدَّ منها

أخي القارئ :

.. العلم ـــ كما يصفه القرآنُ الكريم ـــ هو الوقوف على حقائق الأمور ، وقوفاً يؤدّي إلى خشية الله تعالى ، الذي يقف وراء تلك الحقائق .. فالعلماء هم فقط الذين أدركوا خشيةَ الله تعالى ، وبالتالي فالذين لا يخشون الله تعالى ليسوا علماء ولو أحاطوا بقوانين الكون المادِّية ، لأنهم لم يتجاوزوا الظاهر إلى ما ورائه .. هذا هو حكم القرآن الكريم وقولُه في هذه المسألة ..

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ ﴾ [فاطر : ٢٨]

.. ولا يمكن الفصل بين العلم والتعقُّل ، فلا يعقل آياتِ الله تعالى وأمثالَه وأحكامَه إلاّ العالمون ..

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَـٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣]

.. فالتعقُّل هو الحصن الذي يقي الإنسانَ من تضليلِ الشيطان ، ومن الانحراف عن صراط الله تعالى المستقيم ..

﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَـٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٠ ـــ ٦٢]

والعقل الذي نعنيه ، ليس هوى النفس كما يتخيَّل الجاهلون ، وليس القفز فوق منهج الله تعالى كما يفتري المفترون ، إنّما هو الإدراكُ السليم لكتاب الله تعالى ، ولروايات السنة الحق لرسوله ﷺ ، إدراكاً بعيداً عن تعصّب النفس لأهوائها ..

إنّنا نقول للذين يقولون بأنّ النقل فوق العقل ، وبأن العقل يؤدي إلى الضلال .. نقول لهم : إنّ ما تلفظون اسمه بألسنتكم وتحسبونه العقل ، هو الهوى وليس التَّعقُّل الذي يأمر الله تعالى به .. ونقول لهم : لو أتينا بنصٍّ قرآنيّ ، أو بنصٍّ من الحديث ، وتلوناه على دجاجة ، أو أرنب ، أو حصان ، هل من الممكن أن يدرك شيئاً ممّا يحمله هذا النص ؟ .. بالطبع لا ، والسبب يعلمه كلُّ عاقل ، وهو أنّ هذه الكائنات لا تعقل ..

من هنا نقول إنّ العقل ـــ بالنسبة لإدراكنا ـــ هو الزوج الآخر للنقل (نعني بالنقل القرآن الكريم ، والصحيح المفسِّر لكلِّيات النصّ القرآني من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله) ، فدونه لا يمكن إدراك دلالات النقل ..

.. فالعقل رسولٌ من الداخل ، والرسول عقلٌ من الخارج .. لأنّ العقل هو الضوء الذي نرى من خلاله دلائل النقل ، والنقل هو الذي يمنع هوى النفس من إبعاد العقل عن مُراد النقل ..

.. فإذْنُ الله تعالى بوصول النفس إلى طهارة الإيمان ، وبالتالي بابتعادها عن الرجس ، يكون نتيجة التَّعقُّل الذي يميّز الإنسان عن غيره من المخلوقات ..

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠٠]

وهكذا .. فالمقولة السائدة بين بعضهم بتقديم النقل على العقل ، أو بتقديم العقل على النقل ، في منهج الله تعالى ، هما مقولتان لم يُدركْ أصحابهما حقيقةَ النقل ، ولا حقيقةَ العقل ..

.. ونحن لا نُقدِّم العقل على النقل ، كما سيفتري بعضهم علينا ، فمعاذ الله أن يكون عقلنا بدرجة كتاب الله تعالى .. ولكنْ .. ما نريد قوله أنه لا ندرك من دلالاتِ كتاب الله تعالى إلاّ حسب درجة تعقّلنا لآياته الكريمة ..

وفي بحثنا هذا سننظر إلى روايات الأحاديث في الصحاح ، وإلى روايات التاريخ الإسلامي ، من منظار القرآن الكريم (النقل الذي تعهَّد الله تعالى بحفظه) ، ومن منظار العقل ، وفق منهجٍ علميٍّ سليم ، معتبرين جميع البشر تحت كتاب الله تعالى .. لأنَّ وضعَ أعمالِ البشر (سواء الصحابة ، أم أهل البيت ، أم غيرهم) المجرَّدة عن الأدلَّة من كتاب الله تعالى ، وعمّا ثبت يقيناً أنه من سنّة رسول الله ﷺ ، بمرتبة أحكام كتاب الله تعالى ، هو وجه من أوجه الشّرك بالله تعالى ..

.. ومن يفهم من كلامنا هذا ، أننا نسيء لبعض البشر ـــ مهما كانوا ـــ وأننا ـــ بهذا ـــ لم نعطهم حقّهم ، ففهمه هذا دليلنا على أنهم ـــ عنده ـــ أكثر قدسية من منهج الله تعالى ، وبالتالي من الله تعالى ..

إننا في بحثنا هذا نحاول رسم الخط الفاصل بين التاريخ وبين المنهج ، وهذا يحتّم علينا أن ننظر إلى روايات الأحاديث وإلى التاريخ من منظار المنهج .. وألاّ ننظر ـــ كما يفعل بعضهم ـــ إلى منهج الله تعالى من منظار التاريخ .. فما يهمّنا من الرواية ، أو من الشخصية ، هو المنهج ، لخدمة المنهج ، في سبيل منزّل هذا المنهج سبحانه وتعالى ..

.. فما نعنيه هو أنَّ منهجَ الله تعالى ، يجب ألا نجعله تحت التاريخ ، وتحت عمائم الرجال .. بل علينا وضعه فوق التاريخ وفوق الرجال مهما كان هؤلاء الرجال ..

ومن يتخيّل أنّ هذا البحث يؤدّي إلى الشك في سنّة رسول الله ﷺ ، فتخيله هذا دليلنا على أنه هو الذي يشكّ بجوهر سنّة رسول الله ﷺ ، فيحسبها ضعيفة لدرجة تنهار فيها أمام تعقُّل روايات الأحاديث التي وصلتنا عن رسول الله ﷺ ، حتى من منظار القرآن الكريم ، ويحسبها عاطفة هوجاء عدوّها الأول العقل والمنطق ، وأنّ قدسيّتها تكمن بإغماض العينين عن نور البراهين والأدلّة ، حتى وإن كانت ـــ هذه الأدلة ـــ تنبع من القرآن الكريم ..

فنحن في بحثنا هذا ـــ كما سيرى أولو الألباب ـــ وضعنا روايات الحديث في ميزان القرآن الكريم والعقل المؤطّرة حدوده بالقرآن الكريم ، أي اعتبرنا سنّة رسول الله ﷺ نوراً يُفصِّل كلِّياتِ كتابِ اللهِ تعالى ، وفوق التاريخِ ورجاله .. ولذلك نقول لمن يتخيَّل أنَّ هذا البحث يُؤدّي إلى الشكَ في سنّة رسول الله ﷺ ، إنّك تحسب سنّة رسول الله ﷺ ظلمات

تتلاشى أمام البراهين والأدلّة التي يحملها كتاب الله تعالى ، والتي ندركها بالعقل المجرَّد عن أيّ تعصُّب مذهبي تاريخي ..

.. وأخيراً نقول لأولي الألباب ، الذين يقدِّسون السنّة الحق لرسول الله ﷺ ، عن علم وتعقُّل ، إنَّكم ستبحرون معنا في هذا البحث ــ بجرأة الحق وقوّة الإيمان ــ في بحر روايات الأحاديث ، نحو شواطئ سنّة رسول الله ﷺ ، وسترون بأُمِّ أعينكم أنَّ هذا الإبحار هو ضرورة ، وخدمة للسنّة الحق لرسول الله ﷺ ، قبل فوات الأوان ، أي قبل أن تُغرِقَ العواطفُ الهوجاءُ الحقيقةَ نتيجة فرض الروايات المختلفة ــ بل المتناقضة أحياناً كما سنرى ــ على سنّة رسول الله ﷺ .. وبالتالي سترون أن إبحارنا في هذا البحث هو قمة الخدمة ــ كفكر وعقيدة ــ لسنّة رسول الله ﷺ ، التي أرادها الله تعالى تفصيلاً وتفسيراً لكلّيات كتابه الكريم ..

ملاحظة :

الأَحاديث الواردة في هذا الكتاب مسحوبة مباشرة من موسوعة الحديث الشريف من الحاسوب (الكمبيوتر) ، وأرقام الأحاديث هي حسب ترقيم العالمية ..

المقدمة

.. أكثرُ الناس ليسوا مؤمنين– إيماناً خالصاً – بمنهج الله تعالى ، وفــق الحيثيّــة الــتي يريدها اللهُ تعالى ..

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٣]

.. وحتى لو آمن هؤلاء بهذا المنهج للوث إيمانَ أكثرهم الشركُ الخفي ، وذلك بجعــل بعض البشر جزءاً من المنهج المجرَّد الذي أنزله الله تعالى ..

﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦]

.. هذه هي قصّة البشرية مع منهج الله تعالى ... رويداً رويداً تتصاعد ـــ مع الزمن ـــ وتيرة التقديس لبعض البشر على حساب قدسيّة منهج الحقّ الذي أنزله الله تعالى ، حـــتى تُصبح الأعمال التي قام بها هؤلاء البشر ـــ أو التي لُبِّسَت عليهم ـــ داخل إطار المقدَّس من هذا المنهج ، بل حجَّةً على هذا المنهج .. فأكثر الناس ـــ في هذه القصة ـــ يكرهون الحقَّ الذي أنزله الله تعالى مجرَّداً عن الكهنوت بمختلف أشكاله وألوانه ..

﴿ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [الزُّخرف : ٧٨]

.. وبما أنَّ للكهنوت أشكالاً مختلفة وألواناً متمايزة ، بل ومتناقضة أحيانــاً ، وذلــك حسب اختلاف تصوّرات البشر ، فمن الطبيعي أن تتمَّ تجزئة صراط الأمّة وسبيل منـــهج الحقّ الذي أنزله الله تعالى ، إلى سبلٍ مختلفة ومتناقضة أحياناً .. وبما أنَّ هذه الـــسبل مـــن صناعة البشر ووليدة أهوائهم وتصوّراتهم ، فمن الطبيعي أن يكون كـــلُّ حـــزبٍ فرحـــاً بالسبيل الذي اختاره لنفسه حسب أهوائه ، وتقوقع ضمن حدوده ..

.. وبما أنَّ كلَّ حزبٍ فرحٌ بالسبيل الذي اجتزأه من منهج الله تعالى وأطَّره بنفسه ، فمن الطبيعي أن يكره ــ أو على الأقل لا يحبّ ــ الأحزاب الأخرى المجتزأة عن هذا المنهج ، والمؤطَّرة ــ هي الأخرى ــ وفق سبلٍ اختارها بشرٌ آخرون لهم تصوُّراتهم وأهواؤهم الخاصَّة بهم .. وبالنتيجة تجزئة الأمَّة إلى سبل متناقضة متصارعة ، كلٌّ حزبٍ يدَّعي امتلاكه للحقيقة الكاملة ، محاولاً صبغ الآخرين بلونه المذهبي والطائفي الذي صبغ نفسَه به .. وبالنتيجة تفرقة الدين الواحد إلى شيع وطوائف ، والخروج من صراط الأمَّة الواحد باتِّجاه الظلمات ، كلٌّ يعمه في سبيله ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٩]

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٢ ــ ٥٤]

.. فتجزئةُ الدين بألوانٍ طائفيّةٍ ومذهبيّةٍ تجعلُ من بعضِ جوانب التاريخ صنماً يُكَفَّرُ كُلُّ من لا يؤمن به ، هو عينُ الشركِ بالله تعالى ..

﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣١ – ٣٢]

وقد أمر الله تعالى باتِّباع سبيله الذي أنزله منهجاً للأمَّة كافَّة دون استثناء ، ووصَّى بذلك وربطه بالتقوى ، وحذَّر من اتِّباع السبل التي يتفرَّق بها الناس عن سبيله ..

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

وفي هذا البحث سنحاول ــ إن شاء الله تعالى ــ التَّحرِّي المجرَّد للحقِّ في روايات الحديث التي بين أيدينا ، وعلى الأخصِّ صحيحي البخاري ومسلم ، وسنحاول رسم

سكَّة السُّنَّة الشريفة كتشريعٍ مستمرٍّ للأمَّة على أرضيَّة هذه الروايات ... وكلّ ذلك من منظارٍ مجرَّدٍ عن أيِّ عصبيَّة مذهبيَّة أو طائفيَّة .. فسنحاول ـــ إن شاء الله تعالى ـــ أن يكونَ هذا البحث بحثاً للأمَّة بكاملها على مختلف طوائفها ومذاهبها ، هدفه جمع فكر الأمَّة على هدى صراط الحق الذي تُجْمِع عليه الأمَّة وهو القرآن الكريم ..

وسنحاول إن شاء الله تعالى أن نرسم ـــ على قدر ما نستطيع ـــ الخط الفاصل بين الإسلام الذي يريده الله تعالى منهجاً للأمَّة كافَّة ، بل للبشرية جمعاء ، والذي يكون فيه القرآن الكريم صراط هذه الأمَّة ونور أحكامها ، وبين الإسلام الذي يريده بعض البشر والذي يكون فيه القرآن الكريم مجرَّد رواية من جملة الروايات ..

.. لو عدنا إلى التاريخ الإسلامي ـــ على مختلف مشاربه ـــ وقرأناه قراءة واعية مجرَّدة عمَّا نحمله من تعصُّب للأشخاص والمذاهب والطوائف ، لرأينا أنَّ هذه الأمّة بمختلف طوائفها ومذاهبها وفقهائها وعلمائها وأفرادها ، تتهادى بين إسلامين :

١ـــ إسلام يريده الله تعالى ويأمر به ، يحمله القرآن الكريم وبعض الروايات الصحيحة التي تنقل لنا أعمال الرسول ﷺ التي قام بها كتفسير وتفصيل وتبيان لكلِّيات النَّصّ القرآني الخاصّ بهذه الأعمال بعد نزوله ، بعيداً عن الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ موافقة لأهل الكتاب ، ومجاراة لأعراف اجتماعيَّة كانت سائدة آنذاك ـــ كما سنرى في هذا البحث ـــ وذلك قبل نزول النَّصّ القرآني الخاصِّ بهذه الأعمال ..

٢ـــ إسلام يريده بعض البشر ، تحمله التصوّرات العصبيَّة المذهبيَّة الطائفيَّة لفهم بعض دلالات النَّصّ القرآني ، وبعض الروايات التي منها ما هو موضوع على رسول الله ﷺ ـــ على الرغم من وجود بعضها في كتب الصِّحاح كما سنرى ـــ ومنها ما عمله الرسول ﷺ ، ولكنْ قبل نزول النَّصّ القرآني الخاصِّ بهذه الأعمال ، حيث عمل ذلك رسولُ الله ﷺ إمّا موافقة لأهل الكتاب ، وإمّا مجاراة لأحكامٍ اجتماعيَّة كانت سائدة آنذاك ..

وجميع الحروب الخارجيَّة التي قام بها المسلمون لنشر دين الله تعالى ، أو قام بها الأعداء ضدّ هذه الأمَّة ، كانت تقوِّي ـــ في نفوس المسلمين ـــ الإسلام الذي يريده الله تعالى على حساب الإسلام الذي يريده بعضُ البشر ..

وجميع الحروب الداخليَّة بين أفراد هذه الأمَّة وعلمائها ومذاهبها وطوائفها ، كانت تقوِّي ـــ في نفوس المسلمين ـــ الإسلام الذي يريده بعضُ البشر على حساب الإسلام الذي يريده الله تعالى ، لأنَّها في النهاية تكرِّس تمزُّق هذه الأمَّة فكراً وعقيدةً ومذهباً ..

وإذا كُنّا من أنصار الإسلام الذي يريده الله تعالى ، علينا أثناء بحثنا في الروايات التي بين أيدينا لمختلف طوائف الأمَّة ومذاهبها ، أن ننظر إليها جميعاً من منظار القرآن الكريم الذي تعهَّد الله تعالى بحفظه ، وألاّ نعطي العصمة لأحدٍ غير رسول الله ﷺ وذلك في تبليغ المنهج وتطبيق أحكامه ، وألاّ ننسى حقيقة واضحة وضوح الشمس أنَّ هؤلاء البشر ـــ غير رسول الله ﷺ ـــ أثناء نقلهم لأعمال الرسول ﷺ ، وفهمهم لبعض الدلالات التي يحملها المنهج ، قد يخطئون ... ومن يستغرب ذلك ما عليه إلاّ قراءة التاريخ قراءة مجرَّدة منذ وفاة الرسول ﷺ حتى الآن ، وقراءة الروايات ـــ حتى في كتب الصِّحاح ـــ قراءة مجرَّدة عن التوليفات والتخريجات التي أُضيفت فيما بعد على دلالات هذه الروايات .. أي علينا ألاّ نجعل أحداً حجَّةً على كتاب الله تعالى ومنهجه .. ونرجو الله تعالى أن نكون في هذا البحث من متَّبعي هذا المنهج ..

.. إنَّ الصحابة ليسوا ملائكة كما يُريدُ أن يقولَ بعضُهُم ، وليس معظمهم من الشياطين كما يريدُ أن يقولَ بعضُهُم الآخر .. فهم بشر ، وتجريدهم عن بشريَّتهم باتِّجاه الملائكة أو باتِّجاه الشيطان ، هو عمل غير موضوعي ، مصبوغ بصبغة العصبيّات الطائفيَّة والمذهبيَّة .. ففي الوقت الذي نقف فيه إجلالاً واحتراماً لعظيم الأعمال التي قاموا بها من أجل نشر دين الله تعالى في مشارق الأرض ومغاربها في فترة وجيزة جدّاً ، لا يمكننا إغماض أعيننا ـــ من زاوية الفكر وتمثُّل المنهج ـــ عن الصراعات والفتن والحروب الداخلية التي قام بها الكثير منهم ، منذ وفاة الرسول ﷺ ..

وإنَّ أعمال الظلم التي وقعت على معظم أهل البيت ، وتعاطفنا معهم ، يجب — إن كُنّا موضوعيين باحثين عن الإسلام الذي يريده الله تعالى — ألاّ تجعل منهم مطلق الأسوة الحسنة التي لا يُؤخذ التشريع إلاّ منها بعد وفاة الرسول ﷺ ... إنَّ الأسوة الحسنة الوحيدة التي حدَّدها الله تعالى في كتابه الكريم هي فقط الرسول ﷺ ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ غيره — مهما كان — من الممكن أن يخطئ وينسى في اجتهاده وتبليغه لبعض حيثيات الرسالة ..

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١]

ولو نظرنا نظرةً موضوعيَّةً إلى التاريخ والروايات التي بين أيدينا ، من منظار منهج الله تعالى المجرَّد عن أيّ عصبيَّة طائفيَّة أو مذهبيَّة ، فسنرى من خلالها أنَّ كلَّ الطوائف والمذاهب ـــ إذا جُرِّدت عن كونها رؤىً بريئة مختلفة لجوانب المنهج ـــ هي تاريخ لا علاقة له بروح المنهج ، وهي محاولات لجعل التاريخ منهجاً بديلاً عن المنهج ..

وإذا كُنّا من الباحثين عن الإسلام الذي يريده الله تعالى لا الذي يريده بعض البشر ، علينا أن نميِّز بين حرفيَّة الصياغة اللغوية للروايات التي تملكها كل طائفة وكلّ مذهب ، وبين الإضافات التفسيريَّة والتأويلات التي فُرضت لاحقاً على نصوص هذه الروايات ، لمحاولة إزالة الاختلاف ـــ والتناقض ـــ بين الكثير منها ، ولمحاولة توليفها باتِّجاه أهواء مُسبقة الصنع .. فعلينا أن نأخذ الرواية كما هي بحرفيّتها وتجرُّدها عن التوليفات اللاحقة التي فرضتها العصبيّات المذهبيَّة والطائفيَّة .. وإن شاء الله تعالى أنَّنا في هذا البحث من متّبعي هذا المنهج ..

.. أنا أعلم تماماً أنَّني سأتّهم ـــ من قِبَلِ الذين يريدون الدين كهنوتاً يرسمون أطره كما تهوى أنفسهم ـــ بالخروج عن الحق ، وربما بالكفر ، نتيجة هذا البحث .. وعلمي المسبق باتهامهم هذا ، تحصّل معي نتيجة تفاعل هؤلاء مع الأبحاث التي هداني الله تعالى إليها ، فقد كُنّا نصطدم دائماً مع هؤلاء في أيّ بحث يخرج عمّا يقوله مشايخهم ، وعمّا يُنقلُ عن مذاهبهم ، عقيدة كان أم فقهاً ، وبحيث لا تُجدي معهم الحجَّة والبرهان حتى من كتاب الله تعالى .. فالحقيقة لا علاقة لها ـــ عندهم ـــ بتقديم البرهان الذي يأمر الله تعالى الإتيان به : **﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾** [البقرة : ١١١] ، إنَّما تتمثَّل هذه الحقيقة ـــ حسب اعتقادهم ـــ بمشايخهم ومذاهبهم ..

.. إنَّني أوجِّه ندائي ورجائي لمن يعتبر هؤلاء أسوته الحسنة ، بأن لا يَقْفُ ما ليس له به علم ، وأن يقرأ ويتجرَّد ويجعل من الحق ومنهج الحق ، ومن العقل المجرَّد عن العصبيّات ، نوراً فوق ظلمات عصبيّات الأشخاص والمذاهب والطوائف ، لأنَّه سيُسأل يوم القيامة عن سمعه وبصره وفؤاده أمامَ الله تعالى ..

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

وقد جهدتُ في هذا البحث أن أعرض الكثير من الأحاديث ، وأن يكون معظمها من صحيحي البخاري ومسلم ، وذلك زيادة في الحجَّة والبرهان ، كونهما من أعلى درجات الثقة .. ولو أردت عرض الكثير من أحاديث كتب السُّنن الأخرى ، لعرضت أضعاف ما عُرض في البرهان على عناصر هذا البحث ، ولكنّني اكتفيت بعرض بعض الأحاديث من كتب السنن الأخرى مناسبةً وتوضيحاً للأحاديث المعروضة في صحيحي البخاري ومسلم ..

وهدف هذا البحث هو نقيض ما يتصوّره بعضهم .. إنَّ الهدف منه هو محاولة جمع الشتات الفكري لهذه الأمَّة ، وليس تشتيت فكرها ـ كما سيزعم بعضهم ـ لأنَّ الشتات الفكري مسألة واقعة منذ قرونٍ عديدة .. إنَّ الهدف منه هو تحرّي سنّة رسول الله ﷺ التي يريدها اللهُ تعالى ورسولُه ، وليس القفز فوقها ـ كما سيتّهمنا بعضهم ـ فاتّباع سنّة الرسول ﷺ أمرٌ قرآني لا يقفز فوقه إلاّ كلّ كافر بكتاب الله تعالى ..

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النِّساء : ٨٠]

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧]

إنَّ كلَّ العصبيّات التي عصفت بهذه الأمَّة فكراً وعقيدة وفقهاً ، ناتجةٌ عن قيام أئمة هذه العصبيّات بسوق الناس من عواطفهم وليس من عقولهم ، وناتجةٌ عن تقديس الناس للأشخاص أئمة هذه العصبيات تقديساً أعمى على حساب مجرَّد النصّ القرآني جوهر المنهج ، وناتجةٌ عن عدم الاطلاع وعدم المعرفة وعن التسليم للغير بما يقول .. ومن ينظر إلى التاريخ نظرة واعية يرى هذه الحقيقةَ بأمِّ عينه ..

فهذا البحث هو ـ إن شاء الله تعالى ـ محاولة للاستفادة من الأخطاء التاريخيَّة والمذهبيَّة والطائفيَّة ، لدفع كلّ مذاهب الأمَّة وطوائفها وأفرادها باتّجاه سبيل الله تعالى الذي

تفرَّقوا عنه .. وليس محاولة ــ كما سيزعم الجاهلون ــ لتمزيق وحدة المذاهب والطوائف ..

.. علينا أن نعلم أنَّنا نعبد الله تعالى ، وأنَّ تحرِّي الحقّ هو جوهر عبادة الله تعالى ، لأنَّ هذا الحقّ هو اسمٌ من أسماء الله تعالى ..

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحجّ : ٦٢]

علينا أن نعلم أن بحثنا في التاريخ والصحابة وأهل البيت وروايات الأحاديث ، متوقّفٌ على صدق ما وصلنا عبر التاريخ ، ولا يعنينا ــ كفكر وكمنهج ــ الأشخاص ، إنّما الذي يعنينا هو المنهج الذي عاشه هؤلاء الأشخاص ، فنحن نبحث عن الحق كفكر وكعقيدة وكمنهج ، ولا نبحث عن الحق كأشخاص يصدر عنهم المنهج .. ولذلك لا فارق عندنا إذا أخطأ أحد الصحابة أو أهل البيت ونقلت لنا الروايات هذا الخطأ بمنتهى الصدق والأمانة ، أو إذا أصاب أحدهم عين الحقيقة ونقلت لنا الرواياتُ الصورةَ مغلوطة وخاطئة .. ففي كلتا الحالتين نحن ــ كفكر وكمنهج يمثله هؤلاء الأشخاص ــ أمام باطلٍ يُخفي عنّا الحقيقة ..

.. نحن لسنا في محكمة وأمامنا أهل البيت والصحابة والفقهاء ورجال التاريخ ، ونريد أن نحاكمهم شخصيّاً وأن ننفّذ فيهم الحكم .. لو كان هذا هو الواقع لكفرنا بالتاريخ وبرّأناهم جميعاً .. نحن أمام رجالٍ أصبحوا رموزاً للفكر وللمنهج ، لذلك تعنينا أعمالهم ــ التي نقلها التاريخ صدقاً كانتٍ أم دسّاً عليهم ــ لأنّها ترسم صورة تمثُّلهم للمنهج الذي يؤخذ عنهم ..

فعلينا أن نميِّز بين الرجال كحقيقة عاشوها في عصرهم ، وبين هؤلاء الرجال كما يصوّرهم لنا التاريخ والروايات ، حيث نتعامل معهم عبر هذه الصورة المنقولة لنا عبر التاريخ ورواياته .. لذلك لا تعنينا لا من قريب ولا من بعيد الحقيقة الشخصيَّة لهؤلاء الرجال لأنَّنا لا نُسأل يوم القيامة عمّا عملوا ولا يُسألون عمّا نعمل ..

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟

يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٤]

.. لذلك علينا أن ندع عواطفنا المُقَوْلَبة مسبقاً تجاه الأشخاص والأحداث ، وأن ننظر بعين العلم والبحث الموضوعي عبر منظار القرآن الكريم إلى كلّ ما هو بين أيدينا من تاريخ وروايات ، حتى نتفاعل مع المنهج بعقولنا لا بعواطفنا الهوجاء ... فنحن لا نملك إعادة كتابة التاريخ من جديد حتى نصيغه كما تريد عواطفُنا ، ولكنّنا نملك فهم التاريخ بعقولنا ، والاستفادة من الأخطاء التي وقعت فيه ، حتى يكون تاريخنا في المستقبل نظيفاً من أخطاء الماضي .. فمعرفة أخطاء الماضي هي الخطوة الأولى لرسم طريق المستقبل بعيداً عن عثرات هذه الأخطاء ، حتى لا تتكرَّر الأخطاء ذاتها مرّاتٍ عديدة ، فنبقى حتى قيام الساعة ندور في إطارها ..

.. حينما يؤدّي البحث الموضوعي المنطقي إلى اتِّهام رجلٍ من رجال التاريخ (صحابي ــ راوي حديث ــ فقيه ــ عالم ...) نكون أمام احتمالين إيجابيين :

١ــ إذا كان هذا الرجل بريئاً ، فلن يناله شيءٌ من اتِّهامنا ، لأنَّنا لا نتعامل معه كشخصٍ مجرَّدٍ عن التاريخ ، إنما نتعامل معه كما يُصوّره التاريخ ، والاتِّهام يعود إلى شخصيَّته التاريخيَّة لا شخصيَّته الحقيقيَّة ، أي أنَّ الاتِّهام يعود إلى التاريخ الذي شوَّه صورته الحقيقيَّة .. ولو قُدّر له النهوض من قبره لأنكر الصورة التي نقلها عنه التاريخ والتي اتّهمناها ، ولاتّهمها بصورة أبشع من اتّهامنا لها ، ولطلب منّا ألاّ نتعامل مع هذه الشخصيّة التاريخيّة كفكر وكعقيدة وكمنهج ..

٢ــ إذا كان هذا الرجل ليس بريئاً ، وبالتالي فالتاريخ صادقٌ في تصويره لنا ، نكون قد خدمنا الحقيقة والفكر والعقيدة والمنهج ، دون أن نسيء له شخصيّاً ، ولو قُدّر له أن ينهض من قبره لأنكر نفسه ، ولاتّهمها بصورة أبشع من اتّهامنا لها ، لأنّه يرى الحقيقة التي لم نرها بعد ..

وحتى لو ثبتت صحة تصوير التاريخ للشخصية المدروسة تاريخيّاً ، علينا ــ إن كنّا موضوعيين ــ أن ننظر إلى رجلين متمايزين في هذه الشخصيّة ذاتها :

١ــ رجل دولة ، ويتعلَّق بالقدرة القياديَّة لهذه الشخصيَّة ، وبمقدار الحنكة والدهاء وتقدير الأمور الراهنة آنذاك خدمة لهذه الأمَّة ، وذلك في صراعاتها ومعاركها بينها وبين

أعدائها (من الداخل والخارج) .. وهذا الجانب من الشخصيَّة (رجل الدولة) بمقدار ما كان يهمّ الأمَّة في صراعها الوجودي وفي حروبها لنشر دين الله تعالى ، لا يهمّ الأمَّة إطلاقاً كفكر وكتمثّل للعقيدة ، وكمرجع فقهي لكلِّ زمان ومكان ..

٢ـــ رجل فكر ، ويتعلَّق بمقدار قدرة الشخصية على فهم المنهج وإدراكه ، وبمقـــدار درجة تمثُّل الشخصيَّة لروح المنهج ، وبمقدار درجة مساهمة هذه الشخصيَّة في إيصال هذا المنهج إلينا ، وهذا الجانب من الشخصيَّة (رجل الفكر) هو فـــوق الحيثيـــات الزمانيَّـــة التاريخيَّة لواقع الأمَّة في العصر الذي وُجدت فيه هذه الشخصيَّة ، ولذلك فهـــذا الجانـــب يبقى حيّاً في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. وقد نجد في الشخصيَّة الواحدة رجل دولة على درجة عظيمة من الأهميَّة ، دون أن نجد فيها رجل فكر بالدرجة المناسبة ، وقد يكون العكس ، فنجد رجل فكرٍ على درجـــة عظيمة من الأهميَّة ، دون أن نجد في هذه الشخصيَّة رجل دولة كفأً لقيادة الأمَّة في عـــصر هذه الشخصيَّة ، وقد نجد في الشخصيَّة رجل دولة ورجل فكر على درجة كـــبيرة مـــن الأهميَّة ، وقد لا نجد فيها هذين الرجلين إلاّ بدرجة هزيلة لا تتناسب مع ما نحملـــه مـــن تصوّر لهذه الشخصيَّة ..

.. إنَّ التمييز في الشخصيَّة الواحدة بين هذين الرجلين ، يحلُّ الكثير من المشاكل الـــتي تحدث في تصوّراتنا حينما نقرأ التاريخ الإسلامي ، ونرى ما نراه من الحروب الداخليَّة التي ارتبطت بالفتن والمآسي من جهة ، والحروب الخارجيَّة التي ارتبطت بالفتوحات العظيمـــة من جهة أُخرى ..

فإذا كُنّا من طلاّب الحقيقة ، ومن أنصار الإسلام الذي يريده الله تعالى ، علينا أن ندع العواطف الهوجاء ، وأن نبدأ السير في بحر الروايات ، في مركب البرهان والحجَّة المصبوغة بتعقُّل كتاب الله تعالى ، سائرين في ظلاله .. وعلينا أن نضع هدفاً واحداً ، هو الحقّ مـــن أجل الحقّ ، حتى تسير الأمَّة في سبيل الحقّ ..

وأقول للذين سيرجموننا بالتّهم الباطلة التي لا يدركون حتى معانيها ، وسينسبون إلينـــا الخروج عن الحق ، وربما الكفر والزندقة ... إنّكم ضحيَّة العواطف الهوجاء التي صـــبغكم

بها من تحسبوهم أركان المنهج وواضعيه .. وحتى لو تُليت الحقيقة من أفواهكم فلن تلامس عقولكم ، لأنَّ السبل التي أطَّرتم أنفسكم بها أصبحت جداراً يحول بينكم وبين العقل الذي يأمر الله تعالى بتحكيمه .. فالخروج عن الحق والكفر والزندقة هو دفن العقل في ظلمات العواطف المتمذهبة عصبيّاً من أجل تكفير الآخرين ، وإلصاق التُّهم بهم ، فقط لأنَّهم يتجرَّدون من أجل الحق وفي سبيل إظهار هذا الحق ..

.. أخي القارئ .. الإنسانُ يصنعُ التاريخ بفكره وعقله وعمله وسيره في سبيل الحق ، ولا يمكن للتاريخ أن يصنع إنساناً .. فالحيوان ليس له تاريخ ، لأنّه لا يدرك المنهج ، ولا يصنع الفكر ، ولا يتعدّى موروثه الغريزي ..

.. وأخيراً أرجو الأخوة القرّاء ألاّ يحكموا علينا قبل الانتهاء تماماً من قراءة هذا البحث .. وأن يعلموا أنَّ الدافع وراء هذا البحث ــ كما سيرون بعد قراءته ــ هو أنّ عصبيَّتنا لله تعالى ولمنهج الحقّ أكبر منها للأشخاص ، لأنَّ الله تعالى ومنهجه أكبر من الأشخاص ومن عصبيّاتهم المذهبيَّة والطائفيَّة .. وأن يعلموا أنَّ هذا البحث هو ــ كما سيرون بعد الانتهاء من قراءته ــ اتّجاهٌ سليم نحو السنّة الشريفة من أجل تحرّيها واتّباعها على الوجه الذي يريده الله تعالى ورسوله ﷺ ..

وتفضَّلوا الآن إلى برهان هذا البحث ..



الفصل الأول

عرض دون تعقيب

حينما نبدأ ــ تقليداً ــ باليقين ، سنصل ــ فكراً ــ إلى الشك .. وحينما نبـدأ ــ برهاناً ــ بالشك سالكين المنهج العلمي في البحث ، والأمانة في تحرِّي الحقيقة ، سنـصل ــ عقيدةً ــ إلى اليقين .. وما أجمل اليقين الذي نصل إليه بعد شك ، وما أقبح الـشك الذي نصل إليه بعد اليقين .. وما أعمق العقيدة التي تستقرُّ في القلب بعد أن يقرّها العقل ، وما أثبتها .. وما أوهن العقيدة التي تمطرها سحب الهوى والعواطف الهوجاء ..

.. ولذلك .. سنبحر ــ إن شاء الله تعالى ــ في بحر نصوص الحديث الذي وصـلنا ، عبر مركب العقل المجرَّد عن الهوى والتعصُّب ، سائرين على صراط القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مهتدين بنوره ، قاصدين به شاطئ السُّنة الشريفة ..

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢]

.. والنصوص التي نعرضها في هذا الفصل ــ وفي البحث كلِّه ــ هي من أعلى مراتب الثقة في روايات الحديث – حسب معايير الفكر الموروث – كونها مـن صـحيحي البخاري ومسلم ، بالإضافة إلى بعض الأحاديث من باقي السُّنن التي نذكرها من بـاب ارتباطها بالأحاديث المعروضة من صحيحي البخاري ومسلم بهدف التوضيح ، ومن باب مناسبة الموضوع ..

.. وهدفنا من اختيار هذه النصوص هو إلقاء الضوء على بعض أوجه الاختلاف بـين هذه الروايات ، وإلقاء الضوء أيضاً على بعض أوجه الاختلاف بين مـا تـصوّره هـذه الروايات للمسائل التي تحملها ، وبين حقيقة هذه المسائل من منظار القرآن الكريم ، إلقاءً من مجهر العلم والمنطق .. وليس هدفنا – كما سيزعم الجاهلون – زرع الشك في روايات

الأحاديث ، وليس هدفنا — كما سيفتري علينا المفترون — الإساءة لأصحاب هذه الروايات أو للأئمة مخرجيها ، وليس هدفنا — كما سيتوهم التائهون — إنكار التاريخ والخروج من إطاره ... إنّما هدفنا نقيض ذلك ، وهو الوصول إلى اليقين عبر حرق أشواك الشك ، وفهم مُراد أصحاب هذه الروايات ومخرجيها أو المفترين عليهم ، وفهم التاريخ فهماً سليماً من منظار الحقيقة ولأجلها ..

.. وما يجب معرفته هو أننا نعرض أحاديث من كتب الصِّحاح ، أي أحاديث اُختيرت من بين مجموعة هائلة من الأحاديث التي لا تنطبق عليها شروط الصِّحة التي وضعها الأئمةُ أصحابُ هذه الصِّحاح .. فعلى سبيل المثال اختار البخاري بضعة آلاف من الأحاديث في صحيحه ، من بين (٦٠٠٠٠٠) حديث من الأحاديث التي كانت بين يديه ..

.. لذلك علينا ـــ إن كُنّا ممن يبحث عن الحقّ ـــ أن ننظر إلى نصوص الأحاديث المعروضة في هذا الفصل ـــ وفي غيره ـــ من منظار الصياغة اللغويّة لهذه النصوص ، بشكل مجرّد عن التأويلات والتوليفات التي فُرضت على هذه النصوص ، بهدف إزالة الاختلاف بينها ..

.. فما نقوم به في هذا البحث هو محاولة إيجاد منهج علمي مادَّته العقل والمنطق ، يرسم معالمه ويضيئه القرآن الكريم .. وبالتالي هو محاولةٌ للبحث عن جزيرة السُّنّة الشريفة في هذا البحر من الروايات التي وصلتنا عن الرسول ﷺ ومَن عاصره من الجيل الأوَّل ..

فما نقوم به هو هدف الأئمَّة مخرجي روايات الأحاديث ، ودليلنا هو أنَّهم ينقلون لنا — في كتب الصِّحاح — بعض الروايات المتناقضة للحدث ذاته ، كما سنرى في هذا الفصل ، وذلك من باب محاولة جمع كلّ ما نُقل عن الرسول ﷺ ضمن شروط الصحَّة التي وضعها كلٌّ منهم ، تاركين مسألة التأطير الفقهي في كلِّ عصرٍ من العصور للفقيه ، بأن يُبحر في هذا البحر الكبير من الروايات ، كي يبني بناءه الفقهي على ضوء القرآن الكريم ، ممّا يصطاده من هذا البحر ..

.. ومن هنا كان الاختلاف بين الفقهاء ، حسب صيدهم من هذا البحر الكبير ، وحسب مشاهدة كلٍّ منهم عبر طريق إبحاره في هذا البحر .. ولم يتوقّف الخلاف بين مذهب وآخر، بل امتدَّ إلى داخل المذهب ذاته ، بل حتى مع الشخص ذاته في مراحل مختلفة ..

.. فكلٌّ تقديس لما هو غير مطلق على حساب المطلق ، هو كفرٌ بهذا المطلق ، سواء علم المقدِّس ذلك أم لم يعلم .. وكلُّ جحودٍ بثوابت العقل المجرَّد عن الهوى والتعصُّب ، هو كفرٌ بكتاب الله تعالى الذي ينصُّ في الكثير من آياته على تحكيم العقل للوصول إلى الحقيقة ..

.. كلُّ الذين يدافعون عن السنَّة الشريفة ، يشاركوننا عقيدتنا في الدفاع عمّا أمر الله تعالى باتِّباعه ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ** ﴾ [الحشر : ٧] ، ولكنَّ الذين يعتقدون أنَّ السنَّة الشريفة تشمل جميع الروايات التي وصلتنا ، وأنَّ لا سنَّة خارج هذه الروايات ، يختلفون عنّا بأنَّهم لم يقرؤوا روايات الأحاديث التي وصلتنا ، قراءة مجرَّدة يكون فيها مطلق التقديس لكتاب الله تعالى ..

إنَّ معظم الأبحاث التي تناولت روايات الحديث في تاريخنا الإسلامي ، هي أبحاث خطابية عاطفيَّة ، تكون فيها النتيجة موضوعة سلفاً ، وهدفها إمّا تقديس هذه الروايات على أنّها جميعها ـــ دون استثناء ـــ صحيحة ، وإمّا الكفر بجميع هذه الروايات بغية إيهام الناس بنتائج مفروضة سلفاً من مادّة الهوى والتعصُّب ، لدفعهم باتِّجاه روايات أُخرى وأفكارٍ أُخرى ليست أكثر ثقة من هذه الروايات ..

.. بين هذين الشاطئين المتناقضين أبحرت معظم المراكب الفكرية الإسلامية عبر تاريخ هذه الأمَّة ، وبين هذين اللونين المتناقضين تدرَّجت جميع ألوان الفِتَن في تاريخ هذه الأمَّة ، ومن أرضيَّة التناقض بين هذين الموقفين تفجَّرت براكين الحروب الداخلية في جسد هذه الأمَّة ..

إنَّ أعظم عمل يمكننا القيام به من أجل السنَّة الشريفة ، هو تحرّيها من بين ضباب الدَّسِّ الذي وضعه أعداء الحقّ تحت ستار خدمة الحقّ .. وإنّ أكبر إساءة للسنَّة الشريفة هـو جعـلُ الموضوع من هذه الروايات مما لم يعلمه رسول الله ﷺ ، سنَّةً يُكفَّر من لا يقدّسها ..

.. وأفضل منهجٍ لفهم روايات الأحاديث التي وصلتنا ولتحرّي الصحيح منها ، هو النظر إليها من المنظارين التاليين بآنٍ واحد :

١ـــ منظار القرآن الكريم ، لأنَّ السنَّة الشريفة هي من أجل شرح كلّيات القرآن الكريم ، ولا يمكن للسُّنة الحقّ ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال أن تختلف مع القرآن الكريم ..

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ..

٢ـــ منظار الصياغة اللغوية لنصِّ الحديث ، بعيداً عن التخريجات التي فُرِضت لاحقـاً على معاني هذه النصوص بهدف التَّحايل على الاختلاف بينها ..

.. فهذه الروايات وصلتنا ـــ كما سنرى في هذا البحث ـــ بـالمعنى ، لا بالتـصوير الحرفي لقول الرسول ﷺ وفعله ، وناقل الرواية بشرٌ يريد معنًى واحداً من صياغته للرواية ، هو المعنى المرتبط بالصياغة اللغوية لهذه الرواية بعيداً عن إقحام معـاني أخـرى ودلالات أُخرى على هذه الرواية ، مما لا يحمل نصُّ الرواية له أيَّ مؤشر .. ولذلك فإن اختراع تخريجات من أجل التحايل على الاختلاف بين الروايات المتناقضة ظاهراً ، هو سلاحٌ ذو حدَّيْن :

١ـــ حدّه الأوّل يخدم الحقيقة إن كانت هذه الروايات صحيحة ، فهذه التخريجـات التي فُرضت لاحقاً ، ربّما تُبيِّن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله في المراحل المختلفة لفترة الرسالة زماناً ومكاناً ، وتبيّن ماهيّة انتقال الجيل الأوّل ـــ عبر هذه الأقوال والأفعال ـــ من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي ..

٢ـــ حدّه الثاني يقتل الحقيقة إن كانت هذه الروايات غير صـحيحة ، لأنَّـه يقطـع الطريق أمام مراكب تحرّي الصحيح من هذه الروايات ..

.. ولذلك نقول : لن نجزم — أثناء قراءتنا لنصوص روايات الأحاديث — بعدم صحّة أيّ رواية (من الروايات التي لا تُناقض صريح القرآن الكريم والعلم والمنطق) ، خدمة للأجيال القادمة التي قد ترى في هذه الرواية ما لا نرى ، وبالتالي قد تقودها هذه الروايات — التي ربما نراها غير صحيحة — إلى اكتشاف منهجٍ جديد لتحرّي الصحيح من هذه الروايات ... وفي الوقت ذاته لن نقبل أيّ تبرير لتناقض الروايات ، إن لم تُوجَد لهذا التبرير حيثيّات تشير إليه في سياق الصياغة اللغوية لهذه الروايات ، وذلك حتى لا نقطع الطريق أمام مراكب تحرّي الصحيح من هذه الروايات ..

.. فما نريده هو محاولة استشفاف ميزان معرفة الصحيح من هذه الروايات من الموضوع منها .. ومحاولة رسم مسار سكَّة السنَّة الشريفة على أرض هذه الروايات ..

.. وعلينا أن نُقدِّرَ ونعترف بالجهد الكبير الذي بذله الأئمة الذين جمعوا لنا هذه الروايات (صحيحها وموضوعها) ، فيها ما ينفع الناس وما يجب تحرّيه ، وفيها الزبد الذي يذهب جفاءً ... فلولا أن سخَّر الله تعالى هؤلاء الأئمة ليرصدوا تاريخ فترة الرسالة ، لضاع — مع الزمن — الكثير من الحقائق التي نعرفها الآن عن تلك الفترة .. لقد نقلوا لنا تاريخ تلك الفترة كما وصلهم بأمانة فائقة ، لذلك لم يخجلوا — حتى في الصِّحاح — من عرض بعض الروايات المتناقضة للمسألة ذاتها ، ليقولوا لنا من خلال ذلك : إنَّ هذه الروايات تاريخٌ نقلناه كما سمعناه ، وإنَّ الأمانة اقتضت أن ننقل — ضمن شروطنا للصحة — الصحيح وغيره من هذه الروايات ، حتى لا يضيع شيءٌ من الحقيقة ، وإنَّنا نترك مسألة تحرّي الصحيح من هذه الروايات ، ومسألة شرحها ، ومسألة التأطير الفقهي ، للأمَّة ، لتقوم بهذه المهام على ضوء إدراكِها لدلالات آياتِ القرآن الكريم ..

.. وسنقوم الآن بعرض مجموعة من الأحاديث ، منها ما يظهر الاختلاف بينها — وربما التناقض — بشكلٍ واضحٍ جليٍّ ، ومنها ما يظهر الاختلاف بين ظاهر سياقها وبين القرآن الكريم بشكلٍ واضحٍ أيضاً .. ومعظم النصوص التي نعرضها هي — كما قلنا — من صحيحي البخاري ومسلم ، أعلى درجات الثقة في الحديث ، حسب معايير الفكر

الموروث ، بالإضافة إلى بعض الأحاديث من باقي السنن ، والتي نعرضها من باب مناسبة الموضوع وتعلُّقِها بأحاديث صحيحي البخاري ومسلم ..

.. وكما قلنا ، لننظر إلى هذه النصوص التي يظهر بينها الاختلاف واضحاً جليّاً ، نظرة تدبُّر هدفها تحرّي السنَّة الشريفة ، لا بهدف الشكِّ والإساءة ، إنَّما بهدف الاتّجاه السليم نحو نور السنَّة الشريفة ، للإبحار نحو شواطِئها عبر بحر الروايات التي وصلتنا ، وبهدف البرهنة على حرص مخرجي الروايات على عدم ترك أيّ شيء سمعوه – ممّا يوافق شروطهم – عن تلك الفترة ، حتى وإن كان مختلفاً – ضمن شروطهم – مع روايات أُخر ، ليؤدّوا الأمانة على أكمل وجوهها ..

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٣٦١٤) :

حَدَّثَنِي .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ

صحيح البخاري (٣٢٨٤) :

حَدَّثَنَا .... بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ ......

صحيح مسلم[1] (٤٣٣٠) :

حَدَّثَنَا .... بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً .....

صحيح مسلم (٤٣٤٠) :

---

[1] – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي كتبرير للاختلاف بين هذه الروايات :

[[واتفق العلماء على أنَّ أصحّها ثلاث وستون ، وتأولوا الباقي عليه .. فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ، ورواية الخمس متأوَّلة أيضاً ، وحصل فيها اشتباه ، وقد أنكر عروة على ابن عبّاس]]

و حَدَّثَنِي .... حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ .....

صحيح مسلم (٤٣٣٥) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ

صحيح مسلم (٤٣٤١) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلا يَرَى شَيْئًا وَثَمَانَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٢٦٤٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ قَالَتْ فَقَالَ انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ الْمَجَاعَةِ .....

سنن الترمذي (١٠٧٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُحَرِّمُ مِنْ الرِّضَاعَةِ إِلا مَا فَتَقَ الأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ .... أَنَّ الرَّضَاعَةَ لا تُحَرِّمُ إِلا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ وَمَا كَانَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ الْكَامِلَيْنِ فَإِنَّهُ لا يُحَرِّمُ شَيْئاً ....

صحيح مسلم[2] (٢٦٣٧) :

---

[2] – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي بما يخصّ هذه المسألة :

[[واختلف العلماء في هذه المسألة ، فقالت عائشة وداود : تثبت حرمة الرّضاع برضاع البالغ كما تثبت برضاع الطفل لهذا الحديث .. وقال سائر العلماء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار إلى الآن : لا يثبت إلاّ بإرضاع من له دون سنتين ... وقد روى مسلم عن أمّ سلمة وسائر أزواج رسول الله ﷺ أنهن خالفن عائشة في هذا ..) ..

و حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ كَانَ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ فَأَتَتْ تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ .....

صحيح مسلم (٢٦٤٠) :

و حَدَّثَنِي .... سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ لِعَائِشَةَ وَاللَّهِ مَا تَطِيبُ نَفْسِي أَنْ يَرَانِي الْغُلَامُ قَدْ اسْتَغْنَى عَنْ الرَّضَاعَةِ فَقَالَتْ لِمَ قَدْ جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لأَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ فَقَالَتْ إِنَّهُ ذُو لِحْيَةٍ فَقَالَ أَرْضِعِيهِ يَذْهَبْ مَا فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ .....

مسلم (٢٦٣٦) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ وَهُوَ حَلِيفُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ قَالَتْ وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ ....



صحيح مسلم[٣] (٧٩٠) :

صحيح مسلم : (حدَّثني ... أنَّ أمّها أمّ سلمة زوج النبي ﷺ كانت تقول : أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يُدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة .. وقلن لعائشة والله ما نرى هذا إلاّ رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصَّة فما هو بداخل علينا أحدٌ بهذه الرضاعة ولا رائينا]] ..

(3) – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي بما يخصّ هذه المسألة :

[[قولُهُ ﷺ : ((يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود)) اختلف العلماء في هذا ، فقال بعضهم : يقطع هؤلاء الصلاة ، وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه : يقطعها الكلب الأسود ، وفي قلبي من الحمار والمرأة شيء ، ووجه قوله أنَّ الكلب لم يجيء في الترخيص فيه شيء يعارض هذا الحديث ، وأمّا المرأة ففيها حديث عائشة رضي الله عنها المذكور بعد هذا ، وفي الحمار حديث

و حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ

صحيح مسلم (٧٩٤) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ وَذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ قَدْ شَبَّهْتُمُونَا بِالْحَمِيرِ وَالْكِلَابِ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً فَتَبْدُو لِي الْحَاجَةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْسَلُّ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ

صحيح البخاري (٤٦٥) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِهِمْ بِالْبَطْحَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ تَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ

صحيح البخاري (٤٨٩) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ بِئْسَمَا عَدَلْتُمُونَا بِالْكَلْبِ وَالْحِمَارِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ غَمَزَ رِجْلَيَّ فَقَبَضْتُهُمَا

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[٤] (٣٩٢٠) :

ابن عباس السابق ، وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهم وجمهور العلماء من السلف والخلف : لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ولا من غيرهم ، وتأوّل هؤلاء هذا الحديث على أنَّ المُراد بالقطع نقص الصلاة لشغل القلب بهذه الأشياء ، وليس المراد إبطالها ...]] ..

(4) – ورد النص التالي في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم :

[[....... وأن يرفع الرجل إحدى رجليه على الأخرى ، وهو مستلق على ظهره ، وفي الرواية الأخرى أنّه رأى رسول الله ﷺ مستلقياً في المسجد رافعاً إحدى رجليه على الأخرى ، محمولة على حالة تظهر فيها العورة أو شيء منها ، وأمّا فعله ﷺ فكان على وجه لا يظهر منها شيء .....]] ..

و حَدَّثَنِي .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا يَسْتَلْقِيَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى

صحيح مسلم (٣٩٢١) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَلْقِيًا فِي الْمَسْجِدِ وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى .....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[٥] (٢٥٢٢) :

حَدَّثَنَا .... سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلا يُنْكَحُ وَلا يَخْطُبُ

صحيح مسلم (٢٥٢٨) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ

صحيح مسلم (٢٥٢٩) :

حَدَّثَنَا .... حَدَّثَتْنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلالٌ قَالَ وَكَانَتْ خَالَتِي وَخَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ

مسند أحمد (٤٣٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلا يُنْكِحُ وَلا يَخْطُبُ

مسند أحمد (٢٤٣٤) :

---

(5) – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النَّص التالي :

[[..... فاختلف العلماء بسبب ذلك في نكاح المحرم ، فقال مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم : لا يصحّ نكاح المحرم ، واعتمدوا أحاديث الباب .. وقال أبو حنيفة والكوفيون : يصحُّ نكاحه لحديث قصّة ميمونة ، وأجاب الجمهور عن حديث ميمونة بأجوبة أصحها أنّ النبي ﷺ تزوّجها حلالاً هكذا رواه أكثر الصحابة ...]]

حَدَّثَنَا .... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ بِسَرِفَ وَهُوَ مُحْرِمٌ

مسند أحمد (٢٥٥٩٨) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا حَلالاً وَبَنَى بِهَا حلالاً.....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[٦] (٣٨٩) :

---

[6] – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي بما يخص هذه المسألة :

[[وأما النهي عن الاستقبال للقبلة بالبول والغائط فقد اختلف العلماء فيه على مذاهب ، أحدها مذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى أنه يحرم استقبال القبلة في الصحراء بالبول والغائط ، ولا يحرم ذلك في البنيان ، وهذا مروي عن العباس بن عبد المطلب ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والشعبي ، وإسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين ، رحمهم الله ، والمذهب الثاني أنه لا يجوز ذلك لا في البنيان ولا في الصحراء وهو قول أبي أيوب الأنصاري الصحابي رضي الله عنه ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وسفيان الثوري ، وأبي ثور ، وأحمد في رواية ، والمذهب الثالث جواز ذلك في البنيان والصحراء جميعاً وهو مذهب عروة بن الزبير ، وربيعة شيخ مالك رضي الله عنهم ، وداود الظاهري ، والمذهب الرابع لا يجوز الاستقبال لا في الصحراء ولا في البنيان ، ويجوز الاستدبار فيهما ، وهي إحدى الروايتين عن أبي حنيفة وأحمد رحمهما الله تعالى ، واحتجَّ المانعون مطلقاً بالأحاديث الصحيحة الواردة في النهي مطلقاً كحديث سلمان المذكور ، وحديث أبي أيوب ، وأبي هريرة ، وغيرهما .. قالوا : ولأنه إنّما منع لحرمة القبلة ، وهذا المعنى موجود في البنيان والصحراء ، ولأنّه لو كان الحائل كافياً لجاز في الصحراء لأن بيننا وبين الكعبة جبالاً وأودية وغير ذلك من أنواع الحائل .. واحتجَّ من أباح مطلقاً بحديث ابن عمر رضي الله عنهما المذكور في الكتاب أنه رأى النبي ﷺ مستقبلاً بيت المقدس مستدبر القبلة ، وبحديث عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أنَّ النَّبي ﷺ بلغه أنَّ أُناساً يكرهون استقبال القبلة بفروجهم فقال النبي ﷺ : أوَقد فعلوها ، حوّلوا بمقعدي ، أي إلى القبلة .. رواه أحمد بن حنبل في مسنده وابن ماجه وإسناده حسن .. واحتجَّ من أباح الاستدبار دون الاستقبال بحديث سلمان .. واحتجَّ من حرَّم الاستقبال والاستدبار في الصحراء وأباحهما في البنيان بحديث ابن عمر رضي الله عنهما المذكور في الكتاب ، وبحديث عائشة الذي ذكرناه .. وفي حديث جابر قال : نهى رسول الله ﷺ أن نستقبل القبلة ببول فرأيته قبل أن يقبض بعام يستقبلها .. رواه أبو داود والترمذي وغيرهما

و حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ فَلا يَسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ وَلا يَسْتَدْبِرْهَا

صحيح مسلم (٣٩١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ رَقِيتُ عَلَى بَيْتِ أُخْتِي حَفْصَةَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا لِحَاجَتِهِ مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ

صحيح البخاري (١٤١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلا يَسْتَقْبِل الْقِبْلَةَ وَلا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا

صحيح البخاري (١٤٤) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ الشَّأْمِ

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٦٨٣٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ <u>وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ</u> وَهُوَ يَقُولُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ

صحيح البخاري (٦١١٤) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٥٥١) :

وإسناده حسن .. وبحديث مروان الأصغر قال : رأيت ابن عمر ....]] ..

حَدَّثَنَا .... أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لا صَلاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ وَلا صَلاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ

صحيح البخاري (٥٥٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَلاتَيْنِ بَعْدَ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ

صحيح البخاري[٧] (٥٥٧) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُهُمَا سِرًّا وَلا عَلانِيَةً رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاةِ الصُّبْحِ وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ

صحيح البخاري (٥٥٦) :

حَدَّثَنَا .... قَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَ أُخْتِي مَا تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدِي قَطُّ

صحيح مسلم (١٣٦٨) :

و حَدَّثَنِي .... أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا صَلاةَ بَعْدَ صَلاةِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَلا صَلاةَ بَعْدَ صَلاةِ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ

صحيح مسلم (١٣٧٩) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدِي قَطُّ

---

[7] – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النص التالي كتبرير للاختلاف الذي نراه : [[(تنبيه) : قول عائشة ((ما تركهما حتى لقي الله عزّ وجلّ)) وقولها : ((لم يكن يدعهما)) وقولها : ((ما كان يأتيني في يوم بعد العصر إلاّ صلّى ركعتين)) مُرادها من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاّهما بعد العصر ، و لم ترد أنّه كان يُصلّي بعد العصر ركعتين من أوّل ما فرضت الصلوات مثلاً إلى آخر عمره ، بل في حديث أم سلمة ما يدل على أنّه لم يكن يفعلهما قبل الوقت الذي ذكرت أنه قضاهما فيه]] ..

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (١٨٤٥) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلاثٍ صِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيْ الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ

صحيح البخاري (١١٠١) :

حَدَّثَنَا .... غدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَا امْتَدَّ النَّهَارُ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ

صحيح البخاري (١١٠٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قُلْتُ لابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتُصَلِّي الضُّحَى قَالَ لا قُلْتُ فَعُمَرُ قَالَ لا قُلْتُ فَأَبُو بَكْرٍ قَالَ لا قُلْتُ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا إِخَالُهُ

صحيح البخاري (١٠٦٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لأُسَبِّحُهَا

صحيح البخاري (١٦٥٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَإِذَا نَاسٌ يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ صَلاةَ الضُّحَى قَالَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلاتِهِمْ فَقَالَ بِدْعَةٌ .....

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري[8] (١٤٩) :

[8] – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النص التالي لتبرير الاختلاف الذي نراه :
[[....... إذ الأوّل صريح في النهي عن التنفس في الإناء والثاني يثبت التنفس ، فحملهما على حالتين : فحالة النهي على التنفس داخل الإناء ، وحالة الفعل على من تنفَّس خارجه ، فالأوَّل : على ظاهره من النهي ، والثاني : تقديره كان يتنفس في حالة الشرب من الإناء .. قال ابن المنير :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ .....

صحيح البخاري (٥١٩٩) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ .....

صحيح مسلم (٣٧٨٠) :

حَدَّثَنَا....... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ

صحيح البخاري (٥٢٠٠) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ كَانَ أَنَسٌ يَتَنَفَّسُ فِي الإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ ثَلاثًا

صحيح مسلم (٣٧٨١) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلاثًا

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[٩] (٢٠١١) :

أورد ابن بطال سؤال التعارض بين الحديثين ، وأجاب بينهما فأطنب ، ولقد أغنى البخاري عن ذلك بمجرَّد لفظ الترجمة : فجعل الإناء في الأوّل ظرفاً للتنفُّس ، والنهي عنه لاستقذاره ، وقال في الثاني : ((الشرب بنفسَيْن)) فجعل النفس الشرب ، أي لا يقتصر على نفس واحد بل يفصل بين الشربين بنفسين أو ثلاثة خارج الإناء . فعرف بذلك انتفاء التعارض .. وقال الإسماعيلي : المعنى أنَّه كان يتنفس أي على الشراب لا فيه داخل الإناء ، قال : وإن لم يحمل على هذا صار الحديثان مختلفين وكان أحدهما منسوخاً لا محالة ، والأصل عدم النسخ ، والجمع مهما أمكن أولى ...]] ..

(9) – ورد النص التالي في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم فيما يخص التناقض الذي نراه بين ظاهر هذه الروايات :

[[... قال العلماء هذا الحديث مما يوهم كراهة صوم العشر ، والمراد بالعشر هنا الأيام التسعة من

و حَدَّثَنِي .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ

مسند أحمد (٢٤٣٩٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ ....

سنن أبي داود (٢٠٨٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَائِمًا الْعَشْرَ قَطُّ

مسند أحمد (٢١٣٠٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ....

سنن أبي داود (٢٠٨١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ....

مسند أحمد (٢٥٢٦٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ....

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٣٥٩٨) :

أوّل ذي الحجَّة .. قالوا : وهذا ممّا يتأوّل ، فليس في صوم هذه التسعة كراهة بل هي مستحبَّة استحباباً شديداً لاسيما التاسع منها ، وهو يوم عرفة ، وقد سبقت الأحاديث في فضله وثبت في صحيح البخاري أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه)) يعني العشر الأوائل من ذي الحجَّة .. فيتأوَّل قولها : لم يصم العشر أنَّه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما ، أو أنَّها لم تره صائماً فيه ، ولا يلزم عن ذلك عدم صيامه في نفس الأمر ...]] ..

حَدَّثَنَا .... أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ .... ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ قَالَ مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ....

صحيح البخاري (٦٩٦٣) :

حَدَّثَنَا .... ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .... ثُمَّ عَلا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لا يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ ....

صحيح مسلم (٢٣٤) :

حَدَّثَنَا .... ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .... ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى ....

مسند أحمد (١٢٢١٢) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ....

سنن النسائي (٤٤٤) :

أَخْبَرَنَا....... ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ .... ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ....

صحيح مسلم[١٠] (٢٥٢) :

و حَدَّثَنَا .... لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ....

---

(10) – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي كتبرير لاختلاف هذه الروايات :
[[قال القاضي : كونها في السابعة هو الأصح .. وقول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى .. قلت ويمكن أن يُجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة فقد علم أنها في نهاية العظم]] ..

مسند أحمد (٣٤٨٣) :

حَدَّثَنَا .... لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ....

سنن النسائي (٤٤٧) :

أَخْبَرَنَا....... قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[١١] (٥٢٩) :

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ .... أَنَّهُ وَجَدَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ عَلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ إِنَّمَا أَتَوَضَّأُ مِنْ أَثْوَارِ أَقِطٍ أَكَلْتُهَا لأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَوَضَّئُوا مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ

صحيح مسلم (٥٣١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ

أحمد (٢٥٤٨٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَوْنٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِمَرْوَانَ

---

[11] – ورد النص التالي في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم كشرح لهذه المسألة :

[[.. وقد اختلف العلماء في قوله ﷺ : ((توضؤوا ممّا مسَّت النار)) .. فذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أنه لا ينتقض الوضوء بأكل ما مسته النار ممن ذهب إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفّان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، وابن عبّاس ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وجابر بن سمرة ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى ، وأبو هريرة ... وذهب طائفة إلى وجوب الوضوء الشرعي وضوء الصلاة بأكل ما مسَّته النار ، وهو مروي عن عمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، والزهري ، وأبي قلابة ، وأبي مجلز ، واحتجَّ هؤلاء بحديث ((توضؤوا ممّا مست النار)) ، واحتجَّ الجمهور بالأحاديث الواردة بترك الوضوء ممّا مسَّت النار ...]] ..

فَقَالَ مَا أَدْرِي مَنْ نَسْأَلُ كَيْفَ وَفِينَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَبَعَثَنِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَحَدَّثَتْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَتَنَاوَلَ عَرْقًا فَانْتَهَسَ عَظْمًا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ**

أحمد (٢٥٤٩٩) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَحْلَاءَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي سَلَمَةَ إِنَّ ظِئْرَكَ سُلَيْمًا لَا يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ قَالَ فَضَرَبَ صَدْرَ سُلَيْمٍ وَقَالَ **أَشْهَدُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ تَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ**

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[١٢] (٦٨٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَقَالَ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ ....

صحيح مسلم (٦٨١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَآهُمْ ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[١٣] (٣٧٧٥) :

---

(12) – لقد تمَّ تبرير الاختلاف بين الحديثين في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم في النص التالي :

[[قال العلماء : هما قضيتان ، فحديث ابن عبّاس في أوّل الأمر وأوّل النبوّة حين أتوا وسمعوا قراءة قل أُوحي واختلف المفسرون هل علم النبي ﷺ استماعهم حال استماعهم بوحي أُوحي إليه أم لم يعلم بهم إلاّ بعد ذلك ؟ وأمّا حديث ابن مسعود فقضية أُخرى جرت بعد ذلك بزمان الله أعلم بقدره ، وكانت بعد اشتهار الإسلام]] ..

(13) – تمَّ شرح هذا الاختلاف بين الحديثين في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم بالنص التالي :

حَدَّثَنِي .... أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُول قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ

صحيح مسلم (٣٧٧٦) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[١٤] (٥٢٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرَّجُلِ يُصِيبُ مِنْ الْمَرْأَةِ ثُمَّ يُكْسِلُ فَقَالَ يَغْسِلُ مَا أَصَابَهُ مِنْ الْمَرْأَةِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي

[[..... اعلم أن هذه الأحاديث أشكل معناها على بعض العلماء حتى قال فيها أقوالاً باطلة ، وزاد حتى تجاسر ورام أن يضعف بعضها ، وادَّعى فيها دعاوى باطلة لا غرض لنا في ذكرها ، ولا وجه لإشاعة الأباطيل والغلطات في تفسير السنن ، بل نذكر الصواب ، ويشار إلى التحذير من الاغترار بما خالفه ، وليس في هذه الأحاديث بحمد الله إشكال ، ولا فيها ضعف ، بل كلّها صحيحة ، والصواب فيها أنَّ النهي فيها محمول على كراهة التتريه ، وأمّا شربه ﷺ قائماً فبيان للجواز ، فلا إشكال ولا تعارض .. وهذا الذي ذكرناه يتعين المصير إليه ، وأمّا من زعم نسخاً أو غيره فقد غلط غلطاً فاحشاً ، وكيف يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع بين الأحاديث ، لو ثبت التاريخ ، وأنى له بذلك ؟ والله أعلم]] . .

(14) – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي :

[[وفي الباب حديث ((إنما الماء من الماء)) من حديث أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ في الرجل يأتي أهله ثم لا يترل قال : ((يغسل ذكره ويتوضّأ)) ، وفيه الحديث الآخر : ((إذا جلس أحدكم بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب عليه الغسل وإن لم يترل)) قال العلماء : العمل على هذا الحديث ، وأمّا حديث : ((الماء من الماء)) فالجمهور من الصحابة ومن بعدهم قالوا : إنَّه منسوخ ، ويعنون بالنسخ أنّ الغسل من الجماع بغير إنزال كان ساقطاً ثم صار واجباً .. وذهب ابن عبّاس رضي الله عنه وغيره إلى أنّه ليس منسوخاً بل المراد به نفي وجوب الغسل بالرؤية في النوم إذا لم يترل ، وهذا الحكم باقٍ بلا شك ، وأمّا حديث أُبي بن كعب ففيه جوابان ؛ أحدهما أنه منسوخ ، والثاني أنّه محمول على ما إذا باشرها فيما سوى الفرج .. والله أعلم]] ..

صحيح مسلم (٥٢٥) :

و حَدَّثَنِي .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ وَفِي حَدِيثِ مَطَرٍ وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ ....

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري[١٥] (٦١٤٨) :

حَدَّثَنَا....... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سُلَيْمَانُ لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا ....

صحيح البخاري (٤٨٤١) :

حَدَّثَنِي .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلام لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ غُلامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ فَأَطَافَ بِهِنَّ ....

صحيح البخاري (٣١٧١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ....

صحيح البخاري (٦٩١٥) :

---

(15) – ورد النص التالي في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لتبرير الاختلاف الذي نراه بين هذه الروايات :

[[فمحصل الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسع وتسعون ومائة ، والجمع بينها أنَّ الستين كُنَّ حرائر وما زاد عليهنَّ كنَّ سراري ، **أو بالعكس** ، وأمّا السبعون فللمبالغة ، وأمّا التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين ، فمن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة جبره ومن ثم وقع التردُّد في رواية جعفر ، وأمّا قول بعض الشُّرّاح : ليس في ذكر القليل نفي الكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجَّة عند الجمهور فليس بكاف في هذا المقام ، وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين والله أعلم ... وقد حكى وهب بن منبه في المبتدأ أنه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية ...]] ..

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً فَقَالَ لأطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ وَلْتَلِدْنَ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ ....

صحيح مسلم (٣١٢٤) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللَّهِ لأطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ....

صحيح مسلم (٣١٢٦) :

و حَدَّثَنِي .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لأطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهَا تَأْتِي بِفَارِسٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.......

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٤٧٠٤) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً

صحيح مسلم (٤٧٠٣) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

صحيح البخاري (٣٧٦٢) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ مِنْ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنْ الْفَجْرِ يَقُولُ اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا بَعْدَ مَا يَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ....

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري[١٦] (٦٠٩) :

---

(16) – ورد النص التالي في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ الاختلاف الـذي

حَدَّثَنَا ....عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً

صحيح البخاري (٦١٠) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً

صحيح مسلم (١٠٣٨) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً

صحيح مسلم (١٠٣٤) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٣١٧٨) :

حَدَّثَنِي ....قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ

صحيح البخاري (٣٤٨٦) :

نراه :

[[واختلف في أيهما أرجح فقيل رواية الخمس لكثرة رواها ، وقيل رواية السبع لأنَّ فيها زيادة من عدل حافظ ، ووقع الاختلاف في موضعٍ آخر من الحديث وهو مميّز العدد المذكور ، ففي الروايات كلّها التعبير بقوله : ((درجة)) أو حذف المميّز ، إلاّ طرق حديث أبي هريرة ففي بعضها ((ضعفاً)) وفي بعضها ((جزءاً)) وفي بعضها ((درجة)) وفي بعضها ((صلاة)) ووقع هذا الأخير في بعض طرق حديث أنس ، والظاهر أنَّ ذلك من تصرّف الرّواة ، ويحتمل أن يكون من التفنن في العبارة ...]] ..

حَدَّثَنَا...... أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ

صحيح مسلم (٤٤٥٨) :

حَدَّثَنَا .... يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ يَقُولا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ....

صحيح مسلم (٤٤٧٨) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ....

صحيح مسلم[17] (٩٧٨) :

و حَدَّثَنِي ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا كَانَ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ....

صحيح مسلم (٩٨٢) :

و حَدَّثَنَا.......عَنْ خَبَّابٍ قَالَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فَلَمْ يُشْكِنَا قَالَ زُهَيْرٌ قُلْتُ لأبِي إِسْحَقَ أَفِي الظُّهْرِ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَفِي تَعْجِيلِهَا قَالَ نَعَمْ



(17) – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي فيما يخص الاختلاف بين هذين الحديثين :

[[اختلف العلماء في الجمع بين هذين الحديثين ، فقال بعضهم : الإبراد رخصة ، والتقديم أفضل ، واعتمدوا حديث خباب ، وحملوا حديث الإبراد على الترخيص والتخفيف في التأخير ، وبهذا قال بعض أصحابنا وغيرهم ، وقال جماعة : حديث خباب منسوخ بأحاديث الإبراد .. وقال آخرون : المختار استحباب الإبراد لأحاديثه .. وأمّا حديث خباب فمحمول على أنّهم طلبوا تأخيراً زائداً على قدر الإبراد يؤخّر بحيث يحصل للحيطان فيّ يمشون فيه ويتناقص الحرّ والصحيح استحباب الإبراد ...]] ..

صحيح البخاري (٢٦٠) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ قُلْتُ لأنَسٍ أَوَكَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ تِسْعُ نِسْوَةٍ

صحيح البخاري (٢٧٥) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ

صحيح البخاري (٢٤٠٤) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

صحيح مسلم (٢٦٦٠) :

حَدَّثَنَا ....كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعٌ فَكَانَ يَقْسِمُ لِثَمَانٍ وَلا يَقْسِمُ لِوَاحِدَةٍ قَالَ عَطَاءٌ الَّتِي لا يَقْسِمُ لَهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ ....

صحيح مسلم (٢٦٥٦) :

حَدَّثَنَا.......عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُ نِسْوَةٍ فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الأولَى إِلا فِي تِسْعٍ فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَجَاءَتْ زَيْنَبُ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ هَذِهِ زَيْنَبُ فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى اسْتَخَبَتَا ....

صحيح مسلم (٤٦٧) :

و حَدَّثَنَا.......عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ

مسند أحمد (٢٣٢٥٩) :

حَدَّثَنَا .... لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِي فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ لِي بِيَوْمِهَا مَعَ نِسَائِهِ ....

مسند أحمد (١٩٤٠) :

حَدَّثَنَا .... فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ وَكَانَ يَقْسِمُ لِثَمَانٍ وَوَاحِدَةٌ لَمْ يَكُنْ لِيَقْسِمَ لَهَا قَالَ عَطَاءٌ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَقْسِمُ لَهَا صَفِيَّةُ

❁ ❁ ❁

البخاري (١٢٠٦) :

حَدَّثَنَا .... فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَا أَخَاهُ وَا صَاحِبَاهُ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئًا

صحيح البخاري (١٢٠٨) :

حَدَّثَنَا ....فَقَالَ عُمَرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ

صحيح البخاري (٣٦٨١) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ فَقَالَتْ وَهَلَ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ قَالَتْ وَذَاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ

إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْقَلِيبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ يَقُولُ حِينَ تَبَوَّءُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنْ النَّارِ

مسلم (١٥٤٤) :

حَدَّثَنَا ...... فَلَمَّا أَنْ أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَا أَخَاهْ وَا صَاحِبَاهْ فَقَالَ عُمَرُ يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ عُمَرَ لَا وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَحَدٍ وَلَكِنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ قَالَ وَقَالَتْ عَائِشَةُ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى قَالَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَضْحَكَ وَأَبْكَى قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ فَوَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ مِنْ شَيْءٍ ....

صحيح مسلم (١٥٤٦) :

و حَدَّثَنَا ....قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَحْفَظْهُ إِنَّمَا مَرَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ وَهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٣٦٧٩) :

حَدَّثَنِي ....فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا

صحيح البخاري (٣٦٨٢) :

حَدَّثَنِي .... عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ فَقَالَ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمْ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُمْ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى حَتَّى قَرَأَتْ الآيَةَ

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٣١٨٣) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ ....

صحيح البخاري (٣١٨٥) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ لا وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِيسَى أَحْمَرُ وَلَكِنْ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٥٢١٢) :

حَدَّثَنَا....... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابْنِ صَائِدٍ مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ قَالَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ صَدَقْتَ

صحيح مسلم (٥٢١٣) :

و حَدَّثَنَا.......عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ فَقَالَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ



مسلم (٣٢٠٥) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ أَحَقٌّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ قَالَ وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي قَالَ بَلَغَنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ بِجَارِيَةِ آلِ فُلَانٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ

مسلم (٣٢٠٧) :

و حَدَّثَنِي .... قَالَ جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَ أُطَهِّرُكَ فَقَالَ مِنْ الزِّنَى فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِهِ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ أَشَرِبَ خَمْرًا فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزَنَيْتَ فَقَالَ نَعَمْ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[18] (٢٦٩٤) :

و حَدَّثَنِي ....أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تُخْبِرُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلاً قَالَتْ فَتَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقُلْ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ....

صحيح مسلم (٢٦٩٥) :

---

(18) – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي لتبرير الاختلاف بين الحديثين :
[[قال القاضي : ذكر مسلم في حديث حجاج عن ابن جريج أنَّ التي شرب عندها العسل زينب ، وأنَّ المتظاهرتين عليه عائشة وحفصة ، وكذلك ثبت في حديث عمر بن الخطّاب وابن عبّاس أنَّ المتظاهرتين عائشة وحفصة ، وذكر مسلم أيضاً من رواية أبي أسامة عن هشام أنَّ حفصة هي التي شرب عندها العسل ، وأنَّ عائشة وسودة وصفيَّة من اللواتي تظاهرن عليه .. قال : والأول أصح ... وانقلبت الأسماء على الراوي في الرواية الأخرى ...]] ..

حَدَّثَنَا ....عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْهُنَّ فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَرْبَةً فَقُلْتُ أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ وَقُلْتُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ فَقُولِي لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ لا فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ ....

❁ ❁ ❁

البخاري (٢٩٩٦) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَيْنَ قَوْلُهُ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى قَالَتْ ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الْأُفُقَ

البخاري (٦٩٦٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ .... ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ فَقَالَ مُوسَى رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٣٤٦٢) :

و حَدَّثَنَا.......قَالَ قُلْتُ لِسَلَمَةَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ قَالَ عَلَى الْمَوْتِ و حَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ مَسْعَدَةَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ عَنْ سَلَمَةَ بِمِثْلِهِ

صحيح مسلم (٣٤٤٩) :

حَدَّثَنَا.......قَالَ كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةً فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهِيَ سَمُرَةٌ وَقَالَ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نَفِرَّ وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٥١٠١) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لُحُومَ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ....

صحيح البخاري (٢٧٦٩) :

حَدَّثَنَا ....فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ فَأُكْفِئَتْ الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا ....

صحيح البخاري (٣٩٠٢) :

حَدَّثَنِي ....عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لا أَدْرِي أَنَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ حَمُولَةَ النَّاسِ فَكَرِهَ أَنْ تَذْهَبَ حَمُولَتُهُمْ أَوْ حَرَّمَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ لَحْمَ الْحُمُرِ الأ هْلِيَّةِ

صحيح البخاري (٥١٠٣) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ حُمُرِ الأَهْلِيَّةِ فَقَالَ قَدْ كَانَ يَقُولُ ذَاكَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ وَلَكِنْ أَبَى ذَاكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ قُلْ لا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا

صحيح مسلم (٣٥٩١) :

و حَدَّثَنِي ....عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لا أَدْرِي إِنَّمَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ حَمُولَةَ النَّاسِ فَكَرِهَ أَنْ تَذْهَبَ حَمُولَتُهُمْ أَوْ حَرَّمَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ لُحُومَ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ

سنن أبي داود (٣٣١٥) :

حَدَّثَنَا ....فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتْنَا السَّنَةُ وَلَمْ يَكُنْ فِي مَالِي مَا أُطْعِمُ أَهْلِي إِلا سِمَانُ الْحُمُرِ وَإِنَّكَ حَرَّمْتَ لُحُومَ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ فَقَالَ أَطْعِمْ أَهْلَكَ مِنْ سَمِينِ حُمُرِكَ فَإِنَّمَا حَرَّمْتُهَا مِنْ أَجْلِ جَوَّالِ الْقَرْيَةِ يَعْنِي الْجَلالَةَ ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٣٩٨٤) :

و حَدَّثَنَا.......قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُسَمِّ غُلامَكَ رَبَاحًا وَلا يَسَارًا وَلا أَفْلَحَ وَلا نَافِعًا

صحيح مسلم (٣٩٨٦) :

حَدَّثَنَا ....أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْهَى عَنْ أَنْ يُسَمَّى بِيَعْلَى وَبِبَرَكَةَ وَبِأَفْلَحَ وَبِيَسَارٍ وَبِنَافِعٍ وَبِنَحْوِ ذَلِكَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ سَكَتَ بَعْدُ عَنْهَا فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ تَرَكَهُ

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[١٩] (٢٥٦١) :

حَدَّثَنِي .... وَجُمِعَ السَّبْيُ فَجَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ فَقَالَ اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ مَا تَصْلُحُ إِلا لَكَ

---

[19] – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي فيما يخصّ هذا الحديث :

[[وقوله في الرواية الأخرى : إنَّها وقعت في سهم دحية فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس يحتمل أنَّ المراد بقوله : وقعت في سهمه أي حصلت بالإذن في أخذ جارية ليوافق باقي الروايات]] ..

قَالَ ادْعُوهُ بِهَا قَالَ فَجَاءَ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خُذْ جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ غَيْرَهَا قَالَ وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا ....

صحيح مسلم (٢٥٦٦) :

و حَدَّثَنَا ....قَالَ صَارَتْ صَفِيَّةُ لِدِحْيَةَ فِي مَقْسَمِهِ وَجَعَلُوا يَمْدَحُونَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَيَقُولُونَ مَا رَأَيْنَا فِي السَّبْيِ مِثْلَهَا قَالَ فَبَعَثَ إِلَى دِحْيَةَ فَأَعْطَاهُ بِهَا مَا أَرَادَ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّي فَقَالَ أَصْلِحِيهَا ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم[٢٠] (٢٩٣٢) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ ....

صحيح مسلم (٢٩٥٢) :

حَدَّثَنَا ....فَقَالَ احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَكَلَّمَ أَهْلَهُ فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خَرَاجِهِ وَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٣٥٣٨) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ....الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ الْمَطْعُونُ وَالْمَبْطُونُ وَالْغَرِقُ وَصَاحِبُ الْهَدْمِ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

موطأ مالك (٤٩٣) :

---

[20] – وقد ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي فيما يخصّ هذه المسألة :

[[وقد اختلف العلماء في كسب الحجام فقال الأكثرون من السلف والخلف لا يحرم كسب الحجام ، ولا يحرم أكله لا على الحرّ ولا على العبد ، وهو المشهور من مذهب أحمد ، وقال في رواية عنه قال بها فقهاء المحدثين يحرم على الحرّ دون العبد ، واعتمدوا هذه الأحاديث وشبهها ، واحتجَّ الجمهور بحديث ابن عبّاس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجّام أجره .. قالوا : ولو كان حراماً لم يعطه ...]] ..

حَدَّثَنِي ....فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ

سنن الترمذي (١٥٦٨) :

حَدَّثَنَا ....سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الشُّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ ....

مسند أحمد (١٤٥) :

حَدَّثَنَا ....سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الشُّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ ....

مسند أحمد (١٤٠) :

حَدَّثَنَا.......سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الشُّهَدَاءُ ثَلاثَةٌ ....

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٤١١٨) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا عَدْوَى وَلا هَامَةَ وَلا نَوْءَ وَلا صَفَرَ

صحيح مسلم (٤١٣٨) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ

صحيح البخاري (٥٣٢٨) :

حَدَّثَنِي ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا عَدْوَى وَلا صَفَرَ وَلا هَامَةَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُورِدَنَّ

مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ <u>وَأَنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ الأَوَّلِ</u> قُلْنَا أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لا عَدْوَى فَرَطَنَ بِالْحَبَشِيَّةِ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَمَا رَأَيْتُهُ نَسِيَ حَدِيثًا غَيْرَهُ

صحيح مسلم[٢١] (٤١١٧) :

و حَدَّثَنِي ....قَالَ أَبُو سَلَمَةَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُهُمَا كِلْتَيْهِمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَمَتَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ لا عَدْوَى وَأَقَامَ عَلَى أَنْ لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ قَالَ فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ذُبَابٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تُحَدِّثُنَا مَعَ هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثًا آخَرَ قَدْ سَكَتَّ عَنْهُ كُنْتَ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا عَدْوَى فَأَبَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ وَقَالَ لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ فَمَا رَآهُ الْحَارِثُ فِي ذَلِكَ حَتَّى غَضِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَطَنَ بِالْحَبَشِيَّةِ فَقَالَ لِلْحَارِثِ أَتَدْرِي مَاذَا قُلْتُ قَالَ لا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ أَبَيْتُ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا عَدْوَى فَلا أَدْرِي أَنَسِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْ نَسَخَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ الآخَرَ ....

❁ ❁ ❁

أحمد (١٨٤٤٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ جَرِيرًا بَالَ قَائِمًا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَصَلَّى فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَذَكَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ

---

(21) – ورد النص التالي في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم فيما يتعلّق بالاختلاف الذي نراه :

[[قال جمهور العلماء : <u>**يجب**</u> الجمع بين هذين الحديثين ، وهما صحيحان ، قالوا : وطريق الجمع أنَّ حديث ((لا عدوى)) المُراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أنَّ المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى . وأمّا حديث ((لا يورد ممرض على مصح)) فأرشد فيه إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره .. فنفى في الحديث الأوّل العدوى بطبعها ، ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعله ، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله تعالى وإرادته وقدرته ...]] ..

أحمد (٢٣٨٩٤) :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقْهُ مَا بَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَائِمًا مُنْذُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري[٢٢] (٤٩٣٦) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ تَقُولُ الْمَرْأَةُ إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي وَيَقُولُ الْعَبْدُ أَطْعِمْنِي وَاسْتَعْمِلْنِي وَيَقُولُ الابْنُ أَطْعِمْنِي إِلَى مَنْ تَدَعُنِي فَقَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ لا هَذَا مِنْ كِيسِ أَبِي هُرَيْرَةَ

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٦٢٨١) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ كُنَّا نُؤْتَى بِالشَّارِبِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمْرَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلافَةِ عُمَرَ فَنَقُومُ إِلَيْهِ بِأَيْدِينَا وَنِعَالِنَا وَأَرْدِيَتِنَا حَتَّى كَانَ آخِرُ إِمْرَةِ عُمَرَ فَجَلَدَ أَرْبَعِينَ حَتَّى إِذَا عَتَوْا وَفَسَقُوا جَلَدَ ثَمَانِينَ

---

(22) – هذا الحديث يرد أيضاً في صحيح البخاري وعلى لسان أبي هريرة ، ولكن الحديث ينتهي عند العبارة ((وابدأ بمن تعول)) : ((حدثنا ... عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : خير الصدقة ، ما كان عن ظهر غنىً ، وابدأ بمن تعول)) ..... وأمّا بالنسبة لقول أبي هريرة في نهاية الحديث : ((لا هذا من كيس أبي هريرة)) فقد شُرح في فتح الباري بشرح صحيح البخاري كما يلي :

[[وقع للإسماعيلي من طريق أبي معاوية عن الأعمش بسند حديث الباب ((قال أبو هريرة : تقول امرأتك ..... إلخ)) وهو معنى قوله في آخر حديث الباب : ((لا هذا من كيس أبي هريرة)) ووقع في رواية الإسماعيلي المذكورة : ((قالوا يا أبا هريرة شيء تقول من رأيك أو من قول رسول الله ﷺ ؟ قال : هذا من كيسي)) وقوله من كيسي هو بكسر الكاف للأكثر أي من حاصله إشارة إلى أنَّه من استنباطه ممّا فهمه من الحديث المرفوع مع الواقع ، ووقع في رواية الأصيلي بفتح الكاف أي من فطنته]] ..

صحيح البخاري (٦٢٨٠) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا كُنْتُ لأقِيمَ حَدًّا عَلَى أَحَدٍ فَيَمُوتَ فَأَجِدَ فِي نَفْسِي إِلا صَاحِبَ الْخَمْرِ فَإِنَّهُ لَوْ مَاتَ وَدَيْتُهُ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسُنَّهُ

صحيح البخاري (٦٣٤٢) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إِلا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ

صحيح مسلم (٣٢١٩) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَدَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ وَدَنَا النَّاسُ مِنْ الرِّيفِ وَالْقُرَى قَالَ مَا تَرَوْنَ فِي جَلْدِ الْخَمْرِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخَفِّ الْحُدُودِ قَالَ فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمَانِينَ ....

صحيح مسلم (٣٢٢١) :

حَدَّثَنِي ....عَنْ عَلِيٍّ قَالَ مَا كُنْتُ أُقِيمُ عَلَى أَحَدٍ حَدًّا فَيَمُوتَ فِيهِ فَأَجِدَ مِنْهُ فِي نَفْسِي إِلا صَاحِبَ الْخَمْرِ لأَنَّهُ إِنْ مَاتَ وَدَيْتُهُ لأنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسُنَّهُ ....

صحيح مسلم (٣٢٢٢) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لا يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ عَشَرَةِ أَسْوَاطٍ إِلا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ

❁ ❁ ❁

البخاري (٥٦٨٨) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا

مسلم (٤١٩٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا

مسلم (٤١٩٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا

البخاري (٥٦٧٩) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ حِكْمَةً

مسلم (٤١٨٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ هِيهْ فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقَالَ هِيهْ ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فَقَالَ هِيهْ حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ ....

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري[٢٣] (٥٠٢١) :

[23] – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النص التالي لتبرير الاختلاف بين الروايتين :

[[قال ابن التين : إمّا أن تكون إحدى الروايتين وهماً أو يكون ذلك وقع مرتين .. قلت الثاني بعيد لاتحاد المخرج ، وأجاب الكرماني بأنّ لا منافاة إذ التخصيص بالعدد لا ينفي الزائد ، وفيه نظر ، وإلاّ لما كان لذكره فائدة . والأولى أن يُقال : إنَّ القسمة أوّلاً اتفقت خمساً خمساً ثم فضلت فضلة فقسمت ثنتين ثنتين فذكر أحد الراويين مبتدأ الأمر والآخر منتهاه ، وقد وقع في الحديث اختلاف أشد من هذا فإنَّ الترمذي أخرجه من طريق شعبة عن عبّاس الجريري بلفظ : ((أصابهم جوع فأعطاهم النبي ﷺ تمرة تمرة)) وأخرجه النَّسائي من هذا الوجه بلفظ : ((قسم سبع تمرات بين سبعة أنا فيهم)) ، وابن ماجه وأحمد من هذا الوجه بلفظ : ((أصابهم جوع وهم سبعة فأعطاني النبي ﷺ سبع تمرات لكلِّ إنسان تمرة)) وهذه الروايات متقاربة المعنى ومخالفة لرواية حمّاد بن زيد عن ابن عبّاس ، وكأنها رجحت عند البخاري على رواية شعبة فاقتصر عليها وأيّدها برواية عاصم لأنها توافقها من حيثية الزيادة على الواحدة في الجملة]] ..

حَدَّثَنَا ....قَالَ تَضَيَّفْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ....وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ تَمْرًا فَأَصَابَنِي سَبْعُ تَمَرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ حَشَفَةٌ

صحيح البخاري (٥٠٢٢) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَنَا تَمْرًا فَأَصَابَنِي مِنْهُ خَمْسٌ أَرْبَعُ تَمَرَاتٍ وَحَشَفَةٌ ثُمَّ رَأَيْتُ الْحَشَفَةَ هِيَ أَشَدُّهُنَّ لِضِرْسِي

❁ ❁ ❁

صحيح مسلم (٤٣٧٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَقَالَ لَهُ أَجِبْ رَبَّكَ قَالَ فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا قَالَ فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ.......

صحيح البخاري (١٢٥٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ ....

❁ ❁ ❁

.. ولنقارن بين حقيقة مشهورة لا خلاف فيها ، وهي زواج النبي ﷺ من أم حبيبة قبل فتح مكّة بفترةٍ زمنيّة تُقَدَّر بالسنين ، وبين قولِ أبي سفيان في الحديث التالي ((يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ قَالَ نَعَمْ قَالَ عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا قَالَ نَعَمْ)) الذي يُنسبُ إليه بعد فتح مكّة ، أي بعد زواج النبي ﷺ من أم حبيبة بسنين ..

صحيح مسلم (٤٥٥٧)[٢٤] :

حَدَّثَنِي .... حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ قَالَ نَعَمْ قَالَ عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ نَعَمْ



.. لنقارن قولَه تعالى :

---

(24) – هذا نقلٌ حرفي من (صحيح مسلم بشرح النووي) ، فيما يخصّ هذا الحديث :

[[....... واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال ، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة ، وهذا مشهور لا خلاف فيه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل .. قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور : تزوجها سنة ست ، وقيل : سنة سبع . قال القاضي عياض : واختلفوا أين تزوجها ؟ فقيل : بالمدينة بعد قدومها من الحبشة ، وقال الجمهور : بأرض الحبشة . قال : واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك ؟ فقيل : عثمان ، وقيل : خالد بن سعيد بن العاصي بإذنها ، وقيل : النجاشي لأنه كان أمير الموضع وسلطانه . قال القاضي : والذي في مسلم هنا أنه زوّجها أبو سفيان غريب جداً . وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور . و لم يزد القاضي على هذا . وقال ابن حزم : هذا الحديث وهم من بعض الرواة ؛ لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر ، وهي بأرض الحبشة ، وأبوها كافر . وفي رواية عن ابن حزم أيضا أنه قال : موضوع ، قال : والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل . وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله هذا على ابن حزم ، وبالغ في الشناعة عليه . قال : وهذا القول من جسارته فإنه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار ، وإطلاق اللسان فيهم ....]] ..

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : ٣٩]

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يـس : ٥٤] ..

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثـية : ٢٨] ..

.. لنقارن هذه الآيات الكريمة – والكثير غيرها – التي تُؤكّد أنّ الإنسان يُجزى بعمله وليس بعمل غيره ، مع الحديثين التاليين ..

صحيح مسلم (٤٩٦٩) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَاكُكَ مِنْ النَّارِ

صحيح مسلم (٤٩٧٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا ....

صحيح مسلم (٤٩٧١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ....

❁ ❁ ❁

.. ولنقارن بين قوله تعالى ..

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩]

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف : ٢٩]

.. لنقارن بين هذه الآيات – والكثير غيرها – التي تؤكّد حريّة الاختيار في الـدين ، وصون حريّة المعتقد ، والتي عمل بها ﷺ .. لنقارنها مع الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري (٣٧٩) :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ......

صحيح مسلم (٣١) :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ...

صحيح البخاري ، حديث رقم : (٦٤١٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .... وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ مُوثَقٌ قَالَ مَا هَذَا قَالَ كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ قَالَ اجْلِسْ قَالَ لَا أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ ....

❁ ❁ ❁

.. ولنقارن الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، التي يصف الله تعالى فيها خلق رسوله ﷺ ... لنقارنها مع الروايات التالية ...

صحيح البخاري[٢٥] (٤٨٥٣) :

(25) – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النصوص التالية من شرح هذا الحديث : [[((والسوقة عندهم من ليس بملك كائناً من كان ، فكأنها استبعدت أن يتزوّج الملكة من ليس بملك ، وكان ﷺ قد خُيِّر أن يكون ملكاً نبيّاً فاختار أن يكون عبداً نبيّاً تواضعاً منـه ﷺ لربِّـه ، ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها ، وقال غيره : يحتمل أنها لم تعرفه ﷺ

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشَّوْطُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْلِسُوا هَا هُنَا وَدَخَلَ وَقَدْ أُتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَبِي نَفْسَكِ لِي قَالَتْ وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ قَالَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ فَقَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَقَالَ قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا ....

صحيح مسلم (٤٩٧٥)[٢٦] :

فخاطبته بذلك ، وسياق القصّة من مجموع طرقها يأبى هذا الاحتمال)) ..

((قدم النعمان بن أبي الجون الكندي على رسول الله ﷺ مسلماً فقال : يا رسول الله ألا أزوجك أجمل أيم في العرب ، كانت تحت ابن عمّ لها فتوفّي وقد رغبت فيك ؟ قال : نعم . قال : فابعث من يحملها إليك . فبعث معه أبا أُسيد الساعدي)) ..

((ووقع في رواية ابن سعد ((فأهوى إليها ليقبِّلها ، وكان إذا اختلى النساء أقعى وقبل)) ..

وفي رواية لابن سعد : ((فدخل عليها داخل من النساء ، وكانت من أجمل النساء ، فقالت : إنّك من الملوك فإن كنت تريدين أن تحظي عند رسول الله ﷺ فإذا جاءك فاستعيذي منه ..

ووقع عنده عن هشام بن محمد عن عبد الرحمن بن الغسيل بإسناد حديث الباب ((أن عائشة وحفصة دخلتا عليها أول ما قدمت فمشّطتاها وخضبتاها ، وقالت لها إحداهما : إنَّ النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول : أعوذ بالله منك]] ..

[26] – بالنظر إلى النصّ التالي من صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصّ هذا الحديث ، نرى – بشكلٍ جليٍّ – كيفَ أنّ بعضَ نصوص شرح الحديث وُضعت من أجل عدمِ الاعتراف بعدمِ صحةِ تلك الأحاديث ، وأنَّهُ لا يُوجد رابطٌ منطقيٌّ بين ذلك الشرح من جهة ، وبين حقيقة صياغة نصوص الأحاديث من جهةٍ أُخرى :

[[**قيل** : **لعله** كان منافقا ومستحقا للقتل بطريق آخر ، وجعل هذا محركاً لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا ، وكفَّ عنه علي – رضي الله عنه – اعتمادا على أن القتل بالزنا ، وقد علم انتفاء الزنا . والله أعلم]] ..

حَدَّثَنِي .... عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ اخْرُجْ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ

صحيح البخاري (٤٧٢٥)[٢٧] :

.... وَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا فَمَا أَدْرِي أَشَيْءٌ كَانَ لَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً ....

صحيح مسلم (٢٤٩١) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ

---

(27) – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النصّ التالي فيما يخصّ هذا الحديث :

[[....... قولُهُ : (أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال) وقع في رواية المستملي " بعشرة " بالموحدة المكسورة بدل الفاء المفتوحة ، وبالفاء أصح ، وهي رواية الإسماعيلي وغيره . والمعنى أن إطلاق الأجل محمول على التقييد بثلاثة أيام بلياليهن . قوله (فإن أحبا) أي بعد انقضاء الثلاث (أن يتزايدا) أي في المدة ؛ يعني تزايدا . ووقع في رواية الإسماعيلي التصريح بذلك ، وكذا في قوله أن يتتاركا أي يتفارقا تتاركا . وفي رواية أبي نعيم " أن يتناقضا تناقضا " والمراد به التفارق . قوله (فما أدري أشيء كان لنا خاصة أم للناس عامة) ووقع في حديث أبي ذر التصريح بالاختصاص أخرجه البيهقي عنه قال " إنما أحلت لنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة النساء ثلاثة أيام ، ثم نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم " . قوله (وقد بينه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ) يريد بذلك تصريح علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عنها بعد الإذن فيها ، وقد بسطناه في الحد الأول ....]] ..

وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ ....

صحيح مسلم (١٨٥٤) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَلَكِنَّهُ أَمْلَكُكُمْ لإِرْبِهِ

صحيح مسلم (٤٤١) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَأْتَزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ

صحيح مسلم (٤٠٣٠) :

حَدَّثَنَا....... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلا النَّصَارَى بِالسَّلامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ ....

صحيح مسلم (٣٤٣٥) :

و حَدَّثَنِي .... قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ كَيْفَ قَالَ يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ قَالَ قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ قَالَ تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ

.. صحيح مسلم (٣٥٣٥)[٢٨] :

---

[28] – هذا نقلٌ حرفيٌّ من صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصّ هذا الحديث :

[[قوله : (**تفلي**) بفتح التاء وإسكان الفاء ، فيه : جواز فلي الرأس **وقتل القمل منه** ، ومن غيره ، قال أصحابنا : **قتل القمل وغيره من المؤذيات** مستحب]] ..

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

صحيح البخاري ، حديث رقم : (٢١٨٧) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ سَرِّحْ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

❁ ❁ ❁

.. لنقارن بين قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ** ﴾ [الضحى : ٦ – ٨] ، الذي يُبيّنُ الله تعالى فيه أنّه أغنى نبيّه ﷺ ، وبالتالي لم يجعله محتاجاً لأحد .. لنقارن هذه الحقيقة مع الروايات التالية التي يُزعمُ بها أنَّ النبيّ ﷺ تُوفّي ودرعه مرهون من أجل شعيرٍ لأهله .. والأهم من كلِّ ذلك أنّ هذا الدرع كان مرهوناً ليهودي ، وكأنّه لا يُوجَد في الأمّة من يكفي النبيّ ﷺ ذلك ..

البخاري (٢٧٠٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ ....

الترمذي (١١٣٥) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ بِعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَخَذَهُ لِأَهْلِهِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

النسائي (٤٥٧٢) :

أَخْبَرَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ لِأَهْلِهِ

أحمد (٢٠٠٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَلَى ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَخَذَهَا رِزْقًا لِعِيَالِهِ

❁ ❁ ❁

.. ولنقارن دلالات الصورة القرآنيّة التالية : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٦ – ٩٧] ، والتي عمل بها ﷺ ، مع دلالات الأحاديث التالية :

صحيح البخاري ، حديث رقم : (١٧١٥) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ اقْتُلُوهُ

صحيح البخاري ، حديث رقم : (٢٨١٧) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ اقْتُلُوهُ

صحيح مسلم ، حديث رقم : (٢٤١٧) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ مِغْفَرٌ فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ ابْنُ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ اقْتُلُوهُ فَقَالَ مَالِكٌ نَعَمْ

❁ ❁ ❁

.. نحن نعلم – من كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) – أنّ وسوسةَ الشيطان كانت لآدمَ عليه السلام ، وله ولزوجه ، ولم تكن لزوجه فقط :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠]

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طـه : ١٢٠]

.. فالقرآن الكريم لم يذكر – أبداً – أنّ الشيطان وسوس لحواء كي تزيّن لآدم عليه السلام ارتكاب الخطيئة ..

.. ويبيّن لنا القرآنُ الكريمُ أنّه : **﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾** [فاطر : ١٨]

.. لنقارن بين هذه الحقائق القرآنيّة من جهة ، وبين الصياغة اللغويّة للحديث التالي ، دون أن نُضيفَ لها معاني من جيوبنا ، لا تحملُها هذه الصياغةُ لا من قريب ولا من بعيد :

صحيح البخاري (٣٠٨٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ يَعْنِي لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزْ اللَّحْمُ وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنَّ أُنْثَى زَوْجَهَا

صحيح مسلم (٢٦٧٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ

مسند أحمد (٨٢٤٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا

❁ ❁ ❁

.. ويُبين لنا اللهُ تعالى في كتابه الكريم ، أنّ وصفَ الرسول محمّد ﷺ بالرجل المسحور ، هو قول الظالمين ، وأنّه ﷺ قد عصمه الله تعالى من الناس ..

﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٧]

﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الفرقان : ٨]

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧]

.. لنقارن هذه الحقيقة القرآنيّة ، مع الصياغة اللغويّة للحديث التالي ..

صحيح بخاري (٣٠٢٨) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ اللَّيْثُ كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ ....

صحيح بخاري (٥٣٢١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ ....

صحيح مسلم (٤٠٥٩) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ ....

❁ ❁ ❁

صحيح البخاري (٤٦١٥) :

حَدَّثَنَا .... سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

صحيح البخاري (٤٦١٨) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ

صحيح مسلم (٤٥٠٤) :

حَدَّثَنَا .... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ فَبَدَأَ بِهِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ

صحيح مسلم (٤٥٠٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ

صحيح البخاري (٣٤٧٥) :

.... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ لا أَدْرِي بَدَأَ بِأُبَيٍّ أَوْ بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ

.. بعد قراءة الأحاديث الخمسة السابقة ، لننظر إلى الأحاديث التالية ، دون أن ننسى قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩]

صحيح البخاري (٤٥٩٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا – المقصود بكذا وكذا أنّ المعوذتين ليستا من كتاب الله تعالى – فَقَالَ أُبَيٌّ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

صحيح البخاري (٤٥٩٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مسند أحمد[٢٩] (٢٠٢٤٥) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ الأَعْمَشُ وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْنَا عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقِيلَ لِي فَقُلْتُ

مسند أحمد (٢٠٢٤٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قُلْتُ لأَبَيِّ بْنِ كَعْبٍ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام قَالَ

(29) – رأينا في النظرية الأولى (المعجزة) كيف أنَّ كلمة قالوا من المخلوقات ترد في كتاب الله تعالى (٣٣٢) مرّة ، وأن كلمة قل من الله تعالى ترد أيضاً (٣٣٢) مرّة ، ومعلوم أنّ المعوِّذتين فيهما كلمتا (قل) ، فلو كانت المعوِّذتان ـــ كما يُزعم ويُدسّ في هذه الروايات على لسان من يُوصي الرسول ﷺ بأخذ القرآن منهما ـــ ليستا من كتاب الله تعالى ، لاختلت هذه المعادلة ... وفي هذا دليلنا على أنّ المنطق العقلي في تدبُّر آيات كتاب الله تعالى هو ـــ في بعض المسائل ـــ أوثق من بعض الروايات ، كما نرى في هذه المسألة ..

لَهُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَقُلْتُهَا فَقَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقُلْتُهَا فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

❁ ❁ ❁

.. لنقارن بين كون صياغةِ النصّ القرآنيّ معجزةً يستحيلُ على البشر الإتيان مثلها ، وأنّها لم تنـزل على بشرٍ غير محمّد ﷺ ، ولم يعلم بها بشرٌ قبله ﷺ .. لنقارن بين ذلك وبين دلالات الحديث التالي ..

البخاري (٤٥٣٥) :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ : **﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾** ، فَنَزَلَتْ هَذِه الْآيَةُ

❁ ❁ ❁

.. لنقارن الآيتين التاليتين في كتاب الله تعالى ..

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢]

.. لنقارهما مع ما يُفهم من الصياغة الحرفية للأحاديث التالية دون أن نفرض عليها معاني من جيوبنا ..

صحيح البخاري (٢٩٨٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي جِبْرِيلُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ أَوْ لَمْ يَدْخُلْ النَّارَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ

صحيح مسلم (١٦٥٥) :

و حَدَّثَنَا....... قَالَ ذَاكَ جِبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ فَقَالَ بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ نَعَمْ قَالَ قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ نَعَمْ قَالَ قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ نَعَمْ وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ

صحيح البخاري (٦٩٥٣) :

حَدَّثَنَا....... قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَالَ أَصَبْتُ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ فَقَالَ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ أَصَابَ ذَنْبًا قَالَ قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ

صحيح مسلم (٤٧٤٤) :

حَدَّثَنِي .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ وَاللَّهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنْ الْمُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ

صحيح مسلم (٤٧٤٦) :

حَدَّثَنِي .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ شَجَرَةً كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَطَعَهَا فَدَخَلَ الْجَنَّةَ

صحيح مسلم (٤٩٧١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

صحيح بخاري (٥٣٧٩) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ ....

صحيح مسلم (١٣٨) :

حَدَّثَنِي .... أَنَّ أَبَا ذَرٍّ حَدَّثَهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ

صحيح البخاري (٣١٨٠) :

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ قَالَ حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ <u>أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ</u> قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ

صحيح مسلم (٤٩٦٧) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ

البخاري : (٥٩٢٦) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ

مسلم : (٩٣٩) :

حَدَّثَنِي .... عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ....

أحمد (٦١٩١) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ

❁ ❁ ❁

.. في معركتي الجمل وصفّين وغيرهما ، وفي سبيلهما ، التقى الصحابة بسيوفهم وتقاتلوا فيما بينهم وقطّعوا رؤوس بعضهم ، وقُتِلَ – على سبيل المثال – طلحة والزبير ، في سبيلِ تلك المعارك ..

.. فعلي وطلحة والزبير التقوا بسيوفهم ، وفي سبيل تلك المعارك قُتل طلحة والزبير ... كيف نُوفِّق – من هذا المنظار – بين الحديث التالي من جهة :

البخاري : (٣٠) :

حَدَّثَنَا .... فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ

.. وبين الحديثين التاليين من جهةٍ أُخرى ، دون أنْ نُطلِّقَ عقولَنا ..

مسلم : (٤٤٣٨) :

و حَدَّثَنَا .... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ

أحمد (١٥٨٥) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ

❁ ❁ ❁

.. كيف نفهم الأحاديث التالية من منظار معركة الجمل وغيرها ، حيث كان الخروج على الأمير بعد أن تتمَّ مبايعته ..

مسلم : (٣٤١٨) :

و حَدَّثَنِي .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي .... و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ حَيْوَةَ أَنَّ أَبَا يُونُسَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَقَالَ مَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ وَلَمْ يَقُلْ أَمِيرِي وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

أحمد : (٧١٢٥) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ وَقَالَ وَكِيعٌ الْإِمَامَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي وَقَالَ وَكِيعٌ الْإِمَامَ فَقَدْ عَصَانِي

أحمد : (٩٦٥٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَلْقَمَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي

❁ ❁ ❁

.. بعد هذا الإبحار في بعضِ نصوص الحديث في كتب الصِّحاح ، تتجلَّى أمام أعيننا الأمانة العظيمة التي اتَّصف بها الأئمة مخرجو هذه الأحاديث ، وحرصهم على نقل ما وصلهم – حسب شروطهم التي وضعوها – لرصد الحقيقة التي يرونها من كلِّ أطرافها حتى لا يضيع منها شيءٌ ..

فليس من المعقول أن يغفل الأئمة مخرجو الأحاديث عن أوجه الاختلاف التي رأيناها بين بعض الأحاديث .. ولكنَّ الأمانة العلميَّة وعصبيَّتهم للحقّ ، اقتضت منهم تصنيف هذه الأحاديث في صحاحهم لأنَّها وقعت ضمن ساحة شروطهم – المعتمدة على السند دون المتن – التي وضعوها لتصنيف الصحيح من هذه الأحاديث ، حسب ما يرى كلٌّ منهم من منظار شروطه التي وضعها للصحّة .. وهذا دليلٌ على إلزام أنفسهم الكامل بالمنهجيَّة التي وضعوها ، ودليلٌ على أنَّ عصبيَّتهم لهذه المنهجيَّة أكبر من عصبيَّتهم لآرائهم

وتصوّراهم الخاصّة بكلٍّ منهم ، ولذلك نرى أن الحديث يكون صحيحاً عنـد أحـدهم وليس صحيحاً عند مخرجٍ آخر ، وإن كان من منظار أحدهم أنّ الحديث غير الـصحيح عنده أقرب عقلاً ومنطقاً إلى كتاب الله تعالى ..

وسبب ذلك أنّ الأئمة مخرجي الأحاديث كان اهتمامهم بالسَّند أكبر من اهتمـامهم بالمتن ، فهم يقولون لنا – من خلال ما رأينا – نحن مؤرِّخون ، نرصد – ضمن شـروطٍ منهجيَّة خاصَّة بكلٍّ منا معظم تعلُّقها بالسَّند دون المتن – ما وصلنا عن فترة الرسـالة ، وهذا لا يعني أنّ كلّ ما وصلنا – حتى ما هو ضمن ساحة شروطنا – صحيحٌ .. فليس من المعقول أن يعتقد البخاري ومسلم وغيرهم أنَّ رسول الله ﷺ عاش – كما رأينا – سـتين عاماً وعاش ثلاثاً وستين عاماً وعاش خمساً وستين عاماً في الوقت ذاته ، وليس من المعقول أن يعتقدوا أن سليمان عليه السلام قال – في موقفٍ واحدٍ كما رأينا – لأطـوفنَّ الليلـة على مائة من نسائي ، وعلى تسعٍ وتسعين ، وعلى تسعين وعلى سبعين ، في الوقت الذي يُوجد عنده ستّون امرأة ..

.. وليس من المعقول أنَّ المؤمنَ بقولِ الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ليس من المعقول أن يعتقدَ أنَّ إرضاع من بلغَ مبلغَ الرجالِ ومن عقلَ ما عقلوا وأصبحَ ذا لحية ، يُصبح محرّماً على من يرضع منها ..

.. ولو كان الشرح الذي رأيناه لتبرير الاختلاف بين هذه الروايات والذي أتانا بعد قرونٍ[٣٠] من إخراج هذه الروايات .. لو كان مُراداً من قبل مخرجـي هـذه الروايـات لأشاروا هم إليه ، ولما تركوا رواياهم دون شرح تلك القرون ..

---

[30] – فعلى سبيل المثال توفي الإمام البخاري سنة (٢٥٦) هجري وولد أحمد بن علي بـن حجـر العسقلاني صاحب كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري سنة (٧٧٣) هـ .. وتوفي الإمـام مسلم سنة (٢٦١) هجري وولد الإمام النووي صاحب كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي سنة (٦٣١) هجري ..

المشكلة تكمنُ — في معظمها — في المتأخرين الذين وضعوا هذه الروايات في أعلى مراتب التقديس الذي لا يقبل حتى مجرَّد النظر إليها من باب إدراك الاختلاف بينها ، لدرجة أصبحت بها هذه الروايات فوق كتاب الله تعالى .. نعم ـ نحن نعي ما نقول ـ وضعوها فوق كتاب الله تعالى ، والدليل هو أنّ بعضها أصبح — من منظارهم — ناسخاً لبعض آيات كتاب الله تعالى ..

.. لقد قمنا — في هذا الفصل — بعرضِ بعضِ الجوانب من بعضِ الأحاديث المتناقضة للمسألةِ ذاها ، دون أيِّ تعقيب ، وَعَرَضنا في الهامش كيف حاول بعضُ شارحي هذه الروايات التحايل في شرحهم على الدلالات الواضحة وضوح الشمس ، بغية عدم الإقرار بهذا التناقض .. ولو أردنا التعقيب على هذا التناقض وعلى التحايل في شرح الروايات المتناقضة بغية طمس هذا التناقض ، لقلنا الكثير .. فالقارئ يستطيعُ استنباط ذلك ، أو — على الأقل — يتهيّأُ أكثرَ للتفاعل مع البراهين التي سنعرضها في الفصلين القادمين ..

.. فالتناقضُ بيِّنٌ وجليٌّ في صياغةِ هذه الروايات ، والتحايلُ في شرح هذه الروايات بغيةَ طمس التناقض بينها ، لا يحملُ ذرّةً من دليل في حيثّيات الصياغة اللغويّة لهذه الروايات .. ولو أجزنا لأنفسنا التلاعبَ في دلالات الصياغة اللغويّة لهذه الروايات ، كما هو الحال في تحايل بعض شارحي هذه الروايات ، لما بقي لقواعد اللغة معنى ، ولأجزنا لغيرنا شرح هذه الروايات بحيث تُلبَّس كلُّ رواية منها بأيّ قصّة من قصص الرسوم المتحرّكة ..

.. فعلى سبيل المثال ، رأينا كيف تمّ التحايل لتبرير التناقض بين قول أبي هريرة المنسوب إلى الرسول ﷺ : ((لا عدوى)) وبين قولِه المنسوب إلى رسول ﷺ : ((**لا يُورد ممرضٌ على مصح**)) ..

.. هذا التحايل ينكره أبو هريرة ذاتُه ، لأنّه أنكر قولَه المنسوب إلى الرسول ﷺ : ((لا عدوى)) والذي تمّ إقراره في كتب الصحاح ذاها .. فكيف — إذاً — يتمّ تبرير التناقض بين قولين منسوبين لأبي هريرة وأبو هريرة ذاتُه أنكرَ — في الصحاح — أحدَ هذين القولين

من أصله ، ورطنَ بالحبشيّة حينما ذُكِّرَ به ؟ !!!!! .. فبأيٍّ لغةٍ سيرطن أبو هريرة لو قُدِّرَ له أن ينهضَ من قبره ويسمع شرحَهُم عن قولِه – في الصحاح – الـذي يُنكـرُه – في الصحاح – وذلك من خلال محاولتهم لتبرير التناقض بين قولين لا يمكن الجمعُ بينهما إلاّ بإلغاء العقل من أساسه ..

.. وأيُّ فطرةٍ نقيّة وأيُّ عقلٍ سليمٍ يُصدّقُ أنْ الرجلَ الطاهر العفيفَ الـذي تـزوّجَ امرأةً تكبرُهُ بسنين كثيرة وبقي معها سنين كثيرة حتى أصبحت عجوزاً توشك الدخول في السبعين ، دون أن يتزوّجَ عليها ودون أن يعرفَ غيرَها من النساء ، والذي بقي سنين بعد موتها دون أن يتزوّج .. كيف يمكنُ لهذا العقل السليم أن يصدّقَ أنّ هذا الرجل الطـاهر النقي بعد كلّ ذلك ، وبعدَ أن تجاوز منتصف الخمسينات ، قد أعطي قوّةً جنسيّة تعـادل ثلاثين رجلاً ، وأصبح – فجأةً – يطوفُ على إحدى عشر امرأة في الساعة الواحدة مـن الليل وبغسلٍ واحد ؟!!!!!!! ، وأنّه – بعد كُلِّ ذلك العفاف في شبابه – أصبحَ يُقبّلُ تلك النساء وهو صائم ، ويباشرهنّ وهو صائم ، وهنّ في فور حيضاتهن ؟!!!!!!! ..

.. أيُّ إساءة تلك التي رأيناها لشخص النبيّ ﷺ عبر الروايات التي تُصوِّرُهُ رجلَ شهوة يقضي الليل في الطواف على نسائه ؟!!!!!!! .. وأيُّ غباءٍ ذلك الذي يملأ دماغَ مَنْ يدافع عن تلك الروايات ، معتقداً أنّه بذلك ينتصرُ للنبيّ ﷺ ولسنّته الشريفة ؟ !!!!!!! ..

.. وكيف يعرض أبو سفيان ابنتَه أمَّ حبية على النبيِّ ﷺ ليتزوّجها ، وهو ﷺ زوجٌ لها قبل هذا العرض بسنين ؟!!!!!!! ..

.. وكيف يأمر الرسول ﷺ بضرب عنق رجلٍ لمجرّد أنّه اُتّهم بأمّ ولد النبيّ ﷺ ودون أن يتبيّن ﷺ من تلك التهمة الباطلة ، وهو ﷺ الذي نزل عليه قولُه تعالى ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ** ﴾ [الحجرات : ٦] ؟!!!!!!! ، ولولا أنّ هذا الرجل كان في فِي رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا ولولا أنّه تبين لعليٍّ رضي الله تعالى عنه أنّه مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ ، لولا ذلك ، لذهب

عنق ذلك البريء في خبر كان .. فهل يُعقل لمن يصفُه الله تعالى بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، أن يقضي مثل هذا الحكم ؟!!!!!!! ..

.. أيُّ منطقٍ ذلك الذي يجعلنا نُصدّقُ روايةً تُصوِّرُ لنا رجلاً تتوفّاه ملائكةُ الرحمة دون ملائكة العذاب ، على الرغم من أنّه لم يعمل خيراً قط في حياته التي يَقْتُلُ فيها مائة نفس ؟!!!!!!! .. وأيُّ تيهٍ يملأ نفسَ مَنْ يدافع عن مثلِ تلك الرواية ، معتقداً أنّه بذلك ينتصرُ لمنهجِ الله تعالى ؟ !!!!!!! ..

.. وكيف تُحَمَّلُ ذنوبنا – يوم القيامة – على اليهود والنصارى ، فالمسلمُ إن استحقّ النارَ بعمله ، بدلاً من دخوله النار ، يُدْخِلُ اللهُ تعالى النارَ – بدلاً منه ومكانه – يهوديّاً أو نصرانيّاً ؟!!!!!!! ... وحتى لو طلّقنا عقولَنا وقبلنا بذلك ، لماذا اليهود والنصارى دون غيرهم ، أليس هناك ديانات أُخرى غير اليهود والنصارى ؟!!!!!!! ..

.. لقد رأينا كيفَ أنَّ الموتى يسمعون والميّتَ يُعذّبُ ببكاء أهلِه عليه عند ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، وكيف أنّهم لا يسمعون (والحقيقة أنّهم لا يسمعون) ولا يُعذّب الميّت ببكاء أهله عليه (والحقيقة كذلك) عند عائشة رضي الله تعالى عنها ..

.. كيف يُمكننا أن نقبلَ المتناقضات للحدثِ ذاتِه في الوقت ذاته ؟!!!!!!! .. وكيف نُصدّقُ تبريرات – وُضعت بعد قرون – لتلك المتناقضات ، تُناقضُ الحدَّ الأدنى من المنطق والعقل ومن حيثيّات الصياغة اللغويّة لتلك الروايات ؟!!!!!!! ..

.. وما يُسمّى بتأويل مختلف الحديث ، لا يمتُّ للعلم بشيء ، لأنّه يضعُ نتيجةً مُسبقةَ الصنع وهي أنَّ جميع الروايات صحيحة بغض النظر عن متونها ، ولا بُدّ من التوفيق بينها مهما بلغت درجة القفز فوق قواعد اللغة العربيّة ، ومهما بلغت درجة تطليق العقل في إدراك متون النصوص ، وقد بيّنتُ ذلك بشكلٍ مفصَّل في كتابي (محطّات في سبيل الحكمة) ..

.. إنَّ اعتبار قواعد اللغة العربيّة يعني أن نُدركَ النصوصَ كما هي في صياغتها اللغويّة التي وَصلَت إلينا دون زيادة أو نقصان ، لا أن نتحايل عليها لإخفاء ما لا يمكن

إخفاؤه إلاّ بتطليق العقل من أساسه .. فتفسيرهم لبعض الأحاديث ، وتأويلهم للمتناقض منها ، في الكثير من الحالات هو تحريفٌ للكلم عن مواضعه ..

.. والقول بأنَّ الحديث يُفسِّرُ بعضُه بعضاً كالقرآن الكريم ، يكون صحيحاً عندما تتحقّق الشروط التالية :

١ – عندما لا يُوجَد تعارض بين روايات الأحاديث التي يُزعَم أنّها أطرافٌ لمسألة واحدة ..

٢ – عندما يُوجد في صياغة النصّ القرآني ما يُشيرُ على أنّها أطرافٌ لمسألة واحدة ، وليست جزئيّات متفرّقة لا رابط بينها ..

٣ – ألاّ يحتاج التوفيق بين الأحاديث إلى إدخال جمل أو كلمات من جيوبنا من أجل حصول ذلك التوفيق ، لأنّه في هذه الحالة المفترضة من الممكن للآخرين أن يضيفوا من جيوبهم جملاً لإثبات تناقض أحاديث ليست متناقضة بالأصل ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن .. لماذا وصلت إلينا هذه الروايات المختلفة ــ بل المتناقضة أحياناً ــ للمسألة الواحدة ؟! .. هذا السؤال سنحاول ــ إن شاء الله تعالى ــ الإجابة عليه في الفصل القادم ..



مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

الفصل الثاني

كيف وصلنا الحديث

.. إنّ إدراك صدق روايات الأحاديث التي بين أيدينا ، وماهيّتها ، وحدود الـدلالات التي تحملها عبارات هذه الروايات ، ونصوصها ، لا بدّ له من إدراك المُناخ التاريخي الذي مرَّ على هذه الأمّة في الفترة من وفاة الرسول ﷺ حتى عصر جمع الحديث ، وما حمله هذا المُناخ من عواصف وصراعات وحروب داخلية عصفت بهذه الأمّة ، ولا بُدّ له من معرفة الأرضيَّة الفكريَّة ، والتمثّل السلوكي والأخلاقي لعقيدة الإسلام من قِبَلِ رجـال الجيـل الأوّل حتى رجال فترة جمع الحديث ، وذلك بتجردٍ كامل عن أي عـصبية مذهبيـة أو طائفية ..

.. ولذلك عزمت في هذا البحث أن أقوم بعرض مقاطع من أمَّهات كتـب التـاريخ المعتمدة في عالمنا الإسلامي ، والتي تأخذ بها الأمَّة ، لنرى كيف بدأ الخلاف بين أفراد هذه الأمَّة منذ وفاة النبيّ ﷺ ، حتى الآن .. مرَّة من أجل الاستيلاء على الزعامة الدينيّة لهـذه الأمّة (سياسياً) ، ومرَّة من أجل الاستيلاء على القيادة الفكرية ، ومرَّة من أجل نـصرة مذهب على حساب مذهب آخر ، ومرَّة من أجل نصرة إمام أو فقيه ، أو من أجل ذلّـه والانتقام منه .... إلخ [١] ..

---

[1] – لننظر إلى النصّ التالي المأخوذ من مرجعٍ تاريخيّ معتبرٍ عند الكثير من أبناء الأمّة (الكامل في التاريخ) ، لنرى كيف أنّ تصوير جميع أفراد الجيل الأوّل بصورة ملائكيّة ، وأنّهم – جميعاً – عدول ، لا يختلف – في معيار المنهجيّة العلميّة والموضوعيّة في البحث – عن تصويرهم بصورة شيطانيّة ، ففي كلتا الحالتين نحن أمام عصبيّة هدفها التلبيس على الحقيقة :

.. وتجمع بين يديّ كمٌّ هائل من المقاطع التاريخيَّة ابتداءً من وفاة الرسول ﷺ ، وكيف بدأت ـــ عند بعضهم ـــ الرِّدَّةُ بكلِّ أشكالها وألوانها ، سواء الرّدة العلنية عن كليّة المنهج

[[.................... فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا حكم كتاب الله عزّ وجل بيننا وبينكم ، مَن لثغور الشام بعد أهله ، مَن لثغور العراق بعد أهله ، فلمّا رآها الناس قالوا : نُجيبُ إلى كتاب الله تعالى ، فقال لهم علي : عبادَ الله أمضوا على حقّكم وصدقكم وقتال عدوّكم ، فإنّ معاوية ، وعَمْراً ، وابن أبي معيط ، وحبيباً ، وابن أبي سرح ، والضحاك ، ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن ، أنا أعرَفُ بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً فكانوا شرَّ أطفال وشرّ رجال ، ويحكم ! ، والله ما رفعوها إلاّ خديعة ووهناً ومكيدة .... وحضر عَمْرو بن العاص عند عليّ ليكتب القضية بحضوره فكتبوا : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين)) ، فقال عمرو : (اكتب اسمه واسم أبيه) ، هو أميركم وأمّا أميرنا فلا ، فقال الأحنف : لا تَمْحُ اسمَ أمير المؤمنين ، فإنّي أخاف إنْ محوتها أنْ لا ترجع إليك أبداً ، لا تمحها وإن قتلَ الناس بعضهم بعضاً ، فأبى ذلك عليّ مليّاً من النهار ، ثمّ إنّ الأشعث بن قيس قال : امح هذا الاسم فمحاه ، فقال عليّ : الله أكبر سُنّة بسنّة ، والله إنّي لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية فكتبتُ : (محمد رسول الله) وقالوا : لست برسول الله ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فأمرني رسول الله ﷺ بمحوه ، فقلتُ لا أستطيع ، فقال : أرنيْه ، فأريته فمحاه بيده وقال : (إنّك ستدعى إلى مثلها فتجيب) ، فقال عمرو : سبحان الله أتشبه بالكفّار ونحن مؤمنون ، فقال علي : يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً وللمؤمنين عدوّاً ؟ ، فقال عمرو : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً ، فقال عليّ : إنّي لأرجو أن يطهّر الله تعالى مجلسي منك ومن أشباهك .... وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لو مات أبو موسى الأشعري قبل هذا اليوم — **يعني يوم التحكيم بين علي ومعاوية** — لكان خيراً له ، وقال أبو موسى الأشعري لعمرو : لا وفّقك الله ، غدرتَ وفجرت ، إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، قال عمرو : إنّك مَثَلُكَ مَثَلُ الحمار يحملُ أسفاراً ، فحملُ شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط ، وحمل ابنٌ لعمرو على شريح فضربه بالسوط أيضاً ، وحجّز الناس بينهم ، وكان شريح يقول بعد ذلك : ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عَمرو بالسوط و لم أضربه بالسيف ....]] ..

، أم الردّة الجزئية المتمثلة بوضع الدنيا هدفاً بديلاً عن الآخرة ، وبالانتقام الشخصيّ باسم الدين : **﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾** [آل عمران : ١٤٤] ، فكانت النتيجة ضرب رقاب الكثيرين من المسلمين لأسباب دنيوية[٢] لا علاقة لها بجوهر المنهج ..

---

(2) – ولننظر – أيضاً – إلى هذا النصّ التاريخي ، الموجود في : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير : [[........... وقام محمد بن أبي بكر في الناس وندبهم إلى الخروج إلى عدوّهم مع كنانة بن بشر فانتدب معه ألفان ، وخرج محمد بن أبي بكر بعده في ألفين ، وكنانة على مقدمته ، وأقبل عمرو نحو كنانة فلمّا دنا منه سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة ، فجعل كنانة لا تأتيه إلاّ حمل عليها فألحقها بعمرو بن العاص ، فلمّا رأى ذلك بعث إلى معاوية بن حديج فأتاه في مثل الدهم فأحاطوا بكنانة وأصحابه ، واجتمع أهل الشام عليهم من كلّ جانب ، فلمّا رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه حتى استشهد ، وبلغ قَتْلُه محمد بن أبي بكر ، فتفرّق عنه أصحابه ، وأقبل نحوه عمرو وما بقي معه أحدٌ ، فخرج محمد يمشي في الطريق فانتهى إلى خربة في ناحية الطريق فأوى إليها ، وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر فانتهى إلى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه فقال أحدهم : دخلتُ تلك الخربة فرأيتُ فيها رجلاً جالساً ، فقال ابن حديج : هو هو ، فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، وأقبلوا به نحو الفسطاط ، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان في جنده وقال : أتقتلُ أخي صبراً ! ابعث إلى ابن حديج فانه عنه ، فبعث إليه يأمره أن يأتيه بمحمد ، فقال : قتلتم كنانة بن بشر وأخلّي أنا محمداً ! ، أكفاركم خيرٌ من أولئكم أم لكم براءة في الزّبر ! ، هيهات هيهات ، فقال لهم محمد بن أبي بكر : اسقوني ماءً ، فقال له معاوية بن حديج : لا سقاني الله إن سقيتك قطرةً أبداً ، إنّكم منعتم عثمان شُرْبَ الماء ، والله لأقتلنّك حتى يسقيك الله من الحميم والغسّاق ، فقال له محمد يا ابن اليهوديّة النسّاجة ليس ذلك إليك ، إنّما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويُظْمِئُ أعداءه أنت وأمثالك ، أمّا والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا ، ثمّ قال له : أتدري ما أصنع بك ؟ أُدخلك في جوف حمار ثمّ أحرقه عليك بالنار ، فقال محمد : إن فعلتَ بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأولياء الله ، وإنّي لأرجو أن يجعلها عليك ، وعلى أوليائك ، ومعاوية ، وعمرو ، ناراً

.. ثم عدلت عن عرض هذه المقاطع التاريخيّة لأنّها ستأخذ حيِّزاً كبيراً من هذا البحث ممّا يُدخل على القارئ الملل ، وخصوصاً أنّ الفصل الأوّل كان عرضاً لبعض نصوص الحديث دون تعليق ، ولأنّه بإمكان القارئ الباحث عن الحقيقة العودة إلى أمّهات كتب التاريخ ليرى بأمِّ عينه حقيقة ما نقول ، وكيف تمَّ قتل[٣] عشرات الألوف من الجيل الأوّل (جيل أهل البيت والصحابة) ، على يد إخوانهم من الصحابة ومن أفراد هذا الجيل ، لأسباب لا تتعلَّق بجوهر منهج الإسلام لا من قريب ولا من بعيد ، في الوقت الذي يرى فيه عظمة الفتوحات التي جابت الأرض شرقاً وغرباً ، على أيدي بعضهم نشراً لدين الله

تلظّى كلّما خبت زادها الله تعالى سعيراً ، فغضب منه وقتله ثمّ ألقاه في جِيْفَة حمار ثمّ أحرقه بالنار ، فلمّا بلغ ذلك عائشة جزعتْ عليه جزعاً شديداً ، وقنتت في دُبُر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، وأخذت عيال محمد إليها فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالهم ، ولم تأكل من ذلك الوقت شواءً حتّى توفّيت ....]] ..

[3] – وللنظر – أيضاً – إلى النصّ التالي من ذات المرجع التاريخي : (الكامل في التاريخ ، لابن الأثير) :

[[........... ثمّ قال لعبد الرحمن بن حسان : يا أخا ربيعة ما تقولُ في عليٍّ ؟ ، قال : دعني ولا تسألني فهو خيرٌ لك ، قال : والله لا أدعك ، قال : أشهد أنّه كان من الذاكرين الله تعالى كثيراً ، من الآمرين بالحق ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس ، قال : فما قولك في عثمان ؟ ، قال : هو أوّل من فتحَ أبواب الظلم ، وأغلق أبواب الحق ، قال : قتلت نفسك ، قال : بل إيّاك قتلت ، ولا ربيعة بالوادي – يعني ليشفعوا فيه – فردّه معاوية إلى زيّاد ، وأمره أن يقتله شرّ قتلة ، فدفنه حيّاً .... وقال الحسن البصري : أربعُ خصال كنّ في معاوية ، لو لم تكن فيه إلاّ واحدة لكانت موبقة ، انتزاؤه على هذه الأمّة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ : (**الولد للفراش وللعاهر الحَجَر**) ، وقتله حُجْراً وأصحاب حُجر فيا ويلا له من حُجر ، ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر ....]] ..

تعالى ..

.. وبإمكان الباحث عن الحقيقة أن يعود إلى سير[٤] بعض الصحابة وبعض علماء هذه الأمّة ، ومفكّريها ، ممن يُنظَر إليهم بعين الاحترام والثقة الكاملة ، ليرى كيف تمَّ قتل الكثير منهم على يد رجال أخر يُنظر إليهم من العين ذاتها ، وتمَّ تكفير الكثير منهم ، وتمَّ طرد الكثير منهم ، تحت ستار الإسلام والحرص عليه .. في الوقت الذي يرى فيه كيف سما بعضُ الصحابة ، وبعضُ علماء الأمة ، وبعضُ فقهائها ، فكراً ، وعقيدةً ، وسلوكاً ، وتمثُّلاً لمنهج الله تعالى ..

.. فمقتل[٥] عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه على يد بعضِ المسلمين من أفراد

---

(4) – ولننظر أيضاً إلى النص التالي من : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير :

[[....... وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية ومعه أهل مصر ، فقال لهم عمرو : لا تسلّموا على معاوية بالخلافة ، فإنّه أهيب لكم في قلبه ، وصغّروه ما استطعتم ، فلما دخلوا قال معاوية لحجّابه : كأنّي بابن النابغة وقد صغّر أمري عند القوم ، فانظروا إذا دخل القوم فتعتعوهم أشدّ ما يحضركم ، فكان أوّل من دخل عليه رجلٌ منهم يقال له ابن الخيّاط فقال : السلام عليك يا رسول الله ، وتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمرو : لعنكم الله ، نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة فسلّمتم عليه بالنبوّة ....]]

(5) – ولننظر أيضاً إلى النص التالي من : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير :

[[.......... وقد بغيتَ ، ومنعتَ ، وحلتَ دونَه ، وكابرتَ عليه ، ولم تقد من نفسك من ظلمت ، وقد تمسّكتَ بالإمارة علينا ، فإن زعمتَ أنّك لم تُكَابرنا عليها فإنّ الذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنّما يقاتلون لتمسكك بالإمارة ، فلو خلعتَ نفسك لانصرفوا عن القتال معك ، فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن بن علي ، وابن عباس ، ومحمد بن طلحة ، وعبد الله بن الزبير ، وأشباهاً لهم ، واجتمع إليه ناسٌ كثير فكانت مدّة الحصار أربعين يوماً .... ومنعوه كلَّ شيءٍ حتى الماء ، فأرسل عثمان إلى عليٍّ سرّاً ، وإلى طلحة ، والزبير ، وأزواج النبي ﷺ ، أنّهم قد منعوني الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماءً فافعلوا ، فكان أوّلهم إجابة علي ، وأم حبيبة زوج النبي ﷺ .... وكان آخر من دخل عليه ممن رجع محمد بن أبي

بكر فقال له عثمان : ويلك أعلى الله تغضب ؟ هل لي إليك جرم ألاحقه أخذته منك ؟ فأخذ محمد لحيته وقال : قد أخزاك الله يا نعثل ، فقال : لست بنعثل ولكني عثمان وأمير المؤمنين ، وكان يلقبون به عثمان ، فقال محمد : ما أغنى عنك معاوية ، وفلان وفلان ؟ فقال عثمان : يا ابن أخي فما كان أبوك ليقبض عليها ، فقال محمد : لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك والذي أريد بك أشدُّ من قبضي عليها ، فقال عثمان : أستنصر الله عليك واستعين به ، فتركه وخرج ، وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان في يده والأول أصح .. قال : فلما خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قتيرة ، وسودان بن حمران ، والغافقي ، فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله ، فاستدار المصحف واستقرّ بين يديه ، وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان ليضربه فاكبت عليه امرأته واتّقت السيف بيدها ، فنفح أصابعها فاطن أصابع يدها ، وولّت فغمز أوراكها وقال : إنّها لكبيرة العجز ، وضرب عثمان فقتله ، وقيل الذي قتله كنانة بن بشر التجيبي ، وكان عثمان قد رأى النبيَّ ﷺ تلك الليلة يقول له : إنّك تفطر الليلة عندنا ، فلما قتل سقط من دمه على قوله تعالى ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ ، ودخل غلمة عثمان مع القوم لينصروه ، وكان عثمان قد أعتق من كفّ يده منهم فلما ضربه سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله ، ووثب قتيرة على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت ، وخرجوا ثمّ أغلقوه على ثلاثة قتلى ، فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيرة فقتله ، وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء ، وأخذ كلثوم التجيبي ملاءة من على نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وتنادوا أدركوا بيت المال ولا تسبقوا إليه ، فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه إلاّ غرار فقالوا : النجاة فإنّ القوم إنّما يحاولون الدنيا ، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس ....]] ..

(6) – ولننظر أيضاً إلى النص التالي من : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير :

[[........... فلمّا مات زيّاد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبِلها ، فلمّا ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر : هذا أراد أنّ ديني عندي إذن لرخيص ، وامتنع ، ثمّ كتب بعد ذلك إلى مروان بن الحكم .... فقام مروان فيهم وقال : إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده ، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال : (كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمّة محمد ، ولكنّكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلّما مات هرقل قام هرقل) ، فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه

هذه الأمّة ، بعد حصارٍ استمرّ طويلاً في قلب الخلافة ، وعلى مرأى الكثيرين من الصحابة ومسامعِهِم ، وموقعة الجمل التي راح بها الألوف من المسلمين الأوائل وممن صاحب النبيّ

: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا) فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت : (يا مروان يا مروان) ، فأنصت الناس ، وأقبل مروان بوجهه فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن أنّه نزل فيه القرآن ! ، كذبتَ ، والله ما هو ولكنّه فلان بن فلان ، ولكنّك أنت فضض من لعنة نبيّ الله .... وتكلّم من حضر من الوفود فقال معاوية للأحنف : ما تقول يا أبا بحر ؟ ، فقال : نخافكم إن صدقنا ، ونخاف الله إن كذبنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسرّه وعلانيته ، ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه لله تعالى وللأمّة رضاً فلا تُشاور فيه ، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تُزوِّدْه الدنيا وأنت صائرٌ إلى الآخرة ، وإنّما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا .... ثمّ أقبل على ابن الزبير فقال : هاتِ لعمري إنّك خطيبهم ، فقال : نعم ، نخيّرك بين ثلاث خصال ، قال : أعرضهن ، قال : تصنع كما صنع رسول الله ﷺ ، أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر ، قال معاوية : ما صنعوا ؟ ، قال : قُبض رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحداً ، فارتضى الناس أبا بكر ، قال : ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف ، قالوا : صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر ، فإنّه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه ، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ، ولا من بني أبيه ، قال معاوية : هل عندك غير هذا ؟ ، قال : لا ، ثمّ قال : فأنتم ، قالوا : قولُنا قولُه ، قال : فإنّي قد أحببتُ أن أتقدّم إليكم ، إنّه قد أعذر مَن أنذر ، إنّي كنت أخطب فيكم فيقوم إليّ القائم منكم فيكذّبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح ، وإنّي قائم بمقالة فأُقسم بالله لئن ردَّ عليّ أحدُكُم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقينَّ رجلٌ إلاّ على نفسه ، ثمّ دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال : أقم على رأس كلّ رجل من هؤلاء رجلين ومع كلّ واحد سيف ، فإن ذهب رجلٌ منهم يردّ عليَّ كلمة بتصديق أو تكذيب ، فليضرباه بسيفهما ....]] ..

ﷺ ، والتي كان قادة أطرافها من جلِّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم كعلي وعائشة والزبير و ..... ، وموقعة صفِّين وما تبعها من افتراء ودهاء ومكر يعجز الشيطان ذاته عن تدبيره ، وقتل الكثير من الصحابة ممن شهد لهم رسول الله ﷺ بالتقوى وحسن الختام ، وكيف تمَّ نقل الخلافة من معاوية إلى يزيد عبر منهجٍ استمرَّ طويلاً على مبدأ ((وأمرهم شوربة[٦] بينهم)) ، كبديل عن المنهج الذي يُريدُهُ الله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] ، ومجزرة كربلاء ، و .... ومحنة أبي حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل والبخاري و .... كلّ ذلك ـــ إضافة للفتوحات العظيمة ـــ حقائق لا بُدَّ من مواجهتها وإدراك حقيقة دوافعها لفهم مُناخ ما بين أيدينا من الروايات ..

.. ولا يمكن تبرير هذه الحقائق – نعني الحروب الداخلية والفتن والمآسي – على أنّها من أجل روح الإسلام (الذي يريده الله تعالى لا الذي يريده بعض البشر) ، وأنّها حصلت عن طيب نيَّة وعَن غيرِ قصد ، وأنّ مقترفي هذه المذابح والمحن ومفتعليها ملائكة أعمالهم وأقوالهم سنَّة مقتبسة من رسول الله ﷺ ، يُكفّر من يُفكِّر – مجرَّد تفكير – بالتشكيك بعدالتهم ، أو بالنظر إلى تلك الأعمال والأقوال نظرة بحثٍ مجرّدٍ عن قدسيَّتهم ..

.. كيف نبرِّر – كفكر وكتمثُّل للمنهج – لصحابي قتل صحابي آخر ، ونعدُّ ذلك عَن حسن نيَّة وأنه من أجل خدمة الإسلام ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النِّساء : ٩٣]

.. وفي الوقت ذاته .. كيف نجحد فضل بعض (وليس كل) الرجال الأوائل ، أولئك الذين رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه ، كما يؤكّد الله تعالى في كتابه الكريم .. **﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾** [التوبة : ١٠٠]

.. كيف يُبَرِّرُ – كفكر وكتمثُّل للمنهج – قَتْلَ عشرات الألوف من أفراد الجيل الأوّل ومن الصحابة ، على يد إخوانهم من الصحابة ومن ذلك الجيل ، مَنْ يُؤمنُ بالأحاديث التالية عن رسول الله ﷺ ..

صحيح البخاري (٤٠٥١) :

حَدَّثَنَا .... وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَلا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ ....وَقَالَ ....أَلا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلا هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثاً وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ انْظُرُوا لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ

صحيح البخاري (٤٦) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ

صحيح البخاري (١٦٢٥) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ .... فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ أَلا هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ

صحيح البخاري (٣٠) :

حَدَّثَنَا ....فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ

صحيح البخاري (١٦٢٣) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ ....فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فَأَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ

الْغَائِبَ لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ

صحيح البخاري (٦٥٥٢) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَرْتَدُّوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ

.. وفي الوقت ذاته .. كيف نجحد أعمال بعض أفراد الجيل الأوّل الذين انتشر الإسلام على أيديهم ، فكانوا السبب في وصوله إلينا بعد هذه القرون ؟! ..

.. إذا كُنّا من الباحثين عن الحقيقة ، علينا أن نبحث ونحاول إدراك الفارق بين مُراد الله تعالى في منهجه ، وبين تصوّرات البشر ومرادهم في هذا المنهج ، أي علينا أن ندرك الفارق بين التدبّر المجرّد لمنهج الله تعالى من جهة ، وبين التقديس الأعمى لمفاهيم البشر المختلفة حول هذا المنهج من جهةٍ أُخرى ..

.. علينا أن نميّز بين ماهيّة المنهج وجوهر العقيدة من جهة ، وبين تمثّل البشر – سلوكاً وحياة – لهذه العقيدة أثناء سيرهم على طريق هذا المنهج من جهةٍ أُخرى ... أي علينا ألاّ نحسب البشر مهما كانوا – عدا رسول الله ﷺ – تجسيداً لهذا المنهج .. وإلاّ فستتشوّه صورة المنهج في أعيننا ، لأنَّ البشر مهما كانوا لن يتجرّدوا عن بشريّتهم ، وبالتالي سننظر إلى منهج الله تعالى من مناظير مناهجنا البشرية الوضعية ..

.. هذا الفارق بين منهج الله تعالى وبين أوجه التمثّل المختلفة له من قبل البشر ، ندرك ضرورة إدراكه أكثر حينما نقرأ التاريخ (سواءٌ النصوص المنسوبة إلى الرسول ﷺ في الصحاح ، أم النصوص التاريخيّة الأُخرى) قراءةَ وعيٍ وإدراكٍ مجرَّدة عن أي تصوّرات مقولبة مسبقاً في أذهاننا ..

.. لإدراك هذا الفارق علينا أن نعود بالمسألة إلى بدايتها ، وأن نجيب على الأسئلة التالية التي تفرض نفسها في هذا السياق من البحث .. هل أراد رسول الله ﷺ كتابة أقواله وأفعاله أم لا ؟ .. وهل أمر بذلك أم نهى عنه ؟ .. وكيف وصلتنا هذه الروايات ؟ .. هل وصلتنا صياغة حرفية أم معنىً تناقلته الأجيال ؟ .. وهل هذه الروايات تحمل في صياغتها تاريخيّة الأفعال والأعمال والأقوال التي عملها الرسول ﷺ وفعلها وقالها نسبةً لنزول

النصوص القرآنيّة التي تتعلّقُ بها تلك الأفعالُ والأقوال ، أم مجرَّدة عن ذلك ؟ ..

.. هناك الكثير من الروايات التي تؤكّد بشكلٍ لا لبس فيه أنّ رسول الله ﷺ كان حريصاً على عدم كتابة الحديث عنه ، وأنه لم يسمح بذلك ، بل تمَّ حرق ما كُتب بهذا الخصوص في حياته وبإقرار منه ﷺ ..

لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح مسلم (٥٣٢٦) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ

مسند أحمد (١٠٧٣١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلا الْقُرْآنَ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ

مسند أحمد (١٠٦٦٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ

سنن الدارمي (٤٥٢) :

أَخْبَرَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمْ اسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْ يَكْتُبُوا عَنْهُ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ

سنن الدارمي[7] (٤٥١) :

---

(7) – ورد في كتاب السنّة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب نقلاً عن المحدّث الفاصل نسخة دمشق ص ٤ جـ ٤ .. والإلماع ص ٢٨ ونحوه في تقييد العلم ص ٣٢ ـــ ٣٣ ، النص التالي :

[[قال أبو سعيد الخدري : (جهدنا بالنبي ﷺ أن يأذن لنا في الكتاب فأبى) ، وفي رواية عنه قال : (

أَخْبَرَنَا .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلا الْقُرْآنَ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ

مسند أحمد (١١١١٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ

مسند أحمد (١٠٩١٦) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلا الْقُرْآنَ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا فَلْيَمْحُهُ

مسند أحمد (١٠٦٧٠) :

حَدَّثَنِي ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ مَا هَذَا تَكْتُبُونَ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ مِنْكَ فَقَالَ أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ ....

مسند أحمد (١٨١٨٢) :

حَدَّثَنَا .... إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ آخِرُ مَا عَهِدَ إِلَيْنَا أَنْ قَالَ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسَتَرْجِعُونَ إِلَى قَوْمٍ يُحِبُّونَ الْحَدِيثَ عَنِّي فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ وَمَنْ حفِظَ عَنِّي شَيْئًا فَلْيُحَدِّثْهُ

مسند أحمد (٦٣١٨) :

وسَمِعْت عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ فَقَالَ .... فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ ....

استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فلم يأذن لنا]] ..

مسند أحمد (٦٦٨٦) :

حَدَّثَنَا ...... خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ فَقَالَ ...... فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ

سنن الدارمي (٤٨١) :

أَخْبَرَنَا .... قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ إِنَّ نَاسًا يَسْمَعُونَ كَلامِي ثُمَّ يَنْطَلِقُونَ فَيَكْتُبُونَهُ وَإِنِّي لا أُحِلُّ لأحَدٍ أَنْ يَكْتُبَ إِلا كِتَابَ اللَّهِ

.. إنّنا نرى بوضوح الإصرارَ الكامل من الرسول ﷺ على عدم كتابة الحديث عنه ... والمقولة السائدة – عند بعضهم – بأنّ ذلك من أجل ألاّ يختلط الحديث بالقرآن ، هي مقولة لا برهان عليها ، ولو كانت صحيحة لتمت كتابة نصوص الحديث بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرةً ، حيث انتهى إنزال القرآن الكريم ، ولما تأخَّرت هذه الكتابة قروناً كما نعلم ..

.. والقول بأنَّ النبيَّ ﷺ إنّما نهى عن كتابة الحديث عنه في بداية الدعوة حتى لا يختلطَ بالقرآنِ الكريم ، هذا القولُ تنقضه الحقائقُ التالية :

١ – استمرّ نزول القرآن الكريم حتى وفاة النبيّ ﷺ .. وبناءً على حجّتهم لا بدَّ أن يستمرَّ النهيُ عن كتابةِ الحديث ما دام النبيّ ﷺ حيّاً .. فكيف من الممكن أنْ يختلطَ الحديثُ بالقرآن في بداية الدعوة ، دون نهايتها .. فهل القرآن الكريم الذي نزلَ في نهايةِ الدعوة يختلف عن القرآن الكريم الذي نزلَ في بدايتها ؟!!!!!!! ..

٢ – القرآنُ الكريم نظمُهُ إعجازيٌّ ولا يستطيعُ بشرٌ الإتيان بمثله ، سواءٌ شخص النبيّ ﷺ أم غيره .. والزعم بأنَّ الحديث ربّما يختلطُ بالقرآن الكريم عند المؤمنين المكلّفين بكتابةِ الوحي ، هو إساءةٌ لصياغة النصّ القرآنيّ ، واتّهامٌ لهذه الصياغة المعجزة بأنّها ليست معجزة ، وبأنَّها لا تختلف عن صياغة البشر لدرجةٍ يتمُّ الخوف عندها من اختلاطِ هذه الصياغةِ بكلامِ البشر ..

٣ – لو سُمحَ للصحابةِ في نهايةِ الدعوةِ بكتابةِ الحديث عن الرسول ﷺ ، لَمَا امتنع الصحابةُ عن كتابته بعدَ وفاة الرسول ﷺ قروناً من الزمن ، وَلَمَا أحرقَ أبو بكرٍ وعمرٌ

رضي اللهُ تعالى عنهما ما كتبه بعضُهُم ..

٤ – لو كُتبَ الحديثُ في عصرِ الرسول ﷺ ، لوصلنا – نصوصاً – بالتواتر ، ولَمَا كان هناك اختلافٌ لدرجة التناقض بين روايات الحدث الواحد ، سواءٌ كان ذلك اختلافاً ما بين الطوائف والمذاهب ، أم داخل الطائفة الواحدة والمذهب الواحد ..

.. وفي هذا السياق نسألُ الذين يزعمون أنَّ الحديث كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ كما كُتبَ القرآنُ الكريم .. نسألهم السؤال التالي : لماذا وصلت إلينا آياتُ كتابِ الله تعالى نصوصاً غيرَ مسبوقةٍ بالكلمات : حدّثنا ، سمعنا ، أخبرنا ؟!!! .. وفي الوقتِ ذاته لماذا لم تصل إلينا روايات الأحاديث إلاّ مسبوقةً بهذه الكلمات : حدّثنا ، سمعنا ، أخبرنا ؟!!! .. ألا يعني ذلك أنَّ الآليّةَ التي وصلت من خلالها إلينا آياتُ كتابِ الله تعالى ، وهي الكتابةُ بين يدي الرسول ﷺ وبإشرافه كما هو في اللوح المحفوظ ، تختلف عن الآليّة التي وصلت إلينا بها رواياتُ الأحاديث ، وهي جمع تلك الروايات من أفواه الرجال بعد قرون من موته ﷺ ..

٥ – لو كُتبَ الحديثُ في عصرِ الرسول ﷺ ، لَمَا كان هناك أيُّ معنىً لِمَا يُسمى بعلم الحديث ، فَعِلْمُ الحديث هو القواعد والطرق التي اُتُّبِعَتْ في جمع الحديث من أفواه الناس للتمييز بين الصحيح منها والموضوع أو الضعيف ، وفي هذا بيانٌ أنَّ الحديث وصلَ إلينا من أفواه الناس ، وليس نسخاً من نصوصٍ كُتبت – كالقرآن الكريم – بين يدي الرسول ﷺ ..

٦ – الزعم بأنَّ الحديث كُتبَ بين يدي الرسول ﷺ ، ناتجٌ عن جهلٍ بحقيقةِ السنّةِ الشريفة ، كونها تبياناً لِما نزّله الله تعالى في كتابه الكريم ..

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤]

.. وَلَمَّا كان نزول القرآن الكريم مفرّقاً على مدار (٢٣) عاماً ، فإنَّ كتابةَ كلِّ ما يقولُهُ ويفعله ﷺ ، يُحدثُ خلطاً بين ما فعلَه ﷺ كسنّة ، وبين ما فَعَلَهُ كنبيٍّ وكشخص .. فهناك أقوالٌ وأفعالٌ وإقرارٌ لمسائل قام بها النبيُّ ﷺ قبل نزول النصِّ القرآنيِّ المناسب ،

وبالتالي فهي ليست من السنّة ، ولا تجوز كتابتها أصلاً ، لأنّها ستتغيّرُ حين نزول النصِّ القرآنيِّ المناسب ..

٧ – لو وصلنا الحديث محفوظاً من قِبل الله تعالى كالقرآن الكريم ، لتعارض ذلك مع قولِه تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] .. فقولُهُ تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ واضحٌ وصريحٌ في عدم الإيمان الكامل بأيِّ نصٍّ غير نصوص القرآن الكريم ..

.. ولو كُتبَ الحديث في عصر الرسول ﷺ ككتابة القرآن الكريم ولو حُفظَ كحفظ الله تعالى للقرآن الكريم ، لو كان ذلك ، لتعارض مع كونِ حفظ الله تعالى مقصوراً على حفظِ النصِّ القرآنيّ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

.. صحيحٌ أنَّ السنّةَ الشريفةَ وُصفت بالذكر في قولِه تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، ولكنّها وُصفت متعلّقةً بالإنزال وليس بالتنزيل ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ ، والهدفُ منها هو ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ، أي لتبيين القرآن الكريم الذي نراه – هنا – يُوصف بالتنزيل وليس الإنزال ﴿ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .. وقد بيّنت في النظريّة السادسة (سلّم الخلاص) كيف أنَّ القرآن الكريم ينفرد من بين الكتب السماويّة بالتنزيل من عند الله تعالى ، ويشترك معها بالإنزال ..

.. إذاً قولُه تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، يعني حفظ النصّ القرآني حصراً ، كون المحفوظ يصفه الله تعالى بوصف التنزيل من عند الله تعالى ، والذي لا يعني إلا النصّ القرآني .. ويكون حفظُ الله تعالى للسنّة الشريفة من باب كونها محتواةً في النصِّ القرآني الذي تكفّلَ الله تعالى بحفظه .. ولا يعني ذلك – أبداً – نصوصاً خارج نصوص القرآن الكريم ، كما يزعمُ من لا يريدون الحقيقة ..

٨ – زَعْمُ بعضِهم بأنَّ نهيَ الرسول ﷺ بعدم كتابة الحديث عنه في بداية الدعوة قد نُسخَ بإباحةِ هذه الكتابة في نهاية الدعوة .. هذا الزعم .. يتعارضُ مع كونِ بداية نزول

القرآن الكريم كان في مكّة ، وحين ذلك لم تكن كتابة السنّة موضع تفكير من أحد بسبب الظروف الصعبة التي مرّت على الرسول ﷺ .. ولو فرضنا – جدلاً – أنَّ هناك نسخاً في هذا الأمر ، لكان النهيُ ناسخاً للإباحة ، وليس العكس ، فما عليه جلّ الصحابة – بعد وفاة النبيّ ﷺ – هو عَدَمُ الكتابة وَحَرْقُ ما كتبه بعضُهم ..

٩ – لو كُتبَ الحديث في عصر النبيّ ﷺ لوصلتنا جميعُ خطبه ﷺ ، أو على الأقل معظمها ، فأين هي النصوص التي تُسطِّرُ خطب الجمعة التي ألقاها ﷺ في المدينة ؟ .. بمعنى أين هي الصحف التي نُقل إلينا من خلالها خطب النبيِّ ﷺ ، بعيداً عن حدّثنا وسمعنا وأخبرنا ، فكتابة خُطب الجمعة أولى بكثير من كتابة أحداث جزئيّة محدودة ..

١٠ – لو كُتب الحديث في عصر النبيّ ﷺ لتركّزت شروط الصحّة على المتن وليس على السند .. ولكن ما نراه أنّ شروط الصحّة تتركّز على السند دون المتن ..

.. إذاً .. زَعْمُهُم بأنَّ أمرَ النبيِّ ﷺ بعدم كتابة الحديث عنه إنّما كان في بداية الدعوة ، هو تبريرٌ ليس سليماً ، وحجّة واهية ، وُضِعَتْ لاحقاً للتلبيس على النصوص التي تؤكّدُ أنَّ الرسول ﷺ نهى عن كتابة الحديث عنه .. تلك النصوص التي لا نجد في صياغتها اللغويّة ما يشير – مجرّدَ إشارة – إلى زعمهم ..

.. ولقائل أن يقول : كيف نستشهدُ ببعضِ الروايات ، في الوقت الذي بيّنا فيه – في الفصل الأوّل – أنّهُ تُوجدُ أحاديثُ – في كتب الصحاح – متناقضة ، ولا يمكن التوفيق بينها ، بل ومناقضة لكتاب الله تعالى ؟ .. وكيف يتمّ الجزمُ بأنّ الحديث لم يُكتب عن الرسول ﷺ وبين يديه ، وهناك من يقول : إنّ بعضَهم كتب الحديث بين يدي الرسول ﷺ ؟! ..

.. نقول : عندما جزمنا بأنّ الحديثَ لم يُكتب بين يدي الرسول ﷺ ، لم نجزم بناءً على رواياتٍ تاريخيّة فقط ، إنّما بناءً على معايرة الروايات التاريخيّة – المختلفة عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء – في ميزان كتاب الله تعالى ..

.. فالروايات التاريخيّة التي تُؤكّدُ أنّ الحديثَ لم يُكتب بين يدي الرسول ﷺ ، أخذنا بها ليس لأنّها توافق ما نذهب إليه (كما يزعم الذين لم ولن يروا الحقّ) ، وإنّما لأنّها توافقُ الإدراك السليم لحقيقة الصياغة اللغويّة للروايات بمجملها ، ولحقيقةِ سنّة الرسول ﷺ

المُفصِّلة والمفسّرة لكليّات النصّ القرآني ، ولحقيقةِ السنّة الشريفة كونها ليست مكمّلةً لأحكام كتاب الله تعالى ، كونَ كتاب الله تعالى ليس ناقصاً ولا يحتاج لما يُكمله ..

.. فجميعُ الروايات التي بين أيدينا مصوغة لغويّاً بحيثيّة تؤكّد أنّها كُتبت نتيجة سماع الأخبار عن الرسول ﷺ ، وليس نقلاً عن وثائق مكتوبة بين يدي الرسول ﷺ وليس بأمرٍ منه ، وعلومُ الحديث مبنيّةٌ على هذا الأساس .. هذا فضلاً عن كون الغالبية العظمى من هذه الروايات أحاديث آحاد ، والكثير منها يتناقضُ فيما بينه من جهة ، ويتناقضُ مع كتاب الله تعالى من جهةٍ أُخرى ..

.. واستشهادُ بعضهم ببعض الروايات على أنّ الرسول ﷺ ، أمر بكتابة الحديث عنه ، مثل الأحاديث التالية ، وإطلاقُ ذلك كدليلٍ على أنَّ الأحاديث التي بين أيدينا كُتبت بين يدي الرسول ﷺ ، هو استشهادٌ ليس بمكانه على الإطلاق ..

صحيح البخاري (١٠٩) :

حَدَّثَنَا .... فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِأَبِي فُلَانٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا الْإِذْخِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْإِذْخِرَ إِلَّا الْإِذْخِرَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ يُقَالُ يُقَادُ بِالْقَافِ فَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ شَيْءٍ كَتَبَ لَهُ قَالَ كَتَبَ لَهُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ

صحيح البخاري (٢٢٥٤) :

حَدَّثَنَا .... فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

صحيح مسلم (٢٤١٤) :

حَدَّثَنِي .... فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سنن الدارمي (٤٨٤) :

أَخْبَرَنَا ...... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ وَقَالَ اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ

.. فهذه الروايات – في حال حملها على الاستدلال الذي يذهبون إليه – تناقضُ مجملَ الروايات الأخرى التي تُؤكِّدُ – بشكلٍ لا لبس فيه – أنَّ الحديثَ لم يُكتب أبداً بين يدي الرسول ﷺ .. وتناقضُ أيضاً كونَ السنّة الشريفة متعلّقةً بتفصيل كليّات كتاب الله تعالى التي نزلت على مدار (٢٣) عاماً ، وليس دفعةً واحدة من السماء .... فليس كُلُّ ما نطقَ به الرسول ﷺ سنةً مفصّلةً لكليّات كتاب الله تعالى (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى) ، وبالتالي فكتابةُ كُلِّ ما نطقَ به الرسول ﷺ – كما يزعمُ بعضُهم – لا تَخدمُ السنّةَ الشريفة أصلاً ، فلربّما ينطقُ ﷺ في موقفٍ ما بأمرٍ لم يترل النصّ القرآنيّ المناسبُ له لحظة ذلك النطق ، وبالتالي فالحكمُ المبنيُّ على هذا النطقُ ليس شرعيّاً .. فكيف إذاً يُزعَم أنّ السنّةَ الشريفة كُتبت – حين نطقها – بين يدي الرسول ﷺ وبأمرٍ منه ؟!!! ..

.. وبالتالي فالعبارة المنسوبة إلى النبيّ ﷺ : ((اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ)) ، على هذا الإطلاق ليست صحيحةً أبداً ، بمعنى أنّها مُلفّقة على الرسول ﷺ ، ولم يسمع بها .. فكيف يكون كلُّ ما نطقَ به ﷺ من الله تعالى وسنّةً يجبُ اتّباعُها ، والله تعالى يقول :

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

.. ثمّ أين هو الحديث الذي تُشيرُ صياغته اللغويّة (ولو مجرّد إشارة) إلى أنّه كُتبَ من أيّ صحيفةٍ من الصحف التي يُزعَم أنّها كُتبت بين يدي الرسول ﷺ ، أو في عصره ، أو حتى في عصر غيره ؟!!! ..

.. ولو فرضنا – جدلاً ومجاراةً لأوهام الذين لا يريدون معرفة الحقيقة – أنّه تمّت كتابة

كلِّ ما نطق به الرسول ﷺ ، وأنّه تمّ تصوير الرسول ﷺ تصويراً تلفزيونيّاً وهو ينطق مواضيع الأحاديث ويقوم بعمل أحداثها .. فهل وصل ذلك إلى جيل جمع الحديث وتوثيقه كتابة ؟ ... بالتأكيد لم يصل ، بدليلِ حقيقةِ علمِ الحديث ذاته المبنيّ على السماع وليس على النقل من نصوص مكتوبة ، وبدليل صياغة نصوص الروايات ، وبدليل التناقض بين هذه الروايات للحدث ذاته ، وبدليل كون معظمها أحاديث آحاد لم يعلم بها إلاّ أُناسٌ محدّدون ..

.. وبالتالي .. سواءٌ كتب الحديث بين يدي الرسول ﷺ ، أم لم يكتب (والحقيقةُ أنّه لم يُكتب) ، فالنتيجةُ واحدة ، وهي أنّه تمّ جمع الحديث – في عصر التدوين – بالخبر ، وليس عبر وثائق مكتوبة بين يدي الرسول ﷺ ..

.. والصحف التي يُزْعَمُ أنّها كُتِبَ فيها الحديثُ بين يديِّ الرسول ﷺ ، لا قيمةَ لها في عمليّة التدوين بعد قرون ، بدليل عدم وجود رواية منقولةٍ من أيٍّ من تلك الصحف .. وحتّى لو فرضنا – جدلاً – وجود تلك الصحف ، ما الضمان أنّها لم تُحرّف ولم تبدّل ولم تتمّ الزيادة فيها والنقصان ، عندما جُمعت الروايات بعد قرون من وفاة النبي ﷺ ؟!!!
.. فالمسافة الكبيرةُ بين وفاة النبي ﷺ وبين عصر التدوين ، وما حملت من حروب وصراعاتٍ وتعصّب واستحواذ للسلطة ، تكفي لأنْ يحدثَ تدليسٌ وافتراءٌ يُنسبُ إلى الرسول ﷺ ، من أجل الانتصار لتلك العصبيّات ..

.. لقد توفّي النبي ﷺ ولم يُكتب عنه الحديث أبداً ... لننظر إلى الحديث التالي الذي يُبيّن هذه الحقيقة بشكلٍ جلي ..

صحيح البخاري (٤٦٣١) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ أَتَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ مَا تَرَكَ إِلا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ قَالَ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ مَا تَرَكَ إِلا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ

.. والأحاديث التالية تؤكّد – أيضاً – هذه الحقيقة ..

صحيح البخاري (٦٣٩٤) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلا مَا فِي الْقُرْآنِ إِلا

فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الأسِيرِ وَأَنْ لا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

صحيح البخاري (٦٤٠٤) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إلا مَا فِي الْقُرْآنِ إلا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الأسِيرِ وَأَنْ لا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

صحيح البخاري (٢٩٣٦) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ خَطَبَنَا عَلِيٌّ فَقَالَ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ فَقَالَ فِيهَا الْجِرَاحَاتُ وَأَسْنَانُ الْإِبِلِ وَالْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى كَذَا فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى فِيهَا مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ

.. و لم يتوقّف أمر النبي ﷺ على عدم كتابة الحديث عنه ، بل تعدّاه إلى عدم كثرة الحديث عنه ..

مسند أحمد[8] (٢١٤٩٩) :

(8) – وأمْرُ الرسول ﷺ بعدم كثرة الحديث عنه سنّة سار عليها الخلفاء الراشدون إضافة إلى سنّة عدم كتابة الحديث عن رسول الله ﷺ ، ولننظر إلى النصوص التالية التي اخترناها من كتاب (السنّة قبل التدوين) :

[[ورد في كتاب تذكرة الحفاظ ص ٧ جـ ١ سؤال يطرحه أبو سلمة على أبي هريرة ، وجواب أبي هريرة على هذا السؤال : ((قال له : أكنت تحدث في زمان عمر هكذا ؟ فقال : لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أُحدثكم لضربني بمخفقته)) ..

وقال أيضاً في جامع بيان العلم وفضله ص ١٢١ جـ ٢ : ((لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني بالدّرة)) ..

وورد في تذكرة الحفاظ ص ٧ جـ ١ النص التالي : ((روى الحافظ الذهبي عن سعد بن إبراهيم عن أبيه : ((أن عمر حبس ثلاثة : ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصاري ، فقال : قد

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى هَـذَا الْمِنْبَرِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَدِيثِ عَنِّي مَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلا يَقُولَنَّ إِلا حَقًّا أَوْ صِدْقًا فَمَـنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ

.. وهذا ابن عمر يستجيبُ لأمر الرسول ﷺ :

سنن الدارمي (٢٧٥) :

أَخْبَرَنَا.......عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ جَالَسْتُ ابْنَ عُمَرَ سَنَةً فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سنن ابن ماجة (٢٦) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ جَالَسْتُ ابْنَ عُمَرَ سَنَةً فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَـدِّثُ عَـنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً

وقد حذّر الرسول ﷺ من الأحاديث التي ستُوضع عليه ..

صحيح مسلم[9] (٨) :

أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ))]] ..

(9) – لننظر إلى النصوص التالية التي اخترناها من كتاب (السنّة قبل التدوين) :

[[ورد في : المنتقى من منهاج السنّة ص ٨٨ النص التالي : ((وكان مالك يقول : ((نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب : لا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم .. وقال له عبد الرحمن بـــن مهدي : يا أبا عبد الله ، سمعنا في بلدكم ـــ (المدينة) ـــ أربعمائة حديث في أربعين يوماً ، ونحن (أي في العراق) في يوم واحد نسمع هذا كلّه ، فقال له : يا عبد الرحمن ، مـــن أيـــن لنـــا دار الضرب التي عندكم ؟ دار الضرب تضربون بالليل وتنفقون بالنهار)) ..

وورد في ضحى الإسلام ص ١٥٢ جـــ ٢ : ((قال ابن شهاب : يخرج الحديث من عندنا شبراً فيعود في العراق ذراعاً)) ..

وورد في اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ جـــ ٢ : ((روي عن شيخ خارجي أنه قال : إنَّ هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإنّا كُنّا إذا هوينا أمراً صيّرناه حديثاً)) .

وورد في اللالئ المصنوعة ص ٢٤٨ جـــ ٢ ، أنّ عبد الكريم بن أبي العوجاء اعترف قبل أن تـــضرب عنقه فقال : ((والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث ، أحرّم فيها الحلال ، وأُحِـــلُّ فيهـــا

و حَدَّثَنِي ....أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الأحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ

الحرام)) ..

وورد في الكفاية ص ٤٣١ : (وقال المهدي : ((أقرّ عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعة آلاف حديث فهي تجول في أيدي الناس))) ..

وورد في مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص١٢ ، والكفاية ص ٤٣١ : قال حماد بن زيد : ((وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ اثني عشر ألف حديث ، بثوها في الناس)) ..

وورد في تدريب الراوي ص ١٨٦ : ((وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث)) ..

وورد في الباعث الحثيث ص ٩٣ ــ ٩٤ ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩ : أ ــ ١٤٩: ب ، وتمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٦ : ب ، وتوضيح الأفكار ص ٧٦ ــ ٧٧ جــ ٢ ، ورد النص التالي : ((روى ابن الجوزي بإسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي ، قال : ((صلّى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاصّ فقال : ((حدثنا أحمد بن حنبل ويحي بن معين قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : من قال لا إله إلاّ الله خلق الله من كلّ كلمة طيراً منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان !!)) وأخذ في قصّة نحواً من عشرين ورقة ، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد ، فقال له : حدثته بهذا ؟ فيقول : والله ما سمعت هذا إلاّ الساعة ، فلما فرغ من قصصه **وأخذ العطيات ، ثم قعد ينتظر بقيتها** ، قال له يحيى بن معين بيده : تعال ، **فجاء متوهّماً لنوال** ، فقال له يحيى : من حدّثك بهذا الحديث ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ! فقال : أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد بن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ. فقال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ما تحقق هذا إلاّ الساعة ! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين !! فوضع أحمد كمّه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزئ بهما)) ..

وورد في تدريب الراوي ص ١٨٤، واللالئ المصنوعة ص ٢٤٨ جــ ٢ : ((يروي الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم : ((من أين لك ، عن عكرمة عن ابن عبّاس في فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ قال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ، ومغازي ابن إسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبه)) ..

وقال ابن مهدي لميسرة بن عبد ربّه : ((من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب الناس فيها))]] ..

وَإِيَّاهُمْ لا يُضِلُّونَكُمْ وَلا يَفْتِنُونَكُمْ

.. ولذلك أمَرَ الرسول ﷺ باتّقاء الحديث عنه إلاّ ما تمّ التأكّد منه ..

سنن الترمذي (٢٨٧٥) :

حَدَّثَنَا .... عَن ابْن عَبَّاس عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلاَّ مَا عَلِمْتُم فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ......

.. فافتراء الحديث على رسول الله ﷺ جريمة كبرى ..

صحيح البخاري (١٢٠٩) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ ....

.. وهذا الزبير لا يُحدّث كغيره ، لأنّه أدرك حجم جريمة الكذب على رسول الله ﷺ ، وبالتالي لم يُرد الكذب عليه ﷺ كما كان يكذب غيرُه ..

صحيح البخاري (١٠٤) :

حَدَّثَنَا ....قَالَ قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّي لا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُحَدِّثُ فُلانٌ وَفُلانٌ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ

.. وهذا ابن عبّاس يصوّر لنا جانباً من متاجرة بعض الرجال بهذه المسألة ..

صحيح مسلم (كتاب المقدمة) :

(....... فقال له ابن عبّاس إنّا كُنّا نحدّث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يُكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه .... عن ابن عبّاس قال : إنما كُنّا نحفظ الحديث والحديث يُحفظ عن رسول الله ﷺ ، فأما إذا ركبتم كلّ صعب وذلول فهيهات .... فقال ابن عبّاس : إنّا كُنّا مرّة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلاّ ما نعرف) ..

والرواية التالية تضيء جانباً من هذه المسألة ..

صحيح مسلم[١٠] (كتاب المقدمة) :

(حدثني .... عن أبيه قال : لم نرَ الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث قال ابن أبي عتّاب : فلقيت أنا محمد بن يحيى بن سعيد القطّان فسألته عنه فقال عن أبيه لم ترَ أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث ، قال مسلم يقول يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب) ..

.. إذاً ... انتهت فترة الرسالة و لم يأمر الرسول ﷺ بكتابة الحديث عنه ، بل نهى عن ذلك ، وحُرق ما كتبه بعضهم ... وأكّد رسول الله ﷺ على اتّقاء الحديث عنه (المقصود بالحديث هنا هو الكلام المسموع الذي ينطق به الصحابي شارحاً لغيره من الناس فعلاً أو قولاً لرسول الله ﷺ) إلاّ ما تمّ التأكُّد منه ..

واستمرَّ اتِّقاء الحديث وعدم كتابته في عصر الخلافة[١١] الراشدة أيضاً .. وفي

---

[10] – ورد في المحدث الفاصل ص ٨٣ : أ – [[قال أبو عاصم النبيل : ((ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث))]] ..

[11] – لننظر إلى النصوص التالية المختارة من كتاب (السنّة قبل التدوين) :

ورد في تذكرة الحفاظ النص التالي ممّا رواه الذهبي من مراسيل ابن أبي مليكة : [[أنَّ الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرِّموا حرامه]] ..

وورد في تذكرة الحفاظ أنَّ عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : [[جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلّب كثيراً قالت : فغمَّني فقلت أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنا فحرقها فقلت: لم أحرقتها ؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت و لم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك. فهذا لا يصح والله أعلم .]] ..

وورد في جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤جـ١ ، ونحوه في تقييد العلم ص ٢٥٠ ، وطبقات ابن سعد ص ٢٠٦ قسم ١ جـ٣ : ((عن عروة ــ ابن الزبير ــ أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له ، فقال : إني كنت أُريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً)) ..

وورد في تقييد العلم ص ٥٢ من رواية محمد بن القاسم أنّ عمر بن الخطاب وقف يخطب في الناس قائلاً : ((أيها الناس ، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب ، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا يبقين أحد عنده كتاب إلاّ أتاني به ، فأرى فيه رأيي ــ قال ــ فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثم قال : ((أمنية كأمنية أهل الكتاب)) .. كما أنه كتب إلى الأمصار : ((من كان عنده منها شيء فليمحه)) ..

وورد أيضاً في تقييد العلم ص ٥٤ : ((عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن ، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت : بيت النبي ﷺ ، فاستأذنا على عبد الله ، فدخلنا عليه ، قال : فدفعنا إليه الصحيفة ، قال : فدعا جارية ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فقلنا له : يا أبا عبد الرحمن ، انظر فيها ، فإنّ فيها أحاديث حساناً .. قال : فجعل يميثها فيها ويقول : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ** ﴾ [يوسف : ٣] ، القلوب أوعية ، فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بما سواه)) ..

وورد أيضاً في سنن الدارمي ص ١٢٢ جـ ١ : ((وقد تمسّك أبو سعيد الخدري بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه في النهي عن كتابة غير القرآن . وأبى أن يُكْتِبَ أبا نضرة حين قال له هذا : ألا تكتبنا فإنّا لا نحفظ ؟ فقال أبو سعيد : لا إنّا لن نكتبكم ، ولن نجعله قرآناً ، ولكن احفظوا عنّا كما حفظنا نحن عن رسول الله ﷺ)) ..

وورد في البداية والنهاية ص ١٠٦ جـ ٨ : ((روى السائب بن يزيد إذ قال : ((سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث عن الأُوَل أو لألحقنك بأرض القردة)) ..

وورد في المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ١٣٣ : ((سمعت السائب بن يزيد يحدّث قال : ((

الأحاديث التالية – وغيرها – بيانٌ يُؤكِّدُ الإصرار – في عهد الخلافة الراشدة وبعـده – على عدم الخوض في الأحاديث ، فضلاً على الإصرار على عدم كتابتها ..

الدارمي : (٣١٩٧) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ عَنْ حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ عَنْ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَارِثِ عَنْ الْحَارِثِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أُنَاسٌ يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ أَلَا تَرَى أَنَّ أُنَاسًا يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ قَدْ فَعَلُوهَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَتَكُونُ فِتَنٌ قُلْتُ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ كِتَابُ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ

الدارمي : (٤٦٩) :

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ بَلَغَ ابْنَ مَسْعُودٍ أَنَّ عِنْدَ نَاسٍ كِتَابًا يُعْجَبُونَ بِهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَتَوْهُ بِهِ فَمَحَاهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى كُتُبِ عُلَمَائِهِمْ وَتَرَكُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ

الدارمي (٤٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا كَثِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّ

أرسلني عثمان بن عفّان إلى أبي هريرة قال : قل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ لقد أكثرت لتنتهين أو لألحقنك بجبال دوس ...))]] ..

أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتِبُ

سنن أبي داود : (٣١٦٢) :

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ قَالَ دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَأَمَرَ إِنْسَانًا يَكْتُبُهُ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ

.. وبإمكاننا استنتاج هذه الحقيقة من طريق آخر ، هو الصياغة الحرفية لروايات الأحاديث التي بين أيدينا ، وماهيّة علوم الحديث .. فبالنظر إلى صياغة هذه الروايات نرى عباراها تبدأ بالكلمات : حدثنا ، أخبرنا ، قال فلان عن فلان ، أخبره فلان ، سمع من فلان ... فجميعها عبارات تدلُّ على نقل الروايات سماعاً من شخصٍ لآخر ، بل ومن جيلٍ لآخر .. ولا تُوجد بين أيدينا رواية ترد في صياغتها عبارات تدلُّ على أنّ هذه الرواية نُسخت مما هو مكتوب عن رسول الله ﷺ وبين يديه ..

ولو كان زعمهم بأنَّ الرسول ﷺ أباح – في نهاية الدعوة – كتابة الحديث عنه ، لكانتْ – تلك الكتابة – نواة كتبٍ يتداولها الناس لاحقاً كجزءٍ من الشريعة .. لو كان هذا الزعمُ صحيحاً لَمَا كان ذلك التشدّد من كبار الصحابة في عدمِ كتابة الحديث عن النبيِّ ﷺ ، ولما كان ذلك الإصرار على حرق ما كتبه بعضُهم .. فهل يمكننا أنْ نتصوّرَ جلّ الصحابةِ يحرقون ما أمرَ الرسول ﷺ بكتابته ؟!!!!!!! .. وهل يمكننا أنْ نتصوّرَ جلّ الصحابة يحرقون نصوصاً يعلمون أنّها جزءٌ من الشريعة ؟!!!!!!! ..

.. إذاً .. لم يُكتب الحديثُ – أبداً – بين يدي الرسول ﷺ ، ونهيه عن كتابة الحديث بين يديه استمرّ طيلةَ فترة الرسالة ، أي حتى توفي ﷺ .. والحقيقة أنَّ روايات الأحاديث التي بين أيدينا إنّما جُمعتْ بعد قرون من وفاة النبي ﷺ ..

.. وبما أنّ هذه الروايات نقلت لنا سماعاً (ليس كتابة) للمعنى[12] الذي أدركه

---

(12) – لننظر إلى النصوص التالية المختارة من كتاب (السنّة قبل التدوين) :

[[ورد في الجامع لأخلاق الراوي ص ١٠٦ وتدريب الراوي ص ٣١٢ : ((قال مكحول : دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع ، فقلنا له : يا أبا الأسقع ، حدثنا بحديث سمعته من رسول

رجال الجيل الأول لمَا فعله وقاله النبي ﷺ ، وبما أنّ مفاهيم البشر مختلفة حول إدراك الحدث والفعل والقول ، فإننا نرى بعض الروايات للحدث ذاته تختلف من رواية لأخرى ، إلى درجة التناقض أحياناً ، وبالنظر إلى الروايات المعروضة في الفصل الأوّل من هذا البحث (عرض دون تعقيب) تظهر هذه الحقيقة جليّة .. وفوق ذلك لننظر إلى روايات الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري (٣٦٨١) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ فَقَالَتْ وَهَلَ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ قَالَتْ وَذَاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْقَلِيبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لَا

الله ﷺ ، ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان ، قال : هل قرأ أحدٌ منكم من القرآن شيئاً ؟ قال : فقلنا نعم ، وما نحن له بحافظين جداً ، إنّا لتزيد الواو والألف وننقص . قال : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألون حفظاً ، وأنتم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ ، عسى ألا نكون سمعناها منه إلا مرّة واحدة ، حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى)) ..

وورد في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٠٦ : أ : ((قال جرير بن حازم ((سمعت الحسن يحدث بالحديث : الأصل واحد والكلام مختلف)) ، وقال عمران القصير : ((قلت له (للحسن البصري) : إنّا نسمع الحديث فلا نجيء به على ما سمعناه ، قال : لو كُنّا نحدثكم إلاّ كما سمعنا ما حدثناكم بحديثين ، ولكن إذا جاء حلاله وحرامه فلا بأس)) ..

وورد في هذا المرجع (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) أنّ إجازة التحديث بالمعنى رويت عن : ((عبد الله بن مسعود ، وأبي الدرداء ، وأنس بن مالك ، وعائشة أم المؤمنين ، وعمرو بن دينار ، وعامر الشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وابن أبي نجيح ، وعمرو بن مرة ، وجعفر بن محمد بن علي ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان))]] ..

تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ.......

صحيح البخاري (٩٤٧) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ الْقُنُوتِ فَقَالَ قَدْ كَانَ الْقُنُوتُ قُلْتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ قَالَ قَبْلَهُ قَالَ فَإِنَّ فُلانًا أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَقَالَ كَذَبَ إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا ....

صحيح مسلم (٤١١٧) :

و حَدَّثَنِي .... كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُهُمَا كِلْتَيْهِمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَمَتَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ لا عَدْوَى وَأَقَامَ عَلَى أَنْ لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ قَالَ فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ذُبَابٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ تُحَدِّثُنَا مَعَ هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثًا آخَرَ قَدْ سَكَتَّ عَنْهُ كُنْتَ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا عَدْوَى فَأَبَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ وَقَالَ لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ فَمَا رَآهُ الْحَارِثُ فِي ذَلِكَ حَتَّى غَضِبَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَرَطَنَ بِالْحَبَشِيَّةِ فَقَالَ لِلْحَارِثِ أَتَدْرِي مَاذَا قُلْتُ قَالَ لا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ أَبَيْتُ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا عَدْوَى فَلا أَدْرِي أَنَسِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَوْ نَسَخَ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ الآخَرَ ....

صحيح البخاري (٥٣٢٨) :

حَدَّثَنِي ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا عَدْوَى وَلا صَفَرَ وَلا هَامَةَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدُ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ وَأَنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ الأَوَّلِ قُلْنَا أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لا عَدْوَى فَرَطَنَ بِالْحَبَشِيَّةِ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَمَا رَأَيْتُهُ نَسِيَ حَدِيثًا غَيْرَهُ

صحيح مسلم (٣٤٣١) :

حَدَّثَنَا .... فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ....... وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي فَقُلْتُ لَهُ هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا قَالَ فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ....

صحيح البخاري (٢٥٥٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ إِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نُسِخَتْ وَلا وَاللَّهِ مَا نُسِخَتْ وَلَكِنَّهَا مِمَّا تَهَاوَنَ النَّاسُ ....

صحيح مسلم (٤٧٥٥) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ لا أَدْرِي أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ ....

صحيح مسلم (١٧١٩) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولا إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلا حَدِيثًا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُخِيفُ النَّاسَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ....

صحيح مسلم (١٨٦٤) :

حَدَّثَنِي....... فَقَالَ مَرْوَانُ عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلا مَا ذَهَبْتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ قَالَ فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرُ ذَلِكَ كُلِّهِ قَالَ فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَهُمَا قَالَتَاهُ لَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ هُمَا أَعْلَمُ ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْ الْفَضْلِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ ....

صحيح مسلم (٢٣٤٠) :

حَدَّثَنَا....... أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ مَنْ أَهْدَى هَدْيًا حَرُمَ عَلَيْهِ مَا يَحْرُمُ عَلَى الْحَاجِّ حَتَّى يُنْحَرَ الْهَدْيُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهَدْيِي فَاكْتُبِي إِلَيَّ بِأَمْرِكِ قَالَتْ عَمْرَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ لَيْسَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَا فَتَلْتُ قَلائِدَ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدَيَّ ....

صحيح مسلم (٢٨٨٤) :

و حَدَّثَنِي .... فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ يَا ابْنَ خَدِيجٍ مَاذَا تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِرَاءِ الأَرْضِ قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ لِعَبْدِ اللَّهِ سَمِعْتُ عَمَّيَّ وَكَانَا قَدْ شَهِدَا بَدْرًا يُحَدِّثَانِ أَهْلَ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ كِرَاءِ الأَرْضِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الأَرْضَ تُكْرَى ....

صحيح مسلم (٢٩٦٩) :

.... فَبَلَغَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَقَامَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ .... فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ أَلا مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنَصْحَبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ فَقَامَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَأَعَادَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ لَنُحَدِّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ أَوْ قَالَ وَإِنْ رَغِمَ مَا أُبَالِي أَنْ لا أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ لَيْلَةً سَوْدَاءَ ....

صحيح البخاري (٣٢٣٩) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلا تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلا

كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ

صحيح مسلم (٣٠١٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ أَنَّ مَعْمَرًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ فَقِيلَ لِسَعِيدٍ فَإِنَّكَ تَحْتَكِرُ قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ مَعْمَرًا الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ يَحْتَكِرُ

.. بعد قراءة الأحاديث السابقة قراءة واعية تظهر أمام أعيننا الصبغة البشرية المتفاوتة لرجال الجيل الأول في إدراك الأحداث والأقوال والأفعال التي حدثت في عصر الرسول ﷺ ، وفي فهمها وتعقّلها .. وهذا طبيعي ، فهم بشر يصيبون ويخطئون ، ويحفظون وينسون ، يخلصون ويغدرون ، يسامحون ويقتلون ... مداركهم مختلفة بين فهم عمق الحدث والقول والفعل والمراد من ذلك وبين الوقوف على الظاهر .. أهواؤهم متفاوتة بين الحقّ والباطل .. يصدّقون بعضهم ، ويكذّبون بعضهم ..

صحيح مسلم : (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا ....

.. أمّا ما تمَّ إلباسه لبعض رجال الجيل الأوّل (الصحابة) من ثياب القداسة كما يفعل بعضُهم ، أو من ثياب الكفر والزندقة كما يفعل بعضُهم الآخر ، أو من ثياب التقديس لآل البيت حتى تمَّ تصوير بعضهم أو جميعهم بصورة ملائكيّة بحيث يؤخذ تمثُّل المنهج منهم فقط .. كلّ ذلك لا علاقة له بمنهج الله تعالى المجرّد عن البشر ، سواء كانوا آل البيت أم الصحابة ، فالمنهج هو ما أنزله الله تعالى ، والأسوة الحسنة هي رسول الله ﷺ ، وفقط رسول الله ﷺ ..

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ

ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١]

.. فالصحابة ليسوا ملائكة كلُّ أقوالهم وأفعالهم سنّة مأخوذة من سنّة رسـول الله ﷺ كما يريدُ أن يقولَ بعضُهم ، وإلاّ كيف نبرِّر ما نقرأه في التاريخ وفي الصحاح ذاتها ؟! .. وليسوا شياطين هدفهم الارتداد عن منهج الله تعالى كما يريدُ أن يقولَ بعضُهم الآخـر ، وإلاّ كيف نفهم انتشار الدين الإسلامي على أيدي بعضهم في الكثير من أنحـاء الأرض ، ووصوله إلى أيدينا بعد هذه القرون ؟! ..

.. فهم ليسوا معصومين ، وليست كلُّ أفعالهم وأقوالهم حجّة وتجسيداً لمراد الله تعـالى وسنَّته ، وليسوا شياطين أفعالهم شيطانية ، وليسوا جيلاً عاديّاً غير مكترث بمنهج الله تعالى الذي أُنزل في عصرهم ..

.. وكلُّ التعاريف التي وُضعت لتعريف الصحابة ، هي ظلالٌ لأهواء سياسيّة عصبيّة غير مجرّدة ، فلا يُوجَدُ إجماعٌ على تعريف الصحابي .. وبإمكاننـا أنْ نختـزلَ تعـريفهم للصحابي في ثلاثة تعاريف :

التعريف الأوّل : هو كلُّ من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه .. فسواءٌ صحبَ رسولَ الله سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، وله من الصحبة قدر ما صحبه ، فيدخلُ في ذلك من لقي النبيّ ﷺ ومات على الإسلام ، سـواء طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه ومن لم يروِ ، ومن غزا ومن لم يغزُ ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالأعمى ..

التعريف الثاني : هو كلّ من رأى رسول الله وقد أدرك سنّ الحلم وأسلم وعقل الدين ورضيه فهو من أصحابه ولو ساعة من نهار ..

.. وبموجب هذا التعريف لا يُعتبر من الصحابة عبد الله بن عبّاس وغيره ، كـونهم لم يبلغوا الحلم حين وفاة النبيّ ﷺ .. فمن المعلوم أنَّ عبد الله بن عبّاس رُوي عنـه مئـات الروايات في البخاري ومسلم وغيرهما ، وأنَّ عمره حين وفاة النبيّ ﷺ كان عشر سنين ..

البخاري (٤٦٤٧) :

حَدَّثَنِي .... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ

التعريف الثالث : لا يُعتبر – فيه – من الصحابة إلاّ من أقام مع الرسول سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين ..

.. إذاً لا يُوجَدُ إجماعٌ حتّى على تعريف الصحابي !!! .. ومذهبُ مُعظمِهم بأنَّ جميعَ الصحابة عدول دون استثناء ، لا دليلَ عليه في كتاب الله تعالى ، ولا حتّى في الحديث .. فلا تُوجَدُ ذرّةُ شكٍّ أنَّ الصحابةَ تقاتلوا فيما بينهم ، وأنَّ عشرات الآلاف من أعناقهم قُطعتْ على أيدي أخوالهم من الصحابةِ ذاتِهم .. فكيف إذاً يكونون – دون استثناء – عدولاً والله تعالى يقول :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣]

.. كيف يكونون – دون استثناء – عدولاً والرسول ﷺ يقول :

صحيح البخاري (٤٦) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ

صحيح البخاري (١٦٢٥) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ .... فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ أَلا هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ

صحيح البخاري (٦٠٩٨) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى ....

..إنَّ التعريفَ الأمثل لهذه المسألة هو التعريف الذي نستنتجه من القرآنِ الكريم ومن أحاديثِ الرسول ﷺ الموافقة للقرآن الكريم ..

.. لو نظرنا إلى مشتقات الجذر (ص ، ح ، ب) في القرآن الكريم لرأيناها تصوّر لنا

أوجه الخير والشّر على حدٍّ سواء بين الصاحبين .. فالصاحب لا يقتضي مماثلة صاحبه عقيدة وفكراً وأخلاقاً ، ولا يعني هذا أنّه يناقضه في ذلك ..

.. لننظر إلى الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التّوبة : ٤٠]

.. نرى في هذه الصورة القرآنيّة الوجه الإيجابي للصحبة .. فرسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، كانا صاحبين كما يقول الله تعالى : **﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ ﴾** ، ومن يقول الله تعالى عنه أنه معه في صحبته مع رسول الله ﷺ : **﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾** ، لا يمكن التشكيك بصدق صحبته وإخلاصه للرسول ﷺ ..

.. ولننظر إلى الصورة القرآنية التالية ..

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٣٤ ــ ٣٨]

.. من الواضح أنّ الصاحبين هنا على طرفي نقيض بالنسبة لمسألة العقيدة ، ولذلك ضربهما الله تعالى لنا مثلاً ..

.. والأحاديث التي بين أيدينا تؤكّد أن الصّحبة مسألة لا علاقة لها بالعقيدة والأخلاق ... لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري (٦٠٩٨) :

حَدَّثَنَا ....أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى ....

صحيح مسلم (٤٢٥٩) :

و حَدَّثَنِي ....قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي فَلأَقُولَنَّ أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي أُصَيْحَابِي فَلَيُقَالَنَّ لِي إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ....

صحيح البخاري (٣٢٥٧) :

حَدَّثَنَا ....وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ فَقَالَ عُمَرُ أَلا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ

صحيح مسلم (١٧٦١) :

حَدَّثَنَا ....فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ قَالَ وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ فَقَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ ....

صحيح مسلم (٣٦٧) :

حَدَّثَنَا ....قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ....

.. وفي فرضيّة عدالة الصحابة واستثمارِها كمعيارٍ لتحرّي السنّة الحق ، عَبْرَ جَعْلِ كُلِّ فعلٍ أو قولٍ منسوب للرسول ﷺ يصلنا عن طريقهم سنّةً ونصّاً من المنهج ... في هذه الفرضيّة أكثرُ من مُشكلة .. من هذه المشكلات ، مُشكلةُ تعريف الصحابي ، والجزم بصدقِه وقدرتِه على نقل الأحداث والأقوال كما رآها وسمعها ، لمجردِ كونه صحابياً ومن

أفراد الجيل الأوّل ..

.. فإن كان الصحابيُّ هو كلّ من رأى الرسول ﷺ وصاحبه وعاش معه ، فهذا يعني نفيَ تأكيدِ الجزمِ بصدق جميع الصحابة وعدالتِهم ، لأنّ هناك الكثيرين ممن صاحب الرسول ﷺ وعاش معه في ذات الزمان والمكان ، مردوا على النفاق ، ومع ذلك لا يعلمهم الرسول ﷺ : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١] ..

.. وبالتالي فالرسول ﷺ ذاته لا يستطيع الجزم بعدالة جميع أبناءِ جيله ممن عاشرهم وصاحبهم ، لأنّه ﷺ لا يعلمُ بعضَ من مرد منهم على النفاق ، فكونه ﷺ لا يعلم بعض المنافقين ممّن كانوا معه في ذات الزمان والمكان ، يقتضي أنّه ﷺ لا يستطيع الجزم بعدالة جميع الصحابة .. فكيف إذاً يستطيع بعضُ الرجالات من الأجيال اللاحقة الجزمَ بتزكية بعض الرجالات من الأجيال الأولى دون غيرهم ؟!!!!!!! ..

.. أليس المعنيّون بالآيات التالية كانوا من أفراد الجيل الأوّل ، ورأوا النبيّ ﷺ وأقاموا معه ..

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠]

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ

يُؤْفَكُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون : ١ – ٥]

فكيف إذاً يكون الصحابيُّ عدلاً وفوق الجرح بمجرّد ما رأى النبي ﷺ أو أقام معه فترةً من الزمن ؟!!!!!!! ..

.. وإن كان الصحابيُّ هو فقط العدل الملتزم بمنهج الله تعالى من بين رجالات الجيل الأوّل ، فالمشكلةُ لا تتغيّر ، لأنَّ الجزم بعدالة مجموعة من البشر يتنافى مع عدم العلم بنفاق بعضهم ، والرسول ﷺ لا يعلمُ – كما يُؤكّدُ القرآن الكريم – بعضَ من مرد على النفاق ممن صاحبه .. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فتزكيةُ الرجال والاطّلاعُ على إيمانهم وما في قلوبهم ، مسألةٌ لا يُحيطُ بها إلاّ الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٤٩ – ٥٠]

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢]

.. وإن كانت عدالة الصحابة ومعرفة الصادق من الكاذب فيهم ، تُؤخذ من خلال ما يُسمّى بعلم الجرح والتعديل ، فالُمشكلة أكبر منها في الحالتين السابقتين ، لأنّ تقييمَ من عاش مع الرسول ﷺ من خلال بعض الرجالات اللاحقين ، والجزمَ بنتيجةِ هذا التقييم ، هو – في النهاية – وضعُ أولئك الرجالات في مرتبةٍ أعلى من مرتبة الرسول ﷺ ..

.. فكيف يجزم هؤلاء بعد قرونٍ من الزمن ، بما لم يستطع الرسول ﷺ ذاته أن يجزم به في حينه ؟!!!!!!! .. هذا فضلاً عن كون الروايات – سواء روايات الصحاح ، أم روايات التاريخ – تُؤكّدُ وقوعَ الكثير من أعمالِ القتل ، والتكذيب ، والاتهام بالخروج على الحق ، بين الكثيرين من أفراد الجيل الأوّل ممّن ننظر إليهم بعين الثقة والاحترام ..

.. وهكذا .. فما يُسمى بعلم الجرح والتعديل ، ليس علماً مبنيّاً على براهينَ وأدلّةٍ

مستنبطةٍ من النصِّ المُطلَق (القرآن الكريم) ، إنّما هو مقارباتٌ تاريخيّة ، لا تخلـوا مـن الأهواء والأخطاء والعصبيات المُسبقةِ الصنع ، ومن الجريمة الكُبرى وضعُها معياراً لمنـهجٍ تكفّل الله تعالى بحفظه ..

.. فكيفَ يُوصَفُ صحابيان – في الوقتِ ذاتِه – بأنّهم ثقة ومن العدول ، في الوقت الذي تقاتلا فيه واتّهما بعضهما بالكذب والخروج على الحقّ ؟!!!!! ، أي في الوقت الذي لا يعترف فيه كُلٌّ منهما بأنّ الآخر ثقة وأهلٌ لتبليغ المنهج !!! .. فالحقُّ كـلُّ الحـقّ أن نبحثَ عن حقيقة التاريخ من خلال المنهج (القرآن الكريم) ، والباطلُ كلُّ الباطـل أن نبحثَ عن حقيقة المنهجِ وأحكامِه من خلال التاريخ ..

.. ومسألة عصمة آل البيت ، وأنَّ المنهج لا يؤخذ إلاّ منهم ، هي مسألة لا وجود لها في منهج الله تعالى ... لقد وردت كلمة (آل) في كتاب الله تعالى (٢٦) مرّة ، أتت فيهـا مرتبطة بإبراهيم ولوط ويعقوب وموسى وهارون وداود وعمران وفرعون ، ولم يأتِ نصٌّ قرآني واحد فيه العبارة : (آل البيت) أو (آل محمد) ، أو حتى فيه إشـارة إلى هـذه العبارة ..

.. وإذا أخذنا كلمة (أهل) في كتاب الله تعالى من منظار وجهها المجـرّد ، لرأيناهـا مستقلّة عن النَّسل .. لننظر إلى الصورة القرآنية التالية ..

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ .... وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٢ ــ ٤٦]

.. العبارة القرآنيّة **﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾** تبيّن أنّ الذي غرق هو ابن نوح ، والعبارة القرآنيّة **﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾** تبيّن أنّ هذا الابن ليس أهـلاً أن يكون من أهل أبيه ، لأنه غيرُ صالح .. فعملُهُ غيرُ الصالح أخرجه من انتسابه أهـلاً إلى

أبيه .. وبالتالي فهذه الصورة القرآنية تبيّن أنّ مسألة الأهل ليست محصورة على النسب الدموي والسلالة ..

.. والعبارة القرآنيّة (أهل البيت) ترد في كتاب الله تعالى مرّتين ، هما في الصورتين القرآنيتين التاليتين ..

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧١ — ٧٣]

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢ — ٣٤]

.. من الواضح أنّ هذه العبارة ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ تأتي في المرتين اللتين ترد فيهما في كتاب الله تعالى ، عبر سياقٍ متعلّقٍ بامرأة إبراهيم عليه السلام وبنساء النّبي ﷺ ..

.. وفي الصورة القرآنيّة الثانية ، من أيّ منظار ننظر من خلاله إلى هذه الصورة ، فإننا سنرى أنّ نساء النّبي ﷺ هُنّ من أهل البيت ..

.. وورود العبارة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ دون الصيغة التالية الموافقة لصيغ المخاطبة في النص القرآني المحيط بهذه

العبارة (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عنكنّ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُن تَطْهِيراً) لا يعني استثناء نساء النبي ﷺ من أهل البيت ، إنما يعني أنّ أهلَ البيت هم نساء النّبي وغيرهنّ ، فلو وردت هذه العبارة بصيغة جمع المؤنث ــ كما هو الحال في سياق النص القرآني المحيط بهذه العبارة ــ لانحصر أهل البيت بنساء النبي ﷺ .. ولكن ورود هذه العبارة بالصيغة التي ترد بها في كتاب الله تعالى ، يُعطي لمسألة أهل البيت إطلاقاً يتجاوز نساء النبي ﷺ دون استثنائهنّ من هذه المسألة ..

.. وإنْ كان ورود الصورة القرآنيّة : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ ، بصيغة المذكّر ﴿ **عَنكُم** ﴾ ، ﴿ **وَيُطَهِّرَكُمْ** ﴾ ، دون صيغة المؤنّث : (عنكنّ) ، (ويطهركن) ، هو دليلُ بعضهم على أنَّ نساءَ النبيّ ﷺ مستثنيات من أهل البيت ، فإنّ استدلالَهم هذا – غير السليم – يقودُ إلى إخراج فاطمة رضي الله تعالى عنها من إطار أهل البيت ، كونها رضي الله تعالى عنها أُنثى أيضاً ، فلماذا تخرجُ نساء النبي من إطار مسألة أهل البيت كونهنّ إناثاً ، ولا تخرج فاطمة رضي الله تعالى عنها ؟ !!! ..

.. ثمّ كيف يُفسِّرُ هؤلاء لنا مخاطبة الله تعالى لنساء النبي ﷺ بصيغة المذكّر في الصورتين القرآنيّتين التاليتين ؟ ..

﴿ **يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٠]

﴿ **يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٢]

.. أليس ورود الكلمتين ﴿ **يَأْتِ** ﴾ ، ﴿ **كَأَحَد** ﴾ ، في هاتين الصورتين القرآنيّتين دون الصيغة (تأت) ، (كإحدى) ، هو بصيغة المذكّر ؟ .. وهل المقصود – بناءً على قولهم –

في هاتين الصورتين القرآنيّتين — هو الذكور ؟!!! ..

.. إنّ ورود الصورة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴾ ، دون الصيغة : (إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُنّ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُنّ تَطْهِيراً) ، هو لحكمة إلهيّة ، منها السببان التاليان :

– في هذه الصياغة القرآنيّة المطلقة تدخل نساء النبي تحت مفهوم (أهل البيت) ، ويدخل غيرُهن ، فلو كانت الصياغة القرآنيّة بصيغة المؤنّث لانحصر مفهوم أهل البيت بنساء النبي فقط ..

.. في هذه الصياغة المطلقة بهذه الحيثيّة دليلٌ على أنَّ العرضَ مسألةُ شرف يهمُّ الجميع ، فالأحكامُ القرآنيّةُ السابقةُ للصورة القرآنيّة — موضوع الدراسة — والمصوّرة لأمر الله تعالى لنساء النبي ﷺ : ﴿ .... إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلۡبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلۡنَ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا .... ﴾ ... هذه الأحكام كشرف وعرض — كما نرى — تهمّ الجميع على حدٍّ سواء : النبيَّ ﷺ ونساءه ، وأهل بيته ، والمؤمنين المنتسبين عقيدة لأهل البيت ..

.. وإن كانت مسألةُ آل البيت (التي لم ترد بهذه الصيغة ولا لو مرّة واحدة في كتاب الله تعالى) نسباً دمويّاً ، فمنّ من أقرب الناس (دماً) إلى النبيّ ﷺ — ما عدا فاطمة رضي الله تعالى عنها — هو عمّه الملقّب بأبي لهب .. فهل قرابةُ أبي لهب الدمويّة للنبيّ تفيدُ أبا لهب في شيء ، وتعطيه أيّ درجةٍ للتقرّب إلى بيت الرسالة والنبوّة ؟!!! ..

.. إنَّ أهليّةَ الانتساب إلى بيت الرسالة والنبوّة ، هي أهليّة عقيدة ، لا أهليّة نسب دموي .. ففاطمةُ رضي الله تعالى عنها هي من أهل البيت ليس لأنّها — فقط — ابنة النبي ﷺ ، وإنّما لأنّها تنتمي إلى بيت الرسالة والنبوّة بإيمانها وتقواها والتزامها بمنهج الله تعالى ، وكذلك الأمر

لكلِّ أهل البيت ..

.. وإرادةُ الله تعالى (كما يبيّن لنا في كتابه الكريم) تنقسمُ إلى :

- إرادة كونيّة تتعلّق في إيجاد الأشياء الماديّة (غير المكلّفة) ، وهي حتميّة الوقوع ، كون هذه الأشياء لا إرادة لها ، ولا يعنيها التكليف وحريّة الاختيار ..

- إرادة شرعيّة تتعلّقُ بتبيان منهج الله تعالى وأوامره وتكليفه للكائنات المُكلّفة ، وهي تُصوّرُ ما يُريده الله تعالى للبشر ويرضاه لهم ، وليست حتميّة الوقوع كالإرادة الكونيّة .. فلو كانت حتميّةَ الوقوع لَرُفِعَ التكليف ، ولما كان هناك معنىً لفلسفة الثواب والعقاب في القرآن الكريم ..

.. وإرادة الله تعالى في العبارة القرآنيّة ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ ، هي إرادة شرعية وليست كونيّة ، بمعنى أنّ الله تعالى يريد لأهل البيت ــ على إطلاق هذه المسألة ــ الطهارة وإذهاب الرجس ، ويطلب منهم ذلك ويأمرهم به .. أمّا وقوع هذه الإرادة فهو مسألة متوقّفة على إرادة أهل البيت في الطهارة وإذهاب الرجس وعلى عملهم وفق مقتضيات هذه الإرادة .. وهذا يختلف تماماً عن الإرادة الكونيّة المتعلّقة بإيجاد الأشياء في الكون بعيداً عن المسائل الشرعية ..

﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس : ٨٢]

.. فكما نرى في هذه الصورة القرآنيّة أنّ الله تعالى يقول : ﴿ **إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا** ﴾ ، ولم يقل (إذا أراد أمراً) ، وهذا دليل الإرادة الكونيّة ــ في هذه الآية الكريمة التي تبيّن حتميّة إيجاد ما يريده الله تعالى من الأشياء ــ دون الإرادة الشرعية ..

.. إرادة الله تعالى الشرعية (المتعلّقة بأحكامه وأوامره ونواهيه) ترتبط بعدم حصول الظلم للعالمين ، وبأن يتّجه الإنسان بعمله إلى الآخرة ، وأن لا يتّجه إلى عَرَضِ الدنيا الزائل ..

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٠٨]

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧]

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعِبَادِ ﴾ [غافر : ٣١]

.. فهل جميع البشر عملوا بهذه الإرادة الشرعية التي يريدها الله تعالى لهم جميعاً ؟ ... اللهُ تعالى يُخاطبُ الجميع – في الصورة القرآنيّة التالية – مبيّناً أنّه جلّ وعلا يريد تبيانَ الحقّ لكلِّ الناس ، ويريدُ هدايتَهم ، ويريدُ التوبة لهم ..

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٢٦ – ٢٧]

.. فهل جميع البشر اهتدوا ونالوا توبةَ الله تعالى وغفرانه ، لمجرّد أنَّ الله تعالى يريدُ لهم ذلك ؟ !!! .. أبداً ... إنَّ الذين تتحقّق إرادةُ الله تعالى الشرعيّة هذه بهم ، هم فقط الذين عملوا بأحكام الله تعالى التي بيّنها لهم ، والتي هداهم إليها ..

.. وهكذا .. فنساءُ النبي ﷺ – أزواجه وبناته – ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ ﴾ ، حينما يتمثلن أحكام الله تعالى : ﴿ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ .. حين ذلك .. تتحقّق إرادةُ الله تعالى الشرعيّة في أهل البيت (ذكوراً وإناثاً) بصون عرضهم وشرفهم وبتمثّلهم لأحكام الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ ..

.. فإذهاب الرجس والتطهير الذي يريده الله تعالى لأهل البيت (ذكوراً وإناثاً) ، يكون نتيجةَ عمل نسائهم والتزامهنّ بأحكام العبارات القرآنيّة السابقة لعبارة التطهير في الآية ذاتها ..

.. بهذا الربط بين عبارة التطهير والعبارات القرآنيّة السابقة لها ، نصبحُ أكثرَ إدراكاً للحكمة الإلهيّة في ورود العبارة القرآنيّة : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ بصيغة المذكّر دون المؤنّث ، في الوقت الذي ترد فيه أحكام العبارات القرآنيّة السابقة لهذه العبارة القرآنيّة في الآية ذاتها بصيغة المؤنّث ..

.. وفوق كلّ ذلك ، فإنّ إرادةَ الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ تتعلّقُ بإذهاب الرجس وبالتطهير ، ولا تتعلّقُ بالعصمة ، كما نرى ..

.. فالعصمةُ مسألةٌ تتعلّقُ بإبلاغ المنهج من الله تعالى ، أي تتعلّق بصفة الرسالة .. بينما إذهاب الرجس والتطهير مسألةٌ تتعلّقُ بالخلاص لله تعالى ، وبالتالي تتعلّقُ بصفة النبوّة ..

.. ولذلك نرى أنّ السياق القرآني المحيط بعبارة التطهير وإذهاب الرجس ، يتعلّقُ بمسألة النبوّة ، من خلال ذكر نساء النبيّ ﷺ والأحكام الخاصّة المتعلّقة بهنّ كونهنّ نساءَ النبيّ ..

.. فقولُه تعالى في السياق القرآني السابق لعبارة التطهير : ﴿ **يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ** ﴾ ، يُؤكّدُ هذه الخصوصيّة التي تُميّزُ نساء النبي ﷺ عن باقي النساء ، وبالتالي يُؤكّدُ أنّ الإرادة – في عبارة التطهير – متعلّقة بمسألة الطهارة وإذهاب الرجس كحالة خاصّة لنساء النبي ، دون مسألةِ العصمة ، كون مسألةِ العصمة متعلّقةً بالرسالة التي هي إبلاغ المنهج لكلّ الناس ..

﴿ **يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ**

فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢ ــ ٣٤]

.. وفوق كلّ ذلك .. أليس ما نُقل عن أهل البيت وما سمعوه من الرسول ﷺ ، قد تمَّ بأدوات تاريخيّة ، لا تختلف كثيراً عن الأدوات التاريخيّة التي نُقلَت بها أحاديث أهل السنّة ؟ .. أليست مصداقيّةُ الروايات التاريخيّة – عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء – تُؤخذُ من موافقتها لكتاب الله تعالى ؟ ..

.. وبالتالي ما الفائدة من تضخيم عصمة آل البيت عند الشيعة وعدالة الصحابة عند السنّة ، إذا كان ما نُقل عنهم سيُعايَر على نصٍّ مقدّس هو كتاب الله تعالى ؟ .. وما الفارق بين كونهم معصومين وعدولاً وتمّ الخطأ في النقل عنهم ، وبينهم كونهم ليسوا معصومين وليسوا عدولاً وتمّت الأمانةُ في النقل عنهم ؟ .. ألسنا في الحالتين أمام نصوصٍ تاريخيّة لا بُدّ لها من نصٍّ مقدّس (كتاب الله تعالى) لِتُعايرَ عليه ؟ ..

.. إذاً نساء النبي ﷺ لا يمكن القول بأنهنّ معصومات عن الخطأ ، وأنَّ كلّ ما يعملنه سنّة مقتبسة من سنّة رسول الله ﷺ ، وأنّهنّ – كزوجات للنبيّ ﷺ – أفضلُ الموجود في عصرهنّ ، كما يُريدُ أن يقولَ بعضُهُم .. فالعبارة القرآنيّة **﴿ خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾** في قولِه تعالى **﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾** [التحريم : ٥] .. إضافةً إلى ورود العبارة **﴿ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾** التي لا تعني اليقين ، وذلك بورود كلمة **﴿ إِن ﴾** دون كلمة (إذا) ، في قولِه تعالى : **﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾** [الأحزاب : ٣٢] .. يُؤكِّدُ لنا الجانبَ البشريّ (احتمالَ الخطأ ، وعدمَ العصمة) في ذاتِ نساءِ النبيِّ ﷺ ، ويُؤكِّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه من الوسطيّة والاعتدال في صحّة ما نقول ..

.. وهذا لا يعني أنّنا – بذلك – نسيءُ لزوجات النبيّ ﷺ كما سيتوهّم بعضُهم

وسيفتري علينا .. إنهنّ – رضي اللهُ تعالى عنهنّ – بشرٌ يتطهرن بمقدار التزامهن بإرادة الله تعالى الشرعية ، للتطهير ولإذهاب الرجس .. وكذلك الأمر بالنسبة لسائر أهل البيت .. فوصفُ الله تعالى لزوجات النبيّ ﷺ بأنّهنّ أزواجُ النبيِّ ﷺ وأمّهاتُ المــؤمنين ، يكفــيهنّ شرفاً ومرتبةً تميّزن بها عن غيرهنّ من نساء عصرهن ..

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب : ٦]

.. إذاً المقولة بأنّ آل البيت معصومون ، ما يقولونه من التشريع ، والمقولة بأنّ الصحابة (وزوجات النبي ﷺ) كلّهم عدول ، أفعالهم وأقوالهم مستمدّة من سنّة رسول الله ﷺ .. هذه المقولات جميعها لا علاقة لها بمنهج الله تعالى ، وجميعها وُضعت تتابعاً مــع الــزمن لتكريس المذهبيّة العصبيّة التي مزّقت جسد هذه الأمّة ..

.. علينا ألاّ نُطَلِّقَ عقولَنا ونحن نقرأُ آيات كتاب الله تعالى ، جرياً وراءِ أهواءِ الكثيرين ، الذين يقدّمون أنفسهم ناطقين باسم منهج الله تعالى ..... فالآيةُ الكريمةُ :

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

.. هذه الآيةُ الكريمةُ لا تعني كُلَّ من صاحَبَ النبيَّ ﷺ كما يذهبُ الكثيرون .. ولو تصوّرنا حَمْلَ دلالاتِ هذه الآيةِ الكريمة على المحملِ التاريخي الذي لا يتجاوزُ الجيلَ الأوَّلَ ، فإنَّ كلمة ﴿ مِن ﴾ في العبــارة القرآنيّــة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ تعني جزءاً من المهاجرين والأنصار ، ولا تعني كُلَّ المهــاجرين والأنــصار ، فكلمة ﴿ مِن ﴾ – وفق هذا المحمل التاريخي المتصوَّر – تفيد التبعيض ، ولا تُفيد التبيين ..

.. وكيف تفيد التبيين لتشملَ كلَّ الصحابة وهناك من مرد على النفاق مــن أفــراد الجيل الأوّل ، مِمّنْ عاش مع النبيِّ في المدينة ، دون أن يعلمَ النبيُّ نفاقَهم الذي مردوا عليه ..

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٠ – ١٠١]

.. ألا تنطبق تعاريف الصحابة التي وضعوها على المعنيين بقوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ ﴾ من الآيةِ الثانية .. فكيف بنا أنَّ نتصوَّرَ هؤلاء الذين مردوا على النفاق ، مشمولين مع الذين تعنيهم العبارة القرآنيّة : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ من الآيةِ الأولى ؟!!! ..

.. وفي العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ ، نرى أنَّ كلمة ﴿ ٱتَّبَعُوهُم ﴾ ترد بصيغة الماضي ، وبذلك تحملُ دلالاتٍ تتجاوزُ الجانبَ التاريخيَّ الذي فُسِّرَتْ به هذه الآية الكريمة .. فلو كانت دلالاتُ هذه الآية الكريمة لا تتجاوزَ الإطارَ التاريخيَّ الذي فُسِّرَت به ، لكانت على الشكل : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعونَهم بِإِحْسَانٍ) ، أي بورود كلمة (يَتَّبعونَهم) بصيغة المضارع بدلَ كلمةَ ﴿ ٱتَّبَعُوهُم ﴾ بصيغة الماضي .. ففرض الدلالة التاريخيّة على العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ ، بحيث لا تعني إلاَّ الجيلَ الأوَّلَ ، يقتضي وَصْفَ من يتّبعُهم لاحقاً بصيغة المضارع وليس الماضي ، فهذه الآيةُ الكريمةُ نزلت زمنَ الجيل الأوَّل ، ومُتَّبعو الجيل الأوّل هم لاحقون لهم وليسوا سابقين ، وبالتالي سيتّبعونَهم بعد نزول هذه الآية الكريمة ، وكلُّ ذلك تناسبه صيغةُ المضارع وليس الماضي ..

.. نقرأُ من كلِّ ذلك أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ** ﴾ تحملُ دلالاتٍ تتجاوزُ الإطارَ التاريخيَّ لتشملَ صفةً مجرّدةً عن التاريخ .. فالسبقُ المعنيُّ هو سَبْقٌ إيمانيٌّ ، وهو سبْقُ خلاصٍ ونقاء وقربى من الله سبحانه وتعالى ، من الممكن أن يدخلَ ساحتَه أيُّ إنسانٍ في كلِّ زمانٍ ومكان حينما يُحقِّقُ متطلبات هذا السبق .. وصياغةُ كلمة ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ** ﴾ بهذه الحيثيّة من الصياغة ، أي بصيغة جمع لاسم الفاعل ، تقوّي كونَ السبق المعني سبق خلاصٍ ونقاء وقربى من الله سبحانه وتعالى ..

.. ألا تعني كلمة : ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ** ﴾ في النصِّ القرآني : ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ** ﴾ [الواقعة : ١٠ – ١٤] ... ألا تعني سبقاً إيمانيّاً مجرّداً عن التاريخ ؟ .. فكيف إذاً تُحصَرُ دلالات العبارة القرآنيّة : ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ** ﴾ ضمن إطار التاريخ ؟!!! ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ **مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ** ﴾ تحملُ دلالاتٍ مجرّدةً عن أحداث التاريخ ، لتبيّنَ لنا ماهيّةَ السبق المعنيِّ بالعبارة السابقة لها ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ** ﴾ ، وذلك من هجرٍ لكلِّ ما ينهى اللهُ تعالى عنه ومن نصرٍ لكلِّ ما يريدُه الله تعالى ..

.. فعلى هذا المحمل من التفسير ، تحملُ كلمةُ ﴿ **مِن** ﴾ في العبارة ﴿ **مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ** ﴾ ، معنى التبيين ، ووفق هذا المنظار من التفسير نستطيعُ مقارنةَ معنى التبيين في كلمة ﴿ **مِن** ﴾ ، من العبارة القرآنيّة ﴿ **مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ** ﴾ ، مع معنى التبيين في كلمة ﴿ **مِن** ﴾ من العبارة القرآنيّة ﴿ **فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ** ﴾ [الحج : ٣٠] ..

.. معنى التبيين يتعلّقُ بعدمِ حصْرِ دلالات العبارة القرآنيّة في إطارٍ تاريخيٍّ مُحدَّد ، وبالتالي فالقولُ بأنَّ كلمة ﴿ **مِن** ﴾ في العبارة ﴿ **مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ** ﴾ ، تحملُ معنى

التبيين دون التبعيض ، مع حمل الآية الكريمة على محملٍ تاريخيٍّ لا يتجاوزُ أفرادَ الجيل الأوَّل كما يذهب الكثيرون ، مقارنةً مع العبارة القرآنيّة ﴿ **فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ** ﴾ [الحج : ٣٠] ، هذا القولُ ليس سليماً ولا بأيِّ وجهٍ من الأوجه ، لأنَّ العبارةَ القرآنيّة ﴿ **فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ** ﴾ تحملُ دلالاتٍ فوقَ التاريخ والزمان والمكان ، مخاطبةً كلَّ إنسانٍ في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. إذاً .. كلمةُ ﴿ **مِن** ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ** ﴾ تحملُ معنى التبعيض دون التبيين في حالِ حَملِ الآيةِ الكريمة على المحمل التاريخي ، وتحملُ معنى التبيين في حالِ حمل الآيةِ الكريمة على محملِ الإطلاق الذي يتجاوزُ التاريخ .. وفي كلتا الحالتين نرى أنَّ العبارةَ القرآنيّة ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ** ﴾ لا تعني جميعَ الصحابةِ كما يريدُ الكثيرون .. والأولى في تفسيرِ هذه العبارة القرآنيّة هو إطلاقها لتشملَ دلالاتٍ تتجاوزَ التاريخَ والزمان والمكان ، وليكونَ لها ساحاتُ اتّباعٍ في كلِّ زمانٍ ومكان ، شأنُها بذلك شأنُ كلِّ آياتِ كتاب الله تعالى ..

.. علينا ألاّ نُغْفِلَ الجانبَ البشري في نفوس أهل البيت والصحابة ونساء النبيّ على حدٍّ سواء ..

.. لننظر إلى الأحاديث التالية لنرى هذه الحقيقة بشكلٍ واضحٍ جليٍّ ..

صحيح البخاري (٤٠١٩) :

حَدَّثَنِي .... أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمِّرْ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ عُمَرُ بَلْ أَمِّرْ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا أَرَدْتَ إِلاَّ خِلافِي قَالَ عُمَرُ مَا أَرَدْتُ خِلافَكَ فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا ....

صحيح البخاري (٦٧٦١) :

حَدَّثَنَا .... فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ فَأَذِنَ لَهُمَا قَالَ الْعَبَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ اسْتَبَّا فَقَالَ الرَّهْطُ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا وَأَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنْ الآخَرِ ....

صحيح مسلم (٣٣٠٢) :

و حَدَّثَنِي .... ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ قَالَ نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمَا فَقَالَ عَبَّاسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ فَقَالَ الْقَوْمُ أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرِحْهُمْ ....

صحيح مسلم (٣٣٠٤) :

حَدَّثَنِي....... فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ قَالَ فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْلاً وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيٌّ وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنْ النَّاسِ وِجْهَةٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ وَلَمْ يَكُنْ بَايَعَ تِلْكَ الأَشْهُرَ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ ائْتِنَا وَلا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ كَرَاهِيَةَ مَحْضَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ عُمَرُ لأَبِي بَكْرٍ وَاللَّهِ لا تَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي ....

صحيح البخاري (٦٥٧١) :

حَدَّثَنَا .... فَسَمِعْتُ عَمَّارًا يَقُولُ إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ

صحيح البخاري (٦٥٧٢) :

حَدَّثَنَا .... قَامَ عَمَّارٌ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ فَذَكَرَ عَائِشَةَ وَذَكَرَ مَسِيرَهَا وَقَالَ إِنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتُلِيتُمْ

صحيح البخاري (٢٣٩٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ وَالْحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِّمِيهِ قَالَتْ فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلا عَائِشَةَ قَالَتْ فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ يَا بُنَيَّةُ أَلا تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ قَالَتْ بَلَى فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرَتْهُنَّ فَقُلْنَ ارْجِعِي إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا قَالَتْ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ....

صحيح البخاري (٦٢٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ الأَرْضَ وَكَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٍ آخَرَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لابْنِ عَبَّاسٍ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ لِي وَهَلْ تَدْرِي مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ قُلْتُ لا قَالَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

صحيح مسلم (٢٦٥٦) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُ نِسْوَةٍ فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الأُولَى إِلا فِي تِسْعٍ فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَجَاءَتْ زَيْنَبُ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ هَذِهِ زَيْنَبُ فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى اسْتَخَبَتَا وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا فَقَالَ اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الصَّلَاةِ وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ ....

صحيح البخاري (٦٦٥٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَقَالُوا صَبَأْنَا صَبَأْنَا فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ فَأَمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَسِيرَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ

صحيح البخاري (٤٢٩٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ مَرَرْتُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَقُلْتُ مَا أَنْزَلَكَ بِهَذِهِ الأَرْضِ قَالَ كُنَّا بِالشَّأْمِ فَقَرَأْتُ : **﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾** قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا هَذِهِ فِينَا مَا هَذِهِ إِلا فِي أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ إِنَّهَا لَفِينَا وَفِيهِمْ

صحيح البخاري (٦٩١١) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَقَالَ لَهُمْ أَلا تُصَلُّونَ قَالَ عَلِيٌّ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً

صحيح مسلم (٤٧١٣) :

حَدَّثَنَا....... فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ قَالَ فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً وَقَالَ اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ قَالَ ثُمَّ قَالَ لِيَ اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ لا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ ....

صحيح البخاري (٦٥٧٩) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ لَمَّا كَانَ ابْنُ زِيَادٍ وَمَرْوَانُ بِالشَّأْمِ وَوَثَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَوَثَبَ الْقُرَّاءُ بِالْبَصْرَةِ .... فَقَالَ يَا أَبَا بَرْزَةَ أَلا تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ فَأَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ إِنِّي احْتَسَبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءِ قُرَيْش إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى الْحَال الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنْ الذِّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلالَةِ وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلام وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنْ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلا عَلَى الدُّنْيَا

صحيح مسلم (١٧٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاص وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَار فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ .... وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَال لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا ....

صحيح مسلم (٤٦١٧) :

حَدَّثَنَا .... ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكِ مَنْ يَسْحَبُكِ بِقُرُونِكِ قَالَ فَأَبَتْ وَقَالَتْ وَاللَّهِ لا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي قَالَ فَقَالَ أَرُونِي سِبْتَيَّ فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَذَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ قَالَتْ رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ الدَّوَابِّ وَأَمَّا الآخَرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لا تَسْتَغْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلا إِخَالُكَ إِلا إِيَّاهُ قَالَ فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا

صحيح البخاري (٥٧٦٠) :

حَدَّثَنَا .... وَكَانَ الْفَضْلُ رَجُلاً وَضِيئًا فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاس يُفْتِيهِمْ وَأَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ وَضِيئَةٌ تَسْتَفْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ

إِلَيْهَا وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ فَأَخَذَ بِذَقَنِ الْفَضْلِ فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَنْ النَّظَرِ إِلَيْهَا ....

صحيح البخاري (٥٥٣٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ كُنْتُ شَاهِدًا لابْنِ عُمَرَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتَ فَقَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا

صحيح البخاري (٥٨٦١) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ

صحيح البخاري (٤٠٠٣) :

حَدَّثَنِي .... فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ يَا بُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيًّا فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ لا تُبْغِضْهُ ....

صحيح البخاري (٣٠٣٩) :

حَدَّثَنِي .... عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ فَقَالا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ ....

صحيح البخاري (٤٤٥٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا فَقَالَ خُذُوهُ فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا فَقَالَ مَرْوَانُ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا

أَتَعِدَانِنِي فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ إِلا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي

.. وهذا الجانب البشري في نفوس رجال الجيل الأول (الصحابة وأهل البيت) ، تعدّى علاقاتهم مع بعضهم بعضاً إلى علاقاتهم مع الرسول ﷺ ، ومع تطبيق المنهج الذي أُنزل إليه .. لننظر إلى الأحاديث التالية ...

صحيح مسلم (٤٦) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ .... فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ النَّعْلانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لاسْتِي فَقَالَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لاسْتِي قَالَ ارْجِعْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَلا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَلِّهِمْ

صحيح البخاري (١٤٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْجُبْ نِسَاءَكَ فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنْ اللَّيَالِي عِشَاءً وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً فَنَادَاهَا عُمَرُ أَلا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ ....

صحيح مسلم (٤٠٣٥) :

حَدَّثَنَا .... وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْجُبْ نِسَاءَكَ فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنْ اللَّيَالِي عِشَاءً وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً فَنَادَاهَا عُمَرُ أَلا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ حِرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ الْحِجَابُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحِجَابَ ....

صحيح مسلم (١٧١٩) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولا إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلا حَدِيثًا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُخِيفُ النَّاسَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ....

صحيح البخاري (٥٢٣٧) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاخْتِلافَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُومُوا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ ابْنُ عَبَّاس يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ

صحيح مسلم (٢٦٨٩) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاس قَالَ كَانَ الطَّلاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلافَةِ عُمَرَ طَلاقُ الثَّلاثِ وَاحِدَةً فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ

صحيح البخاري (٩٠٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلاةُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ فَيَعِظُهُمْ وَيُوصِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْثًا قَطَعَهُ أَوْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَلَمْ يَزَلْ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ

مَرْوَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ فَإِذَا مَرْوَانُ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَجَبَذْتُ بِثَوْبِهِ فَجَبَذَنِي فَارْتَفَعَ فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلاةِ فَقُلْتُ لَهُ غَيَّرْتُمْ وَاللَّهِ فَقَالَ أَبَا سَعِيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ فَقُلْتُ مَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لا أَعْلَمُ فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلاةِ فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلاةِ

موطأ مالك (الحدود) :

و حَدَّثَنِي مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أُتِيَ بِامْرَأَةٍ قَدْ وَلَدَتْ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُرْجَمَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَيْهَا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا وَقَالَ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ فَالْحَمْلُ يَكُونُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلا رَجْمَ عَلَيْهَا فَبَعَثَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي أَثَرِهَا فَوَجَدَهَا قَدْ رُجِمَتْ

سنن الدارمي (١٤٤) :

أَخْبَرَنَا .... أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ فَقَالَ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَضَرَبَهُ وَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي

صحيح البخاري (٤٤١٤) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ ۞ **تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ** ﴾ قُلْتُ مَا أُرَى رَبَّكَ إِلا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ

.. بعد النظر إلى روايات الأحاديث التي عرضناها ، نرى بوضوح تامٍّ أنّ روايات الأحاديث إضافة إلى أنها وصلتنا معنىً لا كتابة ، وصلتنا أيضاً من خلال بشر لا يمكن تجريدهم عن صفتهم البشرية ، وبالتالي لا يمكن تجريدهم عن التفاوت في إدراكهم للحدث ذاته ، وعن التفاوت في درجات إيمانهم ، وعن التفاوت في أهوائهم وحبّهم وكرههم ..

وبالتالي لا يمكن تجريدهم عن الاختلاف في تصديق بعضهم بعضاً حتى في روايات الحديث عن رسول الله ﷺ .. لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري (٣٣٤) :

حَدَّثَنَا .... فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا أَمَا كَانَ يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الآيَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي هَذَا لأَوْشَكُوا إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمْ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَمَّمُوا الصَّعِيدَ قُلْتُ وَإِنَّمَا كَرِهْتُمْ هَذَا لِذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِد الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا فَضَرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الأَرْض ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ ....

صحيح البخاري (٥٧٧٦) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ فَقَالَ وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

صحيح مسلم (٤٠١٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ هَذَا أَبُو مُوسَى السَّلامُ عَلَيْكُمْ هَذَا الأَشْعَرِيُّ ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ رُدُّوا عَلَيَّ رُدُّوا عَلَيَّ فَجَاءَ فَقَالَ يَا أَبَا مُوسَى مَا رَدَّكَ كُنَّا فِي شُغْلٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلا فَارْجِعْ قَالَ لَتَأْتِيَنِّي عَلَى هَذَا بِبَيِّنَةٍ وَإِلا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى قَالَ عُمَرُ إِنْ وَجَدَ بَيِّنَةً تَجِدُوهُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ عَشِيَّةً وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجِدُوهُ ....

صحيح البخاري (٢٧٩٤) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَرَّقَ قَوْمًا فَبَلَغَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ وَلَقَتَلْتُهُمْ ......

صحيح مسلم (٢٢٠٠) :

و حَدَّثَنَا .... قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ الضُّحَى فِي الْمَسْجِدِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلاتِهِمْ فَقَالَ بِدْعَةٌ فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرْبَعَ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَكَرِهْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ فِي الْحُجْرَةِ فَقَالَ عُرْوَةُ أَلَا تَسْمَعِينَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَتْ وَمَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلا وَهُوَ مَعَهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ

صحيح مسلم (٢١٩٢) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ كُنْتُ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ الزُّبَيْرِ اخْتَلَفَا فِي الْمُتْعَتَيْنِ فَقَالَ جَابِرٌ فَعَلْنَاهُمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَهَانَا عَنْهُمَا عُمَرُ فَلَمْ نَعُدْ لَهُمَا

صحيح البخاري (٥١٠٣) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ حُمُرِ الأَهْلِيَّةِ فَقَالَ قَدْ كَانَ يَقُولُ ذَاكَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ وَلَكِنْ أَبَى ذَاكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ : **قُلْ لا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا**

صحيح البخاري (٤٦٢١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ عُمَرُ أُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ لَحَنِ أُبَيٍّ وَأُبَيٌّ يَقُولُ أَخَذْتُهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلا أَتْرُكُهُ لِشَيْءٍ ....

.. إنّ رسول الله ﷺ أُنزلت عليه الرسالة لِيُبَلِّغَ البشريةَ كتابَ الله تعالى والسنّةَ المفسّرةَ والمفصّلةَ لكتاب الله تعالى ، المجرّدة عن الخصوصيّة المتعلّقة بالجيل الأوّل .. ولذلك حتى ينتقل الرسول ﷺ بذلك المجتمع من الأعراف الجاهلية إلى أحكام الدين الإسلامي ، احتاج إلى التدرُّج المرحلي في الكثير من أقواله وأفعاله ، كون كتاب الله تعالى لم يترل دفعة واحدة .. أي احتاج الرسول ﷺ إلى أن ينسخَ بعضَ ما قام به من أفعال وأقوال قام بها كمجاراة لأعراف اجتماعية سائدة .. أو قام بها نتيجة اجتهادٍ بشريٍّ لا علاقة له بالوحي والشريعة .. لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح مسلم (٤٣٥٦) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلاءِ فَقَالُوا يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

صحيح البخاري (٥٢٥٤) :

حَدَّثَنَا .... فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَسَاقُوا الإِبِلَ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِمْ فَجِيءَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ قَالَ قَتَادَةُ فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْحُدُودُ

صحيح البخاري (٥١٤٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَبَقِيَ فِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا عَامَ الْمَاضِي قَالَ كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا

صحيح البخاري (٢٧٩٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْثٍ فَقَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا وَفُلانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وَفُلانًا وَإِنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إِلا

اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا

موطأ مالك (٩١٩) :

و حَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ رَبِيعَةَ بْن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ لَحْمًا فَقَالَ انْظُرُوا أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ لُحُومِ الأضْحَى فَقَالُوا هُوَ مِنْهَا فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهَا فَقَالُوا إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَكَ أَمْرٌ فَخَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَأُخْبِرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأضْحَى بَعْدَ ثَلاثٍ فَكُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَادَّخِرُوا وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ الانْتِبَاذِ فَانْتَبِذُوا وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلا تَقُولُوا هُجْرًا يَعْنِي لا تَقُولُوا سُوءًا

.. واضح لكلِّ ذي عقل أنّ هناك أعمالاً قام بها رسول الله ﷺ وأقرّها ، منها ما هو مرحلي انتقالي لا يريد له رسول الله ﷺ الاستمرار ، ومنها ما هو خاص ، ومنها ما هو عمل كوني لا علاقة له بالتشريع .. إذاً علينا أن ننظر إلى تاريخيّة رواية الحديث الذي بين أيدينا ، ومقارنتها بالنصّ القرآني الخاصّ بها ، لنعلم هل العمل الذي قام به رسول الله ﷺ في هذه الرواية هو من الأعمال الخاصّة والمرحليّة التي عاد عنها رسول الله ﷺ ، أم من الأعمال التي قام بها ﷺ بعد نزول النص القرآني الخاص بهذه الأعمال ، والتي فعلها وقالها رسول الله ﷺ كتفسير وتفصيل للنص القرآني وكتمثّل لأحكام هذا النص .. هذه المسألة مهمّة جدّاً لتحرّي شاطئ السنّة الشريفة في بحر هذه الروايات ..

.. والبحث عن تاريخيّة أعمال الرسول ﷺ التي وصلتنا في روايات الأحاديث ، هي مسألة موجودة في نصوص الحديث ذاتها ..

صحيح البخاري (٦٣٣٥) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى عَنْ الرَّجْمِ فَقَالَ رَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَقَبْلَ النُّورِ أَمْ بَعْدَهُ قَالَ لا أَدْرِي ....

صحيح مسلم (٣٢١٤) :

و حَدَّثَنَا .... قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى هَلْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ قَالَ قُلْتُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ أَمْ قَبْلَهَا قَالَ لا أَدْرِي

.. بعد هذا العرض يظهر واضحاً جليّاً السببُ في نهي رسول الله ﷺ عن كتابة الحديث عنه ، لأنه ﷺ يعلم أنّ هناك الكثير من الأعمال التي يقوم بها هي أعمال خاصّة أو مرحليّة ستتبدَّل وتتغيَّر حين نزول النص القرآني الخاص بها ، ولذلك خشي الرسول ﷺ أن تصبح هذه الأعمال التي ستتبدّل وتتغيّر دستوراً مستمرّاً فيما إذا وُثّقت كتابة ..

.. ولذلك — كما قلنا — إنّ القول بأنّ الرسول ﷺ إنّما نهى عن كتابة الحديث عنه خوفاً من اختلاطه بالقرآن ، هو قول لا برهان عليه ، وكان بالإمكان تجاوز هذه المسألة — مسألة الاختلاط — ببساطة .. فتجاوز هذه المسألة أهون بملايين المرّات من إعادة كتابة الحديث عنه ﷺ بعد قرون من الزمن ..

.. إنّ ما كان يخافه الرسول ﷺ هو ما وقع من الفتن التي وقعت بعده ، ومن الدسّ والافتراء الذي سيلبّس على أعماله ، لذلك رأينا كيف أنّه ﷺ أكّد أنّ من يكذّب عليه سيتبوّأ مقعده من النار .. لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري (٣٧٢٠) :

.... عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الأولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَةِ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتْ الثَّالِثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ

صحيح البخاري (٤١٥٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَاهُ رَجُلانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالا إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي فَقَالا أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَقَالَ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ ....

صحيح البخاري (٤٢٨٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا أَوْ إِلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ

فَقَالَ وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ

صحيح البخاري (٦٥٨٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ

صحيح البخاري (٦٥٨١) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الإِيمَانِ

صحيح البخاري (٢٦٠١) :

حَدَّثَنَا .... فَقَالَ كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ الْمَسْجِدِ لَبِنَةً لَبِنَةً وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغُبَارَ وَقَالَ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ

.. إذاً .. أبحرت إلينا روايات الأحاديث معنىً لا كتابة ، عبر بحر يموج بالصراعات والحروب الداخلية المؤلمة ــ كما يذكر التاريخ على مختلف مشاربه ، وكما رأينا في بعض الأحاديث ــ ومن خلال مُناخ يُمطر بالأهواء السياسية لكلِّ طرف من أطراف هذه الحروب والصراعات ..

.. ومخرجو هذه الروايات قصدوا الدقّة الكاملة ــ حسب استطاعتهم ــ لينقلوا لنا بأمانة فائقة ما وصلهم ، ولذلك رأيناهم ــ من خلال ما عرضنا ــ لا يخافون لومة لائم في عرض الأحاديث المختلفة ــ بل المتناقضة أحياناً ــ للحدث ذاته .. ومن يقرأ التاريخ يرى كم عانوا من الضغوط والتُّهم والتعذيب ، وكم بذلوا من الجهد حتى أوصلوا إلينا هذه الروايات ..

.. والفاصل الزمني ــ الكبير نسبيّاً ــ بين فترة الرسالة وفترة إخراج الحديث على أيدي مخرجيه ــ إضافة لما ذكرنا من صراعات وأهواء سياسية متناقضة ــ هو من أسباب هذا الاختلاف بين بعض الروايات ، فالإمام البخاري عاش في فترة (١٩٤ ــ ٢٥٦) هجري ، ومسلم (٢٠٦ ــ ٢٦١) هجري ، والترمذي (٢١٠ ــ ٢٧٩) هجري ، والنَّسائي (٢١٥ ــ ٣٠٣) هجري ، وأبو داود (٢٠٢ ــ ٢٧٥) هجري ، وأحمد بن

حنبل (١٦٤ ــ ٢٤١) هجري ، وابن ماجه (٢٠٩ ــ ٢٧٣) هجري ، ومالــك (٩٣ ــ ١٧٩) هجري ، والدارمي (١٨١ ــ ٢٥٥) هجري ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن .. ما هي درجة ارتباط هذه الروايات بممارســة المسلمين (وخاصّة الأوائل) للسنّة الشريفة التي أرادها الله تعالى ؟.. وكيف يمكن تحــرّي شاطئ السنّة الشريفة كتشريع مستمرٍّ عبر الإبحار في بحر هذه الروايات ؟ ..

.. وأين القرآن الكريم من ذلك ؟.. وأين هو الميزان الذي من خلاله نــربط الروايــة بتاريخيّة حدثها ، وبالتالي بشرعية حكمها إن كان خاصّاً أو عامّاً أو منسوخاً ؟ وكيــف يمكن توظيف هذه الروايات لتكون عوامل وحدة لهذه الأمّة ؟ ... هذه الأسئلة سنحاول ــ إن شاء الله تعالى ــ الإجابة عليها في الفصل القادم ..

مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

الفصل الثالث

السنّة الشريفة

.. لا شكَّ أنَّ سنّة رسول الله ﷺ كتفصيل وتبيان لكلّيات النصّ القرآني وكتشريع تُطالب به الأمّة في كلِّ زمان ومكان ، وصلتنا جيلاً بعد جيل ، ولا شكَّ أنّ الجيل الأوّل وقع على عاتقه الحملُ الأكبر من مهمّة إيصال هذه السنّة ، ولا شكّ أنّ الجيل الأوّل وما تبعه من أجيال حتى جيل جمع روايات الأحاديث بعد قرون من وفاة الرسول ﷺ ، قد مارست حياتها التعبديّة بشكلٍ كامل .. وكل ذلك دون أن تُوجد روايات الأحاديث التي بين أيدينا والتي أخرجها البخاري ومسلم وَ ....

.. فالسنّة الشريفة – الحقّ – التي تُجمعُ عليها الأمّة من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة ، والتي تُفصّلُ كليّات شعائر العبادات ، انتقلت من جيلٍ إلى جيل عن طريق ممارسة العبادات وكلِّ ما يخصُّ هذه السنّة ، ممارسة حياتيّة تعبديّة يعلمها معظم أفراد الأمّة ابتداءً من الجيل الأوّل حتى جيل جمع الحديث ، بل حتى الآن ..

.. وروايات الأحاديث الموجودة بين أيدينا مرويّة عن أشخاص محدّدين معدودين ، بالإضافة إلى أنّ معظمَها أحاديثُ آحاد .. ولو كانت هذه الأحاديث معلومةً لجميع أفراد الأمّة أو معظمِهِم لما كان داعٍ لاختلاف مخرجي الأحاديث حولها ، ولما كان هناك داعٍ لسفرهم المسافات الطويلة لالتقاط حديث هنا وحديث هناك ، ولما اختلف حتى أفراد الجيل الأوّل حول المسألة الواحدة ، كما رأينا في الفصل السابق ، ولكانت جميع الأحاديث متواترة تواتراً يشمل معظم أفراد الأمّة ..

.. ولو كان هناك إجماعٌ – ما بين الصحابة ومن تبعهم – على ما وصلنا من

روايات الأحاديث لَمَا كان الاختلاف الذي نراه بينها ، وَلَمَا حصلَ ما حصلَ بينهم من اقتتال .. فما حصلَ في معركتي الجمل وصفّين ، وفي مجزرة كربلاء ، وغير ذلك ، ينفي أيَّ إجماع يمكننا تصوّره ، وينفي إطلاقَ مسألتي العدالة والعصمة — اللتين يتحدثون عنهما — من الجذور .. فإن كان اقتتالهم لاختلافات تفسيريّة تتعلّقُ بتطبيق المنهج ، فهذا ينفي مسألةَ الإجماع من جذورها .. وإن كان اقتتالهم لأسباب دنيويّة لا علاقة لها بالمنهج ، فهذا ينفي فرضيتي العدالة والعصمة من جذورهما ..

.. إنَّ السُّنَّةَ الحقّ (المفسّرة والمفصّلة لبعض كليّات النصّ القرآني) محفوظةٌ من قِبَلِ الله تعالى ، كما هو القرآن الكريم محفوظ .. فهذه السُّنّةُ الشريفةُ وصفها الله تعالى بالذكر ..

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤]

والذكرُ (القرآنُ الكريمُ والسنّةُ الحقّ المُستنبطة منه) محفوظٌ من قِبَلِ الله تعالى ..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

.. فهل يُعقَل أنَّ جانباً من الذكر (السنّة الحق التي استنبطها الرسول ﷺ من القرآن الكريم) كان مجهولاً بالنسبة للملايين من الأجيال الأولى ، ولم يعلم به إلاّ الأشخاص المحدَّدون الذين نقلوا لنا مواضيع هذا الذكر بعد قرونٍ من نزول قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ، ومن خلال أحاديث في معظمها أحاديث آحاد ؟ !!! ..

.. وهل من الممكن أن نتخيَّل مرور قرون بعد وفاة الرسول ﷺ والأمّة لا يعرف أفرادها كيف يصلّون ، وكيف يحجّون ، وكيف يزكّون وَ .... باستثناء الأشخاص المذكورين في روايات الأحاديث التي بين أيدينا ، حتى أتى مخرجو هذه الأحاديث وسافروا وبحثوا ، فجمعوا هذه الأحاديث من خلال الأشخاص المحدودين المذكورين في رواياتهم ، وحين ذلك بدأ معظم أفراد الأمّة (غير المذكورين في روايات الأحاديث) بممارسة حياتهم التعبديّة كما فصَّلها وبيَّنها رسول الله ﷺ ؟!!! ..

.. هل يُعقل أنّ معظمَ أفرادِ الأمّة من موت النبيّ ﷺ إلى عصر تدوين الحديث كـــانوا ضالّين لا يقومون بشعائر العبادات ، إلى أن أتى البخاري ومسلم والكافي وغيرهم وعلّموا الأمّة تلك الشعائر ؟!!!!!!! .. أيُّ عقلٍ يستطيعُ تصديق ذلك ؟!!! ..

.. إنَّ معظم جوانب السنّة الشريفة هي الممارسة الفعليّة العمليّة الحياتيّة لمعظم أفـــراد الأجيال المتلاحقة ، لشعائر العبادات ولكلٍّ ما يتعلَّق بحيثيات هذه السنّة (التي تُجمع عليها الأمّة من شعائر مفصّلة لكليّات النصّ القرآني) من قولٍ أو فعلٍ أو إقرار ، ابتداءً من الجيل الأوّل حتى جيل جمع الحديث بل حتّى الآن ..

.. وأتت الروايات بعد قرون لتضيء ـــ من خلال أشخاصٍ محدّدين ـــ الجوانب الـــتي كانت غيرَ معلومة لمعظم أفراد الأمّة إضاءة من مناظير مختلفة ، بدليل اختلاف الروايـــات ومخرجيها للحدث ذاته ، أي أنّ مخرجي روايات الحديث حاولوا توثيق الجوانب الـــتي لا يعلمها معظم أفراد هذه الأمّة ، من خلال استقصاء الأخبار عن بعض رجال الصحابة ممن شهد وعاش أحداثاً تتعلَّق بهذه الجوانب التي لا يعلمها معظم أفراد الأمّة ...

.. وكلامنا هذا لا يعني ـــ كما سيفتري علينا الجاهلون ـــ أنّ جميع الروايات اختصّت بإضاءة هذه الجوانب غير المعلومة لمعظم أفراد الأمّة ... نحن نقول معظم الروايات ـــ ولا نقول جميعها ـــ بدليل إتيانها عبر أفراد محدّدين ، وبدليل الاختلاف ـــ كما رأينا ـــ بـــين الكثير من هذه الروايات حتى داخل صحيح المخرج ذاته ..

.. فالاعتقاد أنّ السنّة الشريفة التي عاشها الجيل الأوّل حتى جيـــل جمـــع الحـــديث ، محصورة داخل إطار روايات الأحاديث ، وأنّ لا سنّة خارج إطار هذه الروايـــات ، وأنّ كلَّ ما وصلنا من الروايات هو سنّة مقتبسة من رسول الله ﷺ ، هو اعتقاد غير موضوعي وغير صحيح ..

.. والاعتقادُ بأنّ كلّ ما عمله الرسول ﷺ هو سنّة مُرادة شرعاً في كلِّ زمان ومكان ، هو أيضاً ـــ كما رأينا في الفصل السابق ـــ اعتقادٌ غير صحيح ، فقد رأينـــا كيـــف أنَّ الرسول ﷺ كان يأمر بالعمل ثم ينهى عنه ، وبالتالي فالعمل الأوّل ليس سنّة شرعيّة مُرادة لكلِّ زمان ومكان ، لأنّه ليس وحياً من الله تعالى .. ففي المسائل الـــتي كانـــت تُواجـــه الرسول ﷺ ، وليس فيها حكم قرآني ، كان ﷺ يتعامل معها إمّا وفق الأعراف المتداولة ،

أو وفق أحكام أهل الكتاب ، وذلك حتى يترل الحكم القرآني الخاصّ بهذه المسائل .. لننظر إلى الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري (٣٢٩٤) :

حَدَّثَنَا....... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ....

صحيح مسلم (٤٣٠٧) :

حَدَّثَنَا .... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ ....

صحيح البخاري (٥٤٦٢) :

حَدَّثَنَا....... قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ ....

مسند أحمد (٢٤٧٤) :

حَدَّثَنَا .... وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ....

مسند أحمد (٢٠٩٩) :

حَدَّثَنَا .... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ وَيُعْجِبُهُ مُوَافَقَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ ....

سنن أبي داود (٣٦٥٦) :

حَدَّثَنَا .... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعْجِبُهُ مُوَافَقَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ ....

.. إذاً كان خيار الرسول ﷺ فيما لم يؤمر به هو ــ كما تؤكّد الأحاديث ــ موافقة أهل الكتاب ، أو مجاراة الأحكام السائدة ، وذلك حتى يترل الحكم القرآني الخاصّ بهذه الأعمال .. فعلى سبيل المثال صلّى رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل باتّجاه بيت المقدس ،

وذلك موافقة لقبلة أهل الكتاب ، كخيار وحيد أمامه حتى نزل الحكم القرآني الخاصّ بهذه المسألة ، والذي يأمر بالاتّجاه نحو المسجد الحرام ..

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٣ ــ ١٤٤] ..

.. الله تعالى يقول : **﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾** ، ولم يقل : (وما جعلنا لك القبلة التي كنت عليها) أو : (وما جعلنا القبلة التي أمرناك بها) .. إضافة إلى أنّــه لا يُوجد نصٌّ قرآنيٌّ يأمر بالاتّجاه إلى بيت المقدس .. ولو كان الاتّجاه إلى بيت المقدس بأمرٍ من الله تعالى لرضي به الرسول ﷺ ، فالرسول ﷺ لا يمكنه أن لا يرضى عن أمر الله تعالى .. فالعبارة القرآنيَّة **﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ ﴾** تشير إلى أنَّ الرسول ﷺ لم يرضَ الاتّجاه نحو بيت المقدس ، وأنّ الله تعالى سيولّيه قبلة يرضاها ، هي الاتجاه إلى المسجد الحرام ..

.. ورسول الله ﷺ لم يرضَ الاتجاه نحو بيت المقدس على الرغم من أنه حكمٌ كتــابيٌّ سابق ، لأن البيت الحرام هو أوّل بيت وضع للناس ، ولأنه ﷺ أولى الناس بإبراهيم الذي رفع القواعد من هذا البيت .. وعدم رضاه ﷺ ليس من أجل مجرّد مخالفة أهل الكتاب ..

.. وهنا نسأل السؤال التالي .. هل أمْرُ الرسول ﷺ للمسلمين الأوائل ولنفسه بالاتجاه نحو بيت المقدس في صلاتهم ، هو سنّة من الله تعالى صالحة لكلِّ زمان ومكان ؟ .. وهــل الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ ثم تراجع عنها فيما بعد والتي رأيناها في الفصل الثــاني ((إقراره ﷺ أن تلقيح النخل لا يغني شيئاً ، وقطع أيدي الرجال وأرجلهم وسمر أعينهم — إن صحّ ذلك — ، والنَّهي عن ادِّخار لحوم الأضحى ، والنّهي عن زيارة القبــور......)) ، هل هي سنَّة أُمرَ رسول الله ﷺ بها بوحي من الله تعالى ؟ .. بالطبع لا ، فليس من المعقول أنَّ الله تعالى يأمر الرسول ﷺ بأن يقول إنّ تلقيح النخل لا يغني شيئاً ، ثم يأمره بأن يتراجع عن هذه المسألة الكونيّة .. ونهاية الحديث الشريف ــ كما رأينا ــ تثبت ذلك ..

صحيح مسلم (٤٣٥٦) :

حَدَّثَنَا .... فَقَالَ إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

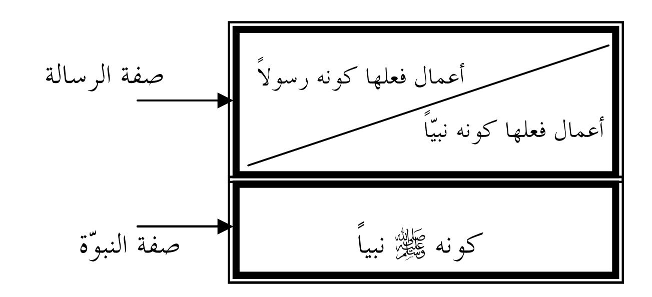
.. وهنا تظهر واضحةً جليّةً أهميّةُ معرفةِ تاريخيّة نصّ الرواية المنقولة عن الرسول ﷺ ، وهل الأعمال التي تصوّرها قام بها الرسول ﷺ أو أمر بها أو نهى عنها ، هي نتيجة موافقة أهل الكتاب أو نتيجة مجاراة أعراف اجتماعيّة كانت سائدة ، أم أنّه ﷺ قام بهذه الأعمال كتفسير وتفصيل لكلّيّات النّص القرآني الخاصّ بهذه الأعمال ؟.. هذه المسألة مهمّة جـــدّاً جدّاً لتحرّي شاطئ السنّة الشريفة عبر بحر هذه الروايات ..

.. إذاً حياة محمّد ﷺ ، التي امتدّت (٦٣) عاماً كما نعلم ، نرى فيها ثلاثَ صفات ، لكلٍّ منها خصوصيّتُها التي تُميّزها ..

.. فكلمةُ محمّد تصفُ حياته ﷺ من ميلاده إلى موته ، فهي تمتدُّ على كامل محور حياته ، أي تمتدُّ (٦٣) عاماً ..

.. وكلمةُ النبي تصفه ﷺ كفرد خالصٍ لله تعالى على مدار (٢٣) عاماً ، منذ بعثه ﷺ إلى موته ، أي منذ أن أصبحَ عُمُرُهُ (٤٠) عاماً ، إلى موته ..

.. وكلمة الرسول تصفُ الجانبَ المتعلّقَ بأفعاله وأقواله وإقراره التي قام بها ﷺ كتبيين وتفصيل لكليّات النصّ القرآني ، بعد نزول النصّ القرآني الخاص بهذه الأعمال ، أي تصفُ جُزءاً من أعماله ، منذ أصبح عُمُرُه (٤٠) عاماً إلى موته ، لتكون الأعمال الأخرى — في هذه الفترة — التي عملها قبل نزول النصّ القرآني الخاص بها ، متعلّقةً بكونه نبيّاً ، وليس بكونه رسولاً ..



شخص محمد ﷺ

موته : (٦٣) سنه بعثه : (٤٠) عاماً ميلاده

.. إنّ إدراكَ هذه الصفات في شخصه ﷺ ، وإدراكَ حدودِ كلِّ صفة منها ، يجعلنا أكثرَ إدراكاً لمعنى السنّة الشريفة ، وأكثرَ تمييزاً لها من بين ركام الأحاديث التي لُفِّقت عليه ﷺ ، أو فعلها أو قالها ﷺ ولكن دون وحيٍ من السماء ، إنّما فعلها ﷺ وقالها كاجتهادٍ بشريٍّ ومجاراةٍ لبعضِ أحكام أهل الكتاب ، أو مجاراة لأعراف اجتماعيّة كانت سائدةً ،كون الآيات الكريمة الخاصّة بها لم تكن – آنذاك – قد نزلتْ من السماء ..

.. ولذلك فأمْرُ الله تعالى بأخذ ما أتى به الرسول ﷺ ، وبالانتهاء عمّا نهى عنه ، وبطاعته ..

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء : ٨٠]

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر : ٧]

.. هذا الأمر هو اتِّباع السنّة الشريفة التي عملها رسول الله ﷺ بأمرٍ من الله تعالى كتفسير وتفصيل لكليّات النصّ القرآني ، ولذلك نرى صيغة الرسالة دون أيِّ صيغةٍ أُخرى **﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾** ..

.. فجميعُ صيغِ الأمر الإلهي في القرآن الكريم لاتّباع المنهج الذي أنزله اللهُ تعالى على محمّد ﷺ تأتي بصيغة الرسالة حصراً [المشتقّة من الجذر اللغوي (ر ، س ، ل)] ..

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ٣٢]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة : ٩٢]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأنفال : ١]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال : ٢٠]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال : ٤٦]

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النور : ٥٤]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النور : ٥٦]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد : ٣٣]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة : ١٣]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [التغابن : ١٢]

.. فلم يقل الله تعالى (أطيعوا النبيّ) أو (أطيعوا محمّداً) أو (وما آتاكم النبيّ فخذوه) أو (وما آتاكم محمّد فخذوه) .. ولو كان ذلك لكان كلّ ما فعله أو قالَه أو أقــرّه ﷺ قبل نزول النصّ القرآني المناسب سنّةً يجبُ اتّباعها .. فهل شرب الخمر الذي كان سائداً قبل نزول النصّ القرآني المُحرِّم له ، هل هو سنّة ؟!!!!!!! .. وهل التوجّه نحو بيت المقدس في الصلاة والذي فعله النبيُّ ﷺ وأصحابه قبل نزول النصّ القــرآني **﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾** [البقرة : ١٤٤] هل هو

سنّة ؟!!!!!!! ..

.. إذاً .. تعريفهم الموروث للسنّة بأنّها كلّ ما فعل ﷺ أو قال أو أقر ، هو تعريفٌ ليس صحيحاً على الإطلاق ، وهذا التعريف تناسبه العبارة : (وما آتاكم النبيّ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، ويختلف تماماً مع قوله تعالى : **﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾** ..

.. وفي هذا دليلٌ على أنَّ السنّةَ الشريفةَ هي – حصراً – ما يتعلّقُ بتفسيرِ النصّ القرآني وتبيينِ دلالاته ، دون الأعمال الأُخرى التي قام بها ﷺ كموافقة لأهل الكتاب ، أو لمجاراة أعراف اجتماعية كانت سائدة ، ريثما يترل النصّ القرآني الخاصّ بها ..

.. فلو كان هناك تعلّقٌ للسنّةِ الشريفة خارجَ حدودِ النصّ القرآنيّ ، لأتى أمر الطاعة – في القرآن الكريم – متعلّقاً بصفة النبوّة ، إضافةً للتعلّق بصفة الرسالة .. ولكنّ حَصْرَ أمر الطاعة بصفة الرسالة يُؤكّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه بأنّ السنّةَ الشريفة لا تتجاوزُ استنباط الرسول ﷺ للدلالات الكامنة في أعماق النصّ القرآني ، مثل جزئيّات شعائر العبادة ..

.. وممّا يُشير إلى ذلك ، أنّ الله تعالى حينما أمر محمّداً ﷺ بتبليغ ما أُنزل إليه ، إنّما أمره كونه رسولاً ، أي كونه حاملاً للقرآن الكريم ، وبالتالي يُخاطبه – في هذا الأمر – بصيغة الرسالة حصراً ..

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧]

.. ولو نظرنا في كتابِ الله تعالى لرأينا أنَّ عبارةَ : (سنّة النبي) أو : (سنّة الرسول) ، لا ترد ولا مرّة في كتاب الله تعالى .. وما ورد هو كلمة : **﴿ ٱلْحِكْمَةَ ﴾** .. وكلمةُ الحكمة نراها مُجرّدةً عن الجانب الشخصي للنبيِّ ﷺ ، بمعنى لم ترد بصيغة : (حكمة النبي) ، أو بصيغة : (حكمة الرسول) ...

.. الحكمةُ مسألةٌ مُتحرِّكةٌ يُؤتيها اللهُ تعالى لمن يشاء في كلِّ زمانٍ ومكان ..

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩]

.. والحكمةُ هي منهجٌ تدبّريٌّ ووسيلة للدعوة ، وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى ..

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥]

.. ولذلك فمجيءُ عيسى عليه السلام بالحكمة ، هو مجيئُهُ بمنهجٍ تدبّريٍّ يُبيّنُ فيه بعضَ ما اُختُلِفَ فيه ..

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الزخرف : ٦٣]

.. والحكمةُ كما يُصوِّرُها كتابُ الله تعالى ، يُعلِّمُها ﷺ للأمّة كما يُعلّمُهم القرآنَ الكريم .. بمعنى أنّه يُعلِّمُهم الحكمةَ كرسولٍ حاملٍ لمنهجِ الله تعالى القرآن الكريم .. فليس من العبث أن يتعلّقَ تعليمُ الحكمةِ بصفةِ الرسالةِ وذلك اقتراناً بالكتاب ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩]

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١]

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢]

.. إنّنا نرى أنَّ تعليمَ الحكمةِ مُتعلِّقٌ بصفةِ الرسالةِ حصراً .. ونرى أنَّ تعليمَ الحكمةِ لا يأتي إلاّ متعلّقاً بتعليم الكتاب .. فتعليمُ الحكمةِ للمؤمنين من قبَله ﷺ ، هو تعليمُها لهم كرسولٍ ، وبشكلٍ لا ينفكُّ – أبداً – عن الكتاب الذي هو القرآنُ الكريم ..

.. فليس من العبث ورود الحكمة في هذه النصوص متعلّقةً بالكتاب في ذات التعليم ، فهذه العبارات لم ترد على الشكل (يعلمهم الكتاب ويعلمهم الحكمة) ، إنما نراها : **﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾** ، فتعليم الحكمة ليس منفكّاً عن تعليم الكتاب ، وكلُّ ذلك ليس منفكّاً عن صفة الرسالة كما نرى ..

.. وحتّى إنزال الحكمة على النبيّ ﷺ وعلى المؤمنين ، لم ينفكَّ هذا الإنزالُ عن الكتاب الذي هو القرآنُ الكريم ..

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣]

.. وهنا أيضاً نرى أنَّ إنزال الحكمة ليس منفكّاً وليس مستقلاً عن إنزال الكتاب ، فالحكمة والكتاب نراهما يتعلّقان بإنزال واحد ، فالكلمتان **[[﴿ أَنزَلَ ﴾ ، ﴿ وَأَنزَلَ ﴾]]** تردان في كلِّ نصٍّ مرّةً واحدة للكتاب والحكمة معاً ..

.. وفي النصِّ التالي نرى أيضاً أنَّ الحكمة لا تنفكّ عن آيات الله تعالى في مسألة التلاوة ..

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٤]

فالله تعالى لم يكرر كلمة (من) بين آيات الله والحكمة : (واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله ومن الحكمة) .. إنما يقول جلَّ وعلا ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾ ، فالحكمة لا تنفك عن آيات الله تعالى في مسألة التلاوة المذكورة كما نرى ..

.. وحرف العطف بين الكتاب (القرآن الكريم) والحكمة ، وبين آيات الله تعالى والحكمة ، لا يعني أبداً عطفاً لِوَحْيين مستقلّين أو نصّين مستقلّين لكلٍّ منهما حدوده المميّزة عن الوحي الآخر أو عن النصِّ الآخر ، كما يريد أن يلبّس بعض عابدي أصنام التاريخ .. أبداً .. وشأن حرف العطف هذا هو شأن حرف العطف بين كلمة الكتاب والقرآن في الآيتين التاليتين ..

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الحجر : ١]

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : ١]

فهل هذا الحرف يفيد أنَّ القرآن نصٌّ مختلفٌ عن الكتاب ؟!!! .. أبداً .. إنَّ الكتاب هي صفة من صفات القرآن ، والعطف لا يفيد الاستقلال والتمايز ..

.. وحرف العطف هذا بين آيات الله والحكمة وبين الكتاب والحكمة ، شبيهٌ بحرف العطف بين العبارة ﴿ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي ﴾ وبين العبارة ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] ..

.. إنَّ الحكمة محتواة في كتاب الله تعالى ، وعطفها على الكتاب وعلى آيات الله تعالى هو نتيجة كون الكتاب (وكون آيات الله تعالى) ساحةَ الاستنباط والتدبّر بالنسبة للحكمة ، فالحكمة (السنّة) ليست وحياً مستقلاً عن وحي الكتاب (القرآن) ، وليست نصّاً مستقلاً عن نصوص الكتاب (القرآن) .. وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى ..

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا

كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٣١ – ٤١]

.. إنَّ كلمة ﴿ ذَٰلِك ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ تتعلّق بالأحكام القرآنيّة في الآيات السابقة مباشرةً لهذه الكلمة (من الآية – ٣١ – حتى هذه الكلمة) ... إذاً الحكمة الموحاة (السنّة) ليست نصّاً خارج دفتي كتاب الله تعالى ، وليست وحياً مستقلاً عن وحي كتاب الله تعالى ، كما يزجمر عابدو أصنام التاريخ ..

.. وهكذا .. فالحكمة التي أنزلها الله تعالى على النبيِّ ﷺ ، لم تنفكّ عن الكتاب كما بيّنا ، وهي محتواة في النصِّ القرآني ، وليست نصّاً مستقلاً عنه ... نستنتجُ من كُلِّ ما سبق ، أنَّ الحكمةَ التي سُميّت تاريخيّاً بالسنّة ، هي تبيانُه ﷺ لكليّات النصِّ القرآني من تفصيلٍ وتفسير ، وأنّها ليست مُستقلّةً عن تدبّرِ كتابِ الله تعالى ، كما يُفترى على منهج الله تعالى

..

.. وبما أنّ روايات الأحاديث ــ كما نعلم ــ لا تحمل ــ بشكل عام ــ إشارات تاريخيّةً تربطها بنزول النصّ القرآني الخاصّ بكلّ رواية .. فأين هو المقياس الذي نستطيع من خلاله معرفة العمل الذي يحمله الحديث بالنسبة لكونه سنّة شريفة صالحة لكلّ زمان ومكان ، أم أنّه موافقة لأهل الكتاب ومجاراة لأعراف اجتماعيّة كانت سائدة ، وذلك قبل نزول النصّ القرآني الخاصّ بهذا العمل ؟ .. هذا المقياس نراه في الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩]

.. إنّ العبارة القرآنيّة **﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾** تبيّن لنا أنّ المقياس هو العودة بالأمر إلى كتاب الله تعالى : **﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾** الذي يأتي بكليّات الأمر ، والعودة به إلى تفسير الرسول ﷺ لهذا الأمر وتفصيله له كجزئيّة مُستنبطة من الكليّة الموجودة في النصّ القرآني : **﴿ وَٱلرَّسُول﴾** ، وهنا نرى أيضاً صيغة الرسالة وليس صيغة النبوّة أو الجانب الشخصي .. وهذا المقياس هو للذين يؤمنون بالله واليوم الآخر **﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ﴾** أفضل المقاييس وأحسنها لمعرفة الحقيقة **﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾** ..

.. إذاً رسول الله ﷺ ــ كما رأينا في روايات الأحاديث ــ كان يجتهد أحياناً اجتهاداً لا علاقة له بالوحي ، وهو اجتهاد بشري يتعلّق بالجانب البشري لرسول الله ﷺ ، وكلّ ذلك ــ كما قلنا ــ قبل نزول النصّ القرآني المتعلّق بالمسائل التي اجتهد بها رسول الله ﷺ ... والقرآن الكريم يثبت ذلك ..

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

.. فهل يُعقل أنّ الله تعالى يأمر رسولَه ﷺ بالإذن لهؤلاء ، ثم يلومه على ذلك ، ويقول له عفوت عنك لقيامك بهذا العمل ؟ .. وبالتالي هل يُعقل أن يكون إذْنُ الرسول ﷺ لهؤلاء سنّةً موحاةً من الله تعالى ؟!!!..

.. أمّا ما كان رسول الله ﷺ لا يجتهد به ، وما كانت سنّته ﷺ سيراً على هداه ، وتفصيلاً وتفسيراً له ، فهو الوحي القرآني الذي كان يترل على الرسول ﷺ روحاً من أمر الله تعالى ..

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الرعد : ٣٠]

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٥]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢]

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٣ ــ ٤٤]

.. فما كان ينطق به رسول الله ﷺ وحياً يوحى من الله تعالى ، بعيداً عن أيّ اجتهاد ، هو القرآن الكريم ..

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ١ ــ ٤]

فالآيتان : **﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾** خاصّتان فقط بنطق القرآن الكريم ، وما يفسّره ويفصّله ﷺ للكليّات التي يأتي بها النصّ القرآني .. ولا يُعقل أنّ

إذنَ رسول الله ﷺ لبعضهم والذي لامه الله تعالى عليه ، وعفا عنه ــ كما رأينا ــ هــو وحيٌ يُوحَى من الله تعالى ..

.. وممّا يُؤكّدُ أنَّ الصورة القرآنيّة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ تخصّ نطقَ الرسولِ ﷺ بالقرآن[1] الكريم ، وما يتعلّق به – حصراً – من تفسيرٍ لبعضِ

---

[1] – لقد بيّنا هذه المسألة بشكلٍ جليٍّ ، من خلال برهان رقمي لا يعرف الكذب والخــداع ، في كتاب : المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) ، حيث تمّ إعطاء كلّ حرف قرآني قيمــة عدديّة تتعلّق بترتيب مجموع وروده في القرآن الكريم ، فتبيّن أنّ مجموعَ القِيَم العدديّة للعبارات القرآنيّة المتكاملة في المعنى والدلالات ، حسب الحرف المرسوم ، هو من المضاعفات التامّة للعدد (١٩) ، وتبيّن أنّ مجموعَ القِيَم العدديّة للنصوص القرآنيّة المتوازنة في المعــنى والــدلالات ، حسب الحرف المرسوم ، متساوية تماماً .. ونجتزئ – فيما يلي – من كتاب : [المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء)] النصَّ التالي ، الذي يُبيّنُ جانباً مِنَ المسألة التي نحن بصدد دراستها :

[[.. ولذلك نرى – في كتاب الله تعالى – أنّ كلمةَ (وَحْي) دون إضافة ، والمتعلّقة بالقرآن الكريم ، تردُ مرّتين في آيتين قيمتهما العدديّة تساوي جداء أساس معجزة إحدى الكُبَر في نفسه ..

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٥] = ٢٨٢

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤] = ٧٩

٢٨٢ + ٧٩ = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

.. وممّا يُؤكّدُ أنّ القرآنَ الكريمَ هو المعنيُّ بكلمةِ ﴿ وَحْى ﴾ في الآية الكريمة ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ، أنّ هذه الآيةَ الكريمةَ تتكاملُ مع عبارةٍ قُرآنيّة تُصوِّرُ لنا وَحْيَ القرآن الكريم ، حيثُ كلمةُ ﴿ وَحْى ﴾ مُضافة ومتعلّقة بالقرآن الكريم لم ترد – في كتاب الله تعالى – إلاّ في هذه العبارة القرآنيّة ..

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ [طـه : ١١٤] = ٢٢٥

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤] = ٧٩

٢٢٥ + ٧٩ = **٣٠٤ = ١٩ × ١٦**

.. ولذلك نرى أنّ كلمةَ ﴿ وَحۡى ﴾ في الآية الكريمة ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ ، تتـــوازنُ تماماً مع كلمة : ﴿ ٱلۡقُرۡءَان ﴾ ..

﴿ وَحۡى ﴾ = **٢٩**

﴿ ٱلۡقُرۡءَان ﴾ = **٢٩**

.. ولو عدنا إلى المسألةِ الكاملة ..

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٥] = ٢٨٢

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤] = ٧٩

٢٨٢ + ٧٩ = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

.. وأخذنا منها العبارةَ القرآنيّة ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ ﴾ مع الآيةِ الكريمة ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ ، في المسألةِ ذاتِها ، لرأيناهما تتوازنان مع عباراتٍ قرآنيّةٍ تصفُ لنا النصَّ القـــرآنيَّ المُنَزَّلَ من عند الله تعالى ..

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ ﴾ = ١٠٩

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ = ٧٩

١٠٩ + ٧٩ = **١٨٨**

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] = **١٨٨**

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] = **١٨٨**

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] = **١٨٨**

.. فالذي يُنذِرُ به الرسولُ ﷺ ، ومن بعده كُلُّ متدبّرٍ لمنهجِ اللهِ تعالى حاملاً رايةَ الدعوة ، هـــو

النصُّ القرآنيُ حصراً ، وما يُستنبَطُ منه .. وهذا يُؤكِّدُ أنّ القرآنَ الكريمَ هو مصدرُ التشريعِ الوحيد ، وأنّ السنّةَ الشريفةَ الحقّ التي نتحرّاها بمعايرة ما وصلنا من روايات على القرآن الكريم ، إنّما هي قناةُ تشريعٍ مُطلقة ، ولا بُدَّ من اتّباعها ، ولكنّها ليستْ مصدراً مُستقلاً للتشريع ..

.. ولو أخذنا من هذه المسألةِ الكاملةِ العبارةَ القرآنيّة : ﴿ **وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ** ﴾ ، مع الآيةِ الكريمة ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ ، في المسألةِ ذاتِها ، لرأيناهما تتوازنان مع آيةٍ كريمةٍ تُبيّنُ لنا تكذيبَ القومِ بالقرآنِ المُوحى من الله سبحانه وتعالى ..

﴿ **وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ** ﴾ = ١٧٣

﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ = ٧٩

١٧٣ + ٧٩ = **٢٥٢**

﴿ **وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** ﴾ [الأنعام : ٦٦] = **٢٥٢**

.. وكنّا قد رأينا — في كتاب المعجزة الكُبرى (حوار أكثر من جريء) — كيف أنّ هذه الآيةَ الكريمة ﴿ **وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** ﴾ ، تتكاملُ في مسألةٍ واحدة مع عباراتٍ قُرآنيّة تُبيّنُ لنا أنَّ رَفْعَ أيِّ حديث — غيرِ النصِّ القرآني — إلى درجة المُطلَق ، وأنّ الإيمانَ بأيِّ حديثٍ خارجَ النصِّ القرآنيِّ إيماناً مُطلقاً ، هو في الحقيقة تكذيبٌ بكتاب الله تعالى ..

﴿ **وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** ﴾ [الأنعام : ٦٦] = ٢٥٢

﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٨٥] = ١٦٤

﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الجاثية : ٦] = ١٩٩

﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [المرسلات : ٥٠] = ١٦٤

٢٥٢ + ١٦٤ + ١٩٩ + ١٦٤ = **٧٧٩ = ١٩ × ٤١**

.. ولو أخذنا من هذه المسألة الكاملة العباراتِ القرآنيّةَ التي تُبيّنُ ضرورةَ عدمِ رفْعِ أيِّ حديثٍ خارجَ النصِّ القرآنيِّ إلى مستوى اليقين الذي يتصفُ به كتابُ الله تعالى ، لرأينا أنّ هذه العباراتِ القرآنيّةَ — بمجموعِها — تتوازنُ تماماً معَ أيٍّ من المسألتين المتوازنتين التاليتين ..

كليّاته ، وذلك بعد أن آتاه اللهُ تعالى الرسالة ، أنّهُ لو تمَّ سحبُ هذه الصورة القرآنيّة على كُلِّ ما نطق به الرسول ﷺ ، لاقتضى ذلك سحبها على حياته ﷺ قبل الرسالة – إضافة لبعدها – لأنّه لا يُوجد في هذه الصورة القرآنيّة ما يُشير إلى أنّ هذا النطق محصورٌ بعد مجيء الرسالة ، وبالتالي لوصلنا إلى نتائج لا يُقرّها القرآن الكريم .. فالوحي أتى الرسول ﷺ بعد أن أصبح عمره أربعين سنة ، وليس من أوّل يومٍ في حياته ..

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] = ١٦٤

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثـية : ٦] = ١٩٩

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات : ٥٠] = ١٦٤

١٦٤ + ١٩٩ + ١٦٤ = **٥٢٧**

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] = ٣٧٦

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] = ١٥١

٣٧٦ + ١٥١ = **٥٢٧**

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] = **٥٢٧**

.. فكونُ القرآن الكريم نصّاً مُطلقاً لا يستطيعُ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً ، يقتضي أنّه بكينونته هذه يُنتجُ خَير أمّةٍ أخرجَت للناس لأنّه يهدي للتي هي أقوَم ، وكلُّ ذلك يقتضي من المؤمنين به عدمَ رَفْعِ أيِّ حديثٍ خارجَ نصوصِه إلى مستوى اليقين الذي تتّصفُ به نصوصُ القرآنِ الكريم ، فكلُّ نصٍّ خارجَ نصوصِ القرآنِ الكريم إنّما وصلنا بأدواتٍ تاريخيّة تحتملُ الخطأَ والصوابَ في الوقتِ ذاتِه .. هذا ما نقرأه في النصوصِ المتوازنة السابقة ، وهذا ما يتجلّى في التوازن التام بين القِيَمِ العدديّة لتلك النصوص ..]] ..

.. وممّا يؤكّدُ أنَّ قولَه تعالى **﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾** متعلّقٌ بالقرآن الكريم حصراً وما يتعلّقُ به من تفسير وتفصيل لكليّاته ، ولا يتعلّقُ بكلّ ما نطقَ به ﷺ .. ما يؤكّدُ ذلك ، هو الانتقال من صيغة الماضي **﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾** إلى صيغة المضارع **﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾** .. فالرسول ﷺ منذ أن أتته النبوّة اهتدى إلى الطريق **﴿ مَا ضَلَّ ﴾** ، وسار راشداً على هذا الطريق **﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾** ، وهذا كان ملازماً له طيلةَ فترة النبوّة وعلى كامل مساحتها ، بشكلٍ مُجرّدٍ عن تفاعله مع الأحداث .. بينما نُطْقُهُ بالقرآن الكريم وما يتعلّقُ به من تفسيرٍ وتفصيلٍ لكليّاته كان يحدثُ في أزمنة محدّدة خلال فترة النبوّة ، وليس على كامل مساحتها ، ولذلك لم يقل تعالى (وما نطق عن الهوى) ، إنّما يقولُ جلّ وعلا : **﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾** ..... وممّا يؤكّدُ ذلك – أيضاً – هو قولُه تعالى : **﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾** ، فكلمة **﴿ وَحْيٌ ﴾** ، هي بالصيغة الاسميّة (سواءٌ كانت مصدراً أو اسماً) ، بينما كلمة **﴿ يُوحَىٰ ﴾** ، نراها بالصيغة الفعليّة ، وهما كلمتان متجاورتان – في كتاب الله تعالى – تعودان إلى جذرٍ لغويٍّ واحد ..

.. فالوحي الموجود في اللوح المحفوظ قبل تنزيله على الرسول ﷺ **﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾** .. هذا الوحي (الذي هو القرآن الكريم) يُنَزَّل **﴿ يُوحَىٰ ﴾** على الرسول ﷺ قرآناً في أزمنة من فترة الرسالة ..

.. ورسول الله ﷺ لا يملك أيّ صلاحيّة من الاجتهاد في أحكام النصّ القرآني على الإطلاق ، كما يؤكّد الله تعالى في كتابه الكريم ..

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا

هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ [الحاقة : ٣٨ ــ ٤٩]

.. وعدم إعطاء الصلاحيّة لرسول الله ﷺ ليست متوقّفة فقط على عدم الاجتهاد المسموع أمام الناس ، وذلك في المسائل التي نزل بها القرآن الكريم .. بل لا يملك ﷺ مجرَّد تحرّك الخاطر داخل نفسه لأن يركن ويتباطأ في عدم اتّباع أحكام القرآن الكريم ..... وبمجرّد أن يركن داخل نفسه وأن يتباطأ ، فإنّ عقوبته ﷺ هي ضعف الحياة والممات .. ولكنّ الله تعالى ثبّته وعصمه من ذلك ..

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذاً لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧٣ ــ ٧٥]

.. فالنبيُّ ﷺ لا يملك صلاحية التشريع خارج النصّ القرآني ، ولا حتى لنفسه مع أزواجه ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١]

.. فكيف – إذاً – يمكنه ﷺ أن يُشرِّعَ لنا حكماً خارج دلالات كتاب الله تعالى ؟ !!! ..... من هنا نرى – أيضاً – أنّ السنّةَ الشريفة لا تتجاوز تفصيل بعض كليّات النصّ القرآني لشعائر العبادات ..

وكنّا قد بيّنا في الفصل الثاني ، أنَّ احتجاج بعضهم ببعض الروايات ، على أنَّ الحديث قد كُتب بين يدي الرسول ﷺ ، وفي عصره ، هو احتجاجٌ باطل .. فاحتجاجُهم – على

سبيل المثال – بالحديثين التاليين :

صحيح البخاري (٢٢٥٤) :

حَدَّثَنَا .... فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سنن الدارمي (٤٨٤) :

أَخْبَرَنَا ...... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ وَقَالَ اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ

.. هذا الاحتجاج ليس سليماً ، لأنّه يجزمُ بروايات تُناقضُ مجمل الروايات الأخرى ومجمل ما يحمله القرآن الكريم بهذا الخصوص ، ولأنّه نابعٌ عن جهلٍ بحقيقة سُنّة الرسول ﷺ ، التي لا تتعدّى تفصيل كليّات النصّ القرآني ، ولأنّه يُخالفُ الكثير من الروايات – التي رأينا جزءاً منها – والتي تُبين بعضَ الأعمال التي قام بها النبي ﷺ ليس من خلالِ وحي السماء ، وإنّما من خلال كونه قائداً للمجتمع ، وأنّه قام بهذه الأعمال إمّا موافقة لأحكام أهل الكتاب وإما مجاراة لأعرافٍ سائدة ، ريثما ينزلُ الحكمُ القرآنيّ الخاصّ بهذه الأعمال .. أي لم يقم بها كونه رسولاً ..

.. وكنّا قد بيّنا عُمق هذه الحقيقة – في كتاب الله تعالى – من خلالِ ورود جميع صيغ الأمر الإلهي باتّباع المنهج الذي أُنزل على محمد ﷺ ، من خلالِ صيغة الرسالة حصراً [المشتقّة من الجذر اللغوي (ر ، س ، ل)] دون أيّ صيغةٍ أُخرى ..

.. فالأعمال التي قام بها ﷺ والتي يُطالبنا اللهُ تعالى باتّباعها وأخذها ..

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء : ٨٠]

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧]

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [النور : ٥٦]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [التغابن : ١٢]

.. هذه الأعمال هي فقط الأعمال التي قام بها كونه رسولاً ، أي كونه مفسّراً ومفصّلاً لكليّات النصّ القرآني .. فمحمد ﷺ كونه نبيّاً ، هو ذاته مُطالبٌ باتّباع أحكام كتاب الله تعالى ، أي هو ذاته مطالبٌ باتّباع جانب الرسالة التي يحملها من الله تعالى .. وتتجلّى هذه الحقيقة في قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التحريم : ١]

.. فقولُهُ تعالى : **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾** خطابٌ لجانب النبوّة في ذات محمد ﷺ ، وليس لجانب الرسالة .. وقوله تعالى : **﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾** بيانٌ وأمرٌ له ﷺ باتّباع جانب الرسالة ، فالنبيُّ محمد ﷺ هو ذاته مطالبٌ باتّباع الرسول محمد ﷺ ..

.. وصفةُ الرسول تتعلّق بالرسالة ومضمونها ، أي بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) وتفصيل كليّاته وتبيانها .. ولّما كانت الرسالة (القرآن الكريم) قد أُنزلت على الرسول على مدار (٢٣) عاماً وليس دفعة واحدة ، فهذا يعني أنّ ما ينطقُ به ﷺ ، وما يعمله كونه رسولاً هو جزءٌ من كلامه ، وجزءٌ من عمله ... وبالتالي ليس كلّ كلامه وليس كلّ عمله ..

.. هذه الحقيقة التي يُقرّها القرآنُ الكريم [[على سبيل المثال قوله تعالى : **﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾** [التوبة

: ٤٣] ، والكثيرُ من الروايات ((على سبيل المثال قوله ﷺ في صحيح مسلم (٤٣٥٦) : إنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلا تُؤَاخِذُونِي بالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))]] .. هذه الحقيقة ، تُؤكّدُ لنا أنَّ الحديث التالي – وأمثاله – موضوعٌ على لسان الرسول ﷺ ، ولا يمكن أن يكون صحيحاً – بهذه الحيثيّة من الصياغة – ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال ..

سنن الدارمي (٤٨٤) :

أَخْبَرَنَا ...... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ وَقَالَ اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ

.. فكلُّ ما ينطقُ به ﷺ ، وكلُّ ما يعمله ويقرّه ، من أقوال وأفعال قبل نزول النصِّ القرآني المتعلّق بهذه الأقوال والأفعال ، ليس من موضوع الرسالة ، وبالتالي ليس من السنّة المُفصّلة والمفسّرة لكليّات كتاب الله تعالى ..

.. فهل حالاتُ الجمع بين الأختين بين بعض أفراد الجيل الأوّل ، بوجود النبيِّ ﷺ وبعلمه ، قبل نزول قوله تعالى : **﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ .... وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ .... ﴾** [النساء : ٢٣] ، هل هي سُنّة يجبُ اتّباعها ؟!!! ..

.. وهل جَمْعُ بعض أفراد الجيل أكثر من أربع نساء معاً ، بوجود الرسول ﷺ وبعلمه قبل نزول قوله تعالى : **﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾** [النساء : ٣] ، هل هو سُنّة يجبُ اتّباعها ؟!!! ..

.. وهل نَكْحُ امرأة الأب بوجود الرسول ﷺ وبعلمه قبل نزول قوله تعالى : **﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقۡتًا وَسَآءَ سَبِيلاً ﴾** [النساء : ٢٢] ، هل هو سُنّة يجبُ اتّباعها ؟!!! ..

.. كُلُّ هذه الأعمال – وغيرها الكثير – إنّما حصلتْ وتمّتْ بِعِلْمِ النبيّ ﷺ وبوجودِه ، ولكنّها تمّت دون التعلّق بمنج الرسالة (القرآن الكريم) ، فهي ليست من السنّة الشريفة في شيء ، هذا فضلاً عن كون تلك الأفعال والأقوال وصلتنا بأدوات تاريخيّة لا يُمكنها – ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال – أن ترقى إلى مستوى اليقين الذي يرقى إليه النصُّ القرآني ..

.. ثمّ كيف يستندون على الرواية **[[وَقَالَ اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ]]** في سنن الدارمي (٤٨٤) ، وفي الوقت ذاته يُعرضون عن الكثير من الروايات التي رأينا جزءاً منها والتي تُؤكّدُ أنَّ الحديث لم يُكتَب – أبداً – في عصر النبيّ ﷺ ، وفي عصر الصحابة ، ومنها – على سبيل المثال والتذكرة – الحديثان التاليان :

الدارمي (٤٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا كَثِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتِبُ

سنن أبي داود : (٣١٦٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَأَمَرَ إِنْسَانًا يَكْتُبُهُ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ

.. إذاً .. عدم اقتران معظم روايات الأحاديث التي بين أيدينا بتاريخيّة منسوبة لتاريخ نزول النصّ القرآني المناسب لكلِّ رواية ، هو إشكاليّة يمكن حلّها بمقارنة الحكم الذي تحمله الرواية بالحكم الذي يحمله النصّ القرآني المناسب لهذه الرواية .. أي علينا أن نجعل من القرآن الكريم منظاراً ننظر من خلاله إلى روايات الأحاديث التي بين أيدينا ... وما ناقض القرآن الكريم من هذه الروايات مناقضة صريحة يكون حكمه بين احتمالين لا ثالث لهما ..

١ـ إمّا أنّ رسول الله ﷺ عمل العمل الذي تحمله الرواية قبل نزول النصّ القرآني المناسب ، كموافقة لأهل الكتاب ، أو كمجاراة لأعراف سائدة آنذاك ... أي عمله كونَه بشراً وزعيماً لقومِه ، وليس كونه رسولاً ..

٢ــ وإمّا أنّ الرواية موضوعة على رسول الله ﷺ بهدف الإساءة للفكر الإسلامي عن طريق صرف المسلمين عن منهج التدبُّر السليم المجرّد لكتاب الله تعالى ..

.. أمّا أن يكون الحلُّ ــ كما ذهب الكثيرون ــ أنّ الرواية ناسخة للنصّ القرآني المناسب لهذه الرواية ، أو أنّ الرواية تحمل حكماً يقيّد مطلق الحكم الذي يحمله النصّ القرآني ، أو أنّ الرواية تحمل حكماً يُطلق الحكم المخصّص الذي يحمله النصّ القرآني .. فهذا كلّه جحود بجوهر النصّ القرآني الذي هو فوق الزمان والمكان والمتعلّق بصفات الله تعالى ..

.. كما رأينا في النظرية الثالثة (الحقّ المطلق) ، فإنّ النصّ القرآني هو قول الله تعالى إضافة إلى كونه كلام الله تعالى .. ويتميّز عن جميع الكتب السماوية التي هي كلام الله تعالى دون قوله ، بأنّه قول الله تعالى ..

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨]

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزمل : ٥]

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ [الطارق : ١٣ ــ ١٤]

.. فالنصّ القرآني صاغه الله تعالى صياغة مطلقة تتناسب مع عظمة صفاته جلّ وعلا ، ومع عظمة قدرته على الصياغة ، وبما يتناسب مع علمه بحقيقة المسائل التي يصوّرها النصّ القرآني ، ومع علمه بما سيكون من تطوّر لمدارك البشر في فهم حقيقة المسائل التي يصوّرها هذا النصُّ القرآني .. ولذلك يتحدّى الله تعالى الإنس والجنّ في كلِّ زمان ومكان على أن يأتوا بنصٍّ كالنصِّ القرآني ..

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

.. في الوقت الذي لم يتحدّ الله تعالى أحداً في أن يأتي بنصٍّ كنصوص التوراة أو الإنجيل أو الزبور أو الحديث ، وسبب ذلك أنّ هذه النصوص هي معنىً من الله تعالى (كلام الله تعالى) ، ولكنّها ليست قول الله تعالى ، أي ليست صياغة لغوية من الله تعالى ، إنما صيغت مِنْ قِبَلِ المخلوقات ..

.. وقد بيّن لنا اللهُ تعالى — في القرآن الكريم — أنّ النصّ المطلق الذي علينا أن نُؤمن به إيماناً مُطلقاً ، كونه لا يأتيه الباطل أبداً ، هو القرآن الكريم فقط ، وأنّ القرآن الكريم هــو الحديث الذي علينا ألاّ نُؤمن — إيماناً مُطلقاً — بأيّ حديث بعده ..

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥]

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الجاثــية : ٦]

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [المرسلات : ٥٠]

.. فكلُّ الروايات المنسوبة إلى الرسول ﷺ ، تأخذ مصداقيّتَها من موافقتها للقرآن الكريم .. وبالتالي فكلّ نصّ عدا النصّ القرآنيّ هو نصّ ظنيّ الثبوت ، وعلينا أن نتعامل معه من باب معايرته على القرآن الكريم ، وليس من باب الاتّباع الأعمى دون هذه المعايرة .. وإلاّ سنضلّ ، وسنقعُ في ساحة المعنيين بقوله تعالى ..

﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦]

.. جوهرُ المشكلةِ يكمنُ في كَوْنِ علوم الحديث مبنيّةً على فرضيّة غير مُعْلَنَة مفادها أنَّ الصحابة والرواة المختارين صنفٌ خاصٌّ من البشر يختلف عن باقي البشر بالحفظ والضبط والصدق والتجرّد عن الأهواء والعصبيّات وعدم النسيان ، وكأنّ ذاكرةَ أحدهم لوحٌ تُنقَشُ به الأحداثُ والأقوال نقشاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وهذا يتنافى مع الواقع ، والأكثر من ذلك ، يتنافى مع قوله تعالى :

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢]

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء : ٤٩ — ٥٠]

.. فرضيّتهم تلك .. تتنافى مع كونِ الإنسان ينسى .. فمن الرسل عليهم السلام من نسي ..

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرًا ﴾ [الكهف : ٧٣]

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طـه : ١١٥]

.. كلُّ ذلك فضلاً عن كوْنِ روايات الأحاديث ذاتها ، وروايات التاريخ ، تُؤكِّدُ أنَّ الأخطاءَ والأهواءَ والعصبيّات كان لها حظٌّ وافرٌ في سِيَرِ الكثيرين من أفرادِ الأجيال السابقة لجمع الحديث ..

.. وعابدو أصنام التاريخ الذين لا يؤمنون إيماناً صادقاً بقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] .. هؤلاء يستخفّون بعقول الناس ويقولون بأنَّ السنّةَ تُكمل القرآن الكريم ، فيوهمون الناس بوجود أحكام في السنّة لم يتعرّض إليها القرآن الكريم .. وهذا اتّهامٌ صريح بأنَّ القرآنَ الكريمَ ناقصٌ بمقدار تلك الأحكام ، سواءٌ أقرّوا بذلك أم لم يقرّوا به ..

.. يقولون : أحلت السنّة الكبد والطحال وميتة البحر ، وحرّمت شحم الخنزير ، ويزعمون أنَّ كلَّ ذلك لم يُذكَر في القرآن الكريم ..

ابن ماجة (٣٣٠٥) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ

أحمد (٥٤٦٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ

مسلم (٣٥٧٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ الطَّيْرِ ....

البخاري (٢٠٨٢) :

حَدَّثَنَا .... أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ

إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ ....

.. وقولُهم هذا ناتجٌ عن عدم تدبّرهم السليم لكتاب الله تعالى .. فلو نظروا في قوله تعالى : ﴿ **قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ** ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، لوجدوا أن المحرّم هو الدم المسفوح ، وأنّ الكبد والطحال ليسا دماً مسفوحاً ، وبالتالي فهما ليسا مُحَرَّمين ..

.. ولو نظروا في هذه الآية الكريمة نظرة تدبّر هادفة لمعرفة الحقيقة ، لـرأوا أنَّ الميتةَ محرّمة ، وأنّ الدم المسفوح محرّم .. وكلٌّ ما يتغذّى على المُحرّم لحمُه محرّم ، لأنّه ينبت من المحرّم .. وبالتالي فكلٌّ ذي ناب من السباع وكلٌّ ذي مخلب من الطير لحمه مُحرّم ، لأنّـه يتغذى على الميتة والدم المسفوح ..

.. ولو نظروا في قولِه تعالى : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ** ﴾ [المائدة : ٩٦] ، لرأوا أنَّه يُحلّلُ طعامُ البحر ، وهو غير ما نصطاده منه ، بمعنى ما يقذفه البحر من ميتة شريطةَ أن لا تكون متفسخةً أو فاسدة ، أي شريطةَ أن تكون لحماً طريّاً ..

﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا** ﴾ [النحل : ١٤]

.. أمّا بالنسبة لشحم الخنزير فإنّه محرّم كونه من اللحم .. فكلمة لحم — في القرآن الكريم — تشمل الشحمَ وغيره .. فهل كلمة لحومها في الآية التالية لا تشمل الشحم ؟!!! ..

﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾ [الحج : ٣٧]

.. وهل اللحم الذي كساه الله تعالى لعظام حمار الذي مرّ على القرية وهي خاوية على عروشها .. هل هذا اللحم لا يُوجد فيه شحم وجلد وَ .... ؟!!! ..

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩]

وهل اللحم الذي يكسوه الله تعالى لعظام الجنين لا يوجد فيه شحم أو جلد أو .....

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤]

.. إذاً المسألة – عندهم – ليست مسألة بحث عن الحقيقة .. المسألة – عندهم – مسألة تلبيس على الحقيقة ، من خلال إيهام الناس أنَّ النصَّ القرآنيَّ ناقص تُكمله الروايات ..

.. يستخفّون بعقول الناس ويقولون : إنّ ركنَ الإيمان بالقدر لم يُذكَر في القرآن الكريم ، ويُذكَر في السنّة فقط ، ويعتبرون ذلك مقدّمة لنتيجة يريدون تسويقها للناس هي أنَّ القرآن الكريم ناقص ..

البخاري (٤٨)

حَدَّثَنَا ...... فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ قَالَ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ....

البخاري (٤٤٠٤) :

حَدَّثَنِي .... فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِه وَرُسُلِه وَلِقَائِه وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ....

مسلم (٩) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ....

مسلم (١٠) :

و حَدَّثَنَا ...... فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ....

.. ومع أنّنا نرى أنّ ركن الإيمان بالقدر يُذكرُ في بعضِ الروايات دون غيرها .. ومع أنّهم لم يتّفقوا على تعريف للقضاء والقدر ، وخلطوا بين القضاء والقدر خلطاً يستحيلُ حملُه في دلالات كتاب الله تعالى ، واختلفوا في هذه المسالة اختلافاً كبيراً .. مع كلِّ ذلك .. فإنّ الإيمان بالقدر مسألةٌ تُستنبطُ من كتاب الله تعالى الذي نزّله اللهُ تعالى تبياناً لكلِّ شيء ..

﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١]

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [القمر : ٤٩]

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ

ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٢ – ٢٣]

.. فكيف إذاً يستخفّون بعقول الناس ، ويريدون أن يُقدّموا القرآن الكريم ناقصاً تُكمله روايات الأحاديث ؟!!!!!!! ..

.. لماذا لا يقولون إنّ الحديث ناقص ، لأنّه يحصر أركان الإيمان في بضع أركان ، مع أنّ القرآن الكريم يحملُ الكثيرَ من المسائل – غير المذكورة في روايات الأحاديث – والتي يجبُ علينا أن نُؤمنَ بها ؟!!!!!!! ..

.. أليس عالَمُ الجنّ – على سبيل المثال – عالماً موجوداً يذكره القرآن الكريم في الكثير من آياته .. أليس الإيمانُ بوجوده هو ركنٌ من أركان الإيمان ، وذلك كونَه عالماً غيبيّاً بالنسبة لنا ومذكوراً في كتاب الله تعالى ؟!!! .. فلماذا يكون الإيمان بوجود عالم الملائكة ركناً من أركان الإيمان ، ولا يكون الإيمان بوجود عالم الجن – المذكور في القرآن الكريم – ركناً من أركان الإيمان ؟!!! ..

.. جوهر المسألة أنّهم يجعلون من رواياتهم معياراً لكتاب الله تعالى ، ولا يتدبّرون آياته ، فيرونه ناقصاً ، ويسوّقون فهمهم الخاطئ للناس تحت شعاراتٍ برّاقة يستدرّون بها عطفَ الناس لتضليلهم ولإيهامهم أنّنا ننكر السنّة الشريفة ..

.. يستخفّون بعقول الناس ليثبتوا لهم أنّ كتابَ الله تعالى ناقص تُكمله الروايات ، مُعرضين عن دلالات قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل : ٨٩] .. فيقولون : لم يُذكَر في القرآن الكريم تحريمُ جمعِ المرأةِ مع عمّتها وخالتها ..

.. إنَّ تحريمَ جمعِ المرأةِ مع عمّتها ، ومعَ خالتِها ، موجودٌ في كتابِ الله تعالى .. فالمُحرّماتُ المُتعلّقةُ بالعبارة .. ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ .. التي تبدأُ بها الآيةُ (٢٣) من سورة النساء ، تُصوِّرُها عباراتٌ قُرآنيّةٌ ما بين الآيتين (٢٣) وَ (٢٤) في هذه السورة ، تشملُ فيما تشملُ تحريمَ جمعِ المرأةِ مع عمّتِها ، ومع خالتها ..

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ

وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ ﴾ [النساء : ٢٣ – ٢٤]

.. فحينما يقولُ اللهُ تعالى .. **﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾** .. فإنَّنا نُدركُ من هذا القولِ أنَّ الرجلَ يحرمُ عليه أنْ ينكحَ أُمَّهُ ، وندركُ – في الوقت ذاته – أنَّهُ يحرمُ على الأمِّ أن تنكحَ ابنها ، أيْ يحرمُ اجتماعُ الرجلِ وأمِّهِ في عقدِ نكاح .. كما نُدركِ من تحريمِ نكحِ البنت : **﴿ وَبَنَاتُكُم ﴾** ، أنَّهُ لا يجوزُ اجتماعُ الأبِ وابنتِهِ في عقدِ نكاح .. وعلى هذا النحوِ نُدركُ دلالاتِ عباراتِ هذه المسألةِ الكاملة .. فلا يجوزُ إذاً اجتماعُ الرجلِ وعمّتِه ، في عقد نكاح ، وكذلك الرجلِ وخالتِه في عقد نكاح ..

.. فالنكاحُ مسألةٌ مُتبادلةٌ بين الزوجين ، فعقدُ النكاحِ يعني نكحَ الزوجِ لِزوجته ، ويعني نكحَ الزوجةِ لزوجها ، وبالتالي يعني اجتماعَهُما في عقدِ نكاحٍ واحد ..... فالمرأةُ – في عقدِ النكاحِ – تنكحُ الرجلَ ، كما أنَّ الرجلَ ينكحُ المرأة ..

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٣٠]

.. إذاً .. عقدُ النكاحِ ، هو عقدُ شراكةٍ بين طرفيه .. وبالتالي فإنَّ اجتماعَ المرأةِ وخالتِها تحتَ رجلٍ واحدٍ ، هو اشتراكُهُمَا في عقدِ نكاحٍ واحد ، واجتماعَ المرأةِ وعمّتِها تحت رجلٍ واحدٍ ، هو اشتراكُهُمَا في عقدِ نكاحٍ واحد ..

.. فالاجتماعُ معَ العمّةِ والخالةِ في عقدِ نكاحٍ ، حرّمَهُ اللهُ تعالى .. وكلُّ ذلك يحملُهُ قولُ الله تعالى .. **﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾** ..

.. فما نقرؤه – في كتاب الله تعالى – أنَّ اجتماعُ الرجلِ معَ عمَّتِه في عقدِ نكاحٍ واحد ، لا يختلفُ من حيث الحرمةِ عن اجتماعِ المرأةِ وعمّتِها في عقدِ نكاحٍ واحد ، أي تحتَ

رجلٍ واحد .. وكذلك الأمرُ بالنسبةِ للمرأةِ وخالتِها ، والمرأةِ وابنة أخيها ، والمرأةِ وابنةَ أُختِها .. فكتابُ الله تعالى ليس ناقصاً ، ومشكلتهم أنّهم لا يصدّقون الله تعالى حينما يقول : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل : ٨٩] ..

.. يستخفّون بعقول الناس فيقولون : لولا الروايات لما عرفنا عدد ركعات كلِّ فريضةٍ من فرائض الصلاة .. ومع أنّنا بيّنا أنَّ هذه السنّة أتتنا حياةً تعبديّةً أبّاً عن جد ، وليس من كتب الحديث التي معظمها – كما نعلم – روايات آحاد ، وأنّها تُجمعُ عليها الأمّةُ من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة ، على الرغم من عدم اتّفاقهم على روايات الأحاديث .. على الرغم من ذلك .. نقول : نعم هذه موجودة في كتاب الله تعالى ، والرسولُ ﷺ استنبطها من العمق الباطن للنصِّ القرآني .. فنحن نصدّق قولَ الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل : ٨٩] ..

.. وقد استنبطتُ – بفضل الله تعالى – عددَ ركعات كلِّ فريضةٍ بفريضتها من كتاب الله تعالى ، وذلك في كتابي : المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) ، من خلال نظريّة رقميّة لا تعرف الكذب والخداع ..

.. إذاً .. علينا أنْ نؤمن أنَّ كتاب الله تعالى تبيانٌ لكلِّ شيء ، وأنّه ليس ناقصاً كما يُسوّق عابدو أصنام التاريخ الذين يحسبون أنفسهم أوصياء على منهج الله تعالى ، وعلينا أنْ نعرض الروايات التي بين أيدينا – عند كلِّ مذاهب الأمّة وطوائفها دون استثناء – على القرآن الكريم ، وبحيث يكون القرآن الكريم هو الميزان الذي من خلاله تُحدَّد الدلالات والمعاني التي تحملها كلماتُ هذه الروايات ، وهو الميزان الذي تتحدّد من خلاله تاريخيّةُ الرواية ، وهل العمل الذي تحمله الرواية عمله رسول الله ﷺ نتيجة تفصيلٍ وتفسيرٍ للنصّ القرآني ، أو نتيجة موافقة أهل الكتاب ، أو مجاراة أحكام سائدة قبل نزول النصّ القرآني ، وهو الميزان الذي يتحدّد من خلاله صدق الرواية وعدم صدقها ..

لننظر إلى الحديث التالي في صحيحي البخاري ومسلم :

صحيح البخاري[2] (٤٣٧٢) :

---

(2) – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النصّ التالي بما يخصّ هذا الحديث :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أُرَاهُ قَالَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ....

صحيح مسلم (٣٢٧) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ يَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وتِسْعِينَ قَالَ فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ......

.. إنّ الموقف الذي تضع فيه كلٌّ ذات حملٍ حملها والذي يكون فيه الناس سكارى وما هم بسكارى ، هو في زلزلة الساعة ، أي آخر لحظات الدنيا وبداية قيام الساعة ..

[[ظاهره أنّ ذلك يقع في الموقف ، وقد استشكل بأنّ ذلك لا حمل فيه ولا وضع ولا شيب ، ومن ثم قال بعض المفسّرين إنّ ذلك قبل يوم القيامة ، لكن الحديث يرد عليه ، وأجاب الكرماني بأنّ ذلك يقع على سبيل التمثيل والتهويل ، وسبق إلى ذلك النووي فقال : فيه وجهان للعلماء فذكرهما وقال : التقدير أنّ الحال ينتهي إلى أنّه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت كما تقول العرب : ((أصابنا أمر يشيب منه الوليد)) وأقول : يحتمل أن يحمل على حقيقته ، فإنّ كلّ أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملاً والمرضع مرضعة والطفل طفلاً ، فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة ، ويحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى وقبل النفخة الثانية ، ويكون خاصّاً بالموجودين حينئذ وتكون الإشارة بقوله : ((فذاك)) إلى يوم القيامة ، وهو صريح في الآية ... قال القرطبي في (التذكرة) : هذا الحديث صححه ابن العربي فقال : يوم الزلزلة يكون عند النفخة الأولى وفيه ما يكون فيه من الأهوال العظيمة ومن جُملتها ما يُقال لآدم ، ولا يلزم من ذلك أن يكون ذلك متّصلاً بالنفخة الأولى ، بل له محملان : أحدهما أن يكون آخر الكلام منوطاً بأوله والتقدير يُقال لآدم ذلك أثناء اليوم الذي يشيب فيه الولدان وغير ذلك ، وثانيهما أن يكون شيب الولدان عند النفخة الأولى حقيقة والقول لآدم يكون وصفه بذلك إخباراً عن شدّته وإن لم يُوجد عين ذلك الشيء ...]] ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴾ [الحج : ١ ــ ٢]

.. بينما في الحديث الوارد في صحيحي البخاري ومسلم نرى ــ كما تبيّن الصياغة اللغوية للحديث بعيداً عن تحميل هذه الصياغة معاني من جيوبنا ــ أنّ وضع الحامل لحملها هو يوم القيامة ، أي بعد النفخة الثانية التي يقف فيها البشر ــ بما فيهم آدم عليه السلام ــ قياماً ينظرون ، فكيف نفهم هذه الرواية ــ من خلال صياغتها اللغوية ــ على ضوء كتاب الله تعالى ؟!!! ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي في صحيحي البخاري ومسلم ..

صحيح البخاري (٥٧١٤) :

حَدَّثَنَا ....عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ وَلا تَقُولُوا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ

صحيح مسلم[3] (٤١٦٩) :

وحَدَّثَنِي .... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ

.. كيف نفهم هذا الحديث ــ وفق صياغته اللغوية دون أن نفرض عليها معاني من جيوبنا ــ على ضوء كتاب الله تعالى الذي يصف فيه الدهر على أنّه مخلوق من مخلوقاته ، كأي مخلوق آخر .. لقد وردت كلمة الدهر في القرآن الكريم مرّتين هما في الصورتين

[3] – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي لشرح هذا الحديث ..

[[قال العلماء : وهو مجاز ، وسببه أنّ العرب كان شأنها أن تسبّ الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك ، فيقولون : يا خيبة الدهر ، ونحو هذا من ألفاظ سبّ الدهر ، فقال النبي ﷺ : ((لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر)) أي لا تسبّوا فاعل النوازل ، فإنّكم إذا سببتم فاعلها وقع السبُّ على الله تعالى ، لأنّه هو فاعلها ومنزلها ، وأمّا الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى .. ومعنى ((فإن الله هو الدهر)) أي فاعل النوازل والحوادث ، وخالق الكائنات ، والله أعلم]] ..

التاليتين ..

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤]

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الدَّهر : ١]

.. إننا نرى أنّنا أمام خمسة احتمالات ..

١ــ احتمال مستحيل ، وهو أنّ هؤلاء الكافرين الذين يقولون : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ هم مؤمنون حقّ الإيمان ، لأنّهم يقرّون أن الذي يهلكهم هو الله تعالى (الدهر حسب صياغة الحديث) ..

٢ــ احتمال مستحيل ، وهو أنّ النصّ القرآني يجب إعادة النظر فيه ليناسب نصّ الرواية ..

٣ــ أو أنّ الرواية ناقصة يجب أن نضيف لها من جيوبنا كلمة خالق أو مسخّر أو مسيّر .. لتصبح على الشكل : [[فإنّ الله خالق (أو مسخّر أو مسيّر) الدهر]] ..

٤ــ أو أنّ الرواية ــ بهذه الصيغة ــ موضوعة بهدف تشتيت الفكر الإسلامي وإبعاد العقل الإسلامي عن تدبُّر آيات كتاب الله تعالى ، وتحريف دلالات النصّ القرآني في نفوس المسلمين ..

٥ــ أو نُطَلِّقَ عقولَنا ونقبل بالمتناقضات في الوقت ذاته ، وبذلك نخالف العديد من آيات كتاب الله تعالى التي تدعونا لاستعمال العقل وتنهانا عن تطليقه ..

.. لو طلقنا عقولَنا وفرضنا – جدلاً – صحةَ تأويلهم لهذا الحديث : [[ومعنى ((فإن الله هو الدهر)) أي فاعل النوازل والحوادث ، وخالق الكائنات]] .. فهل سيشفع هذا التأويلُ يومَ القيامة للمعنيين بقولِ الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤

] ، بحيث يكونُ معنى قولهم هذا : وما يهلكنا إلاّ خالق الدهر وفاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات ، ليكونوا بذلك – التأويل – من المؤمنين بالله سبحانه وتعالى ؟!!!!!!!
.. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. وكيف بنا أن نفهم الحديث التالي من منظار المنطق والعلم والعقل ، عبر الصياغة الحرفيّة له ، دون أن نُضيفَ له معاني من جيوبنا لا يحملها لا من قريب ولا من بعيد ؟!!!!! ..

صحيح مسلم ، حديث رقم : (٥٢٤٨) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ الْأَعْرَابُ **إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوهُ عَنْ السَّاعَةِ مَتَى السَّاعَةُ فَنَظَرَ إِلَى أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَقَالَ إِنْ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**

مسلم (٥٢٥١) :

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ **مَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يُؤَخَّرْ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**

مسلم (٥٢٤٩) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**

.. فهل هذا الغلام ما زال على قيد الحياة ، وبحاجة لآلاف السنين حتى يدركه الهرم ؟!!!! .. أم أنّ الساعة قد قامت ونحن لا ندري بذلك ؟!!!!! ..

.. ومهما أوّلَ المؤوّلون .. فهل رسول الله ﷺ يعلم الغيب ، ويعلم متى تقوم الساعة ، ومتى يموت هذا الغلام المعني في هذه الروايات ، ومتى يموت هؤلاء الذين سألوا الرسول ﷺ

عن الساعة ؟!!!!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر ـــ من منظار العلم ـــ إلى الحديث التالي في صحيحي البخاري ومسلم ، عبر الصياغة الحرفيّة لنصّ هذا الحديث ..

صحيح البخاري[4] (٥٣٣٤) :

حَدَّثَنَا .... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌّ وَلا سِحْرٌ

صحيح مسلم (٣٨١٤) :

حَدَّثَنَا....... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ ....

.. ولننظر إلى الروايات التالية عبر صياغتها اللغوية ، من منظار العلم وحقيقة تحديد جنس المولود ، حيث أثبت العلم (الذي هو قانون الله تعالى في الكون) أنّ جنس المولود يتحدّد فور تلقيح النطفة للبويضة .. ومن منظار القرآن الكريم الذي يبيّن لنا مراحل تكوّن الجنين من النطفة حتى إكساء العظام لحماً ، والذي أثبت – قبل العلم – أن تحديد جنس المولود يكون حين لحظة التلقيح ..

---

[4] – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النصّ التالي فيما يخصّ هذا الحديث :

[[قال الخطابي : كون العجوة تنفع من السّم والسّحر إنما هو ببركة دعوة النبي ﷺ لتمر المدينة لا لخاصيّة في التمر .. وقال ابن التين : يحتمل أن يكون المراد نخلاً خاصّاً بالمدينة لا يُعرف الآن .. وقال بعض شرّاح (المصابيح) نحوه وإن ذلك لخاصيّة فيه ، قال : ويحتمل أن يكون ذلك خاصّاً بزمانه ﷺ ، وهذا يبعده وصف عائشة لذلك بعده ﷺ . وقال بعض شرّاح (المشارق) أما تخصيص تمر المدينة بذلك فواضح من ألفاظ المتن ، وأما تخصيص زمانه فذلك بعيد ، وأمّا خصوصية السبع فالظاهر أنه لسرٍّ فيها ، وإلاّ فيستحب أن يكون ذلك وتراً .. وقال المازري : هذا مما لا يعقل معناه في طريق علم الطّب ، ولو صحّ أن يخرج لمنفعة التمر في السّم وجه من جهة الطّب لم يقدر على إظهار وجه الاقتصار على هذا العدد الذي هو السبع ، ولا على الاقتصار على الجنس الذي هو العجوة ، ولعلّ ذلك كان لأهل زمانه ﷺ خاصّة أو لأكثرهم ، إذ لم يثبت استمرار وقوع الشفاء في زماننا غالباً ...]] ..

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ – ٤٦]

صحيح مسلم[5] (٤٧٨٣) :

حَدَّثَنِي .... فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ....

صحيح البخاري[6] (٣٠٧) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ....

صحيح البخاري (٦١٠٦) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَّلَ

---

(5) – ورد في شرح الإمام النووي لصحيح مسلم النص التالي بما يخصّ هذا الحديث :

[[قال القاضي وغيره : ليس هو على ظاهره ، ولا يصح حمله على ظاهره ، بل المراد بتصويرها وخلق سمعها إلى آخره ، أنه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر ، لأن التصوير عقب الأربعين الأولى غير موجود في العادة وإنما يقع في الأربعين الثالثة ، وهي مدّة المضغة كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ﴾ ، ثم يكون للملك فيه تصوير آخر ، وهو وقت نفخ الروح عقب الأربعين الثالثة حين يكمل له أربعة أشهر ...]] ..

(6) – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النصّ التالي بما يخصّ هذا الحديث :

[[ونداء الملك بالأمور الثلاثة ليس في دفعة واحدة ، بل بين كلّ حالة وحالة مدّة تبيّن من حديث ابن مسعود الآتي في كتاب القدر أنها أربعون يوماً ، وسيأتي الكلام هناك على بقية فوائد حديث أنس هذا ، والجمع بينه وبين ما ظاهره التعارض من حديث ابن مسعود المذكور ومناسبة الحديث للترجمة من جهة أنّ الحديث المذكور مفسّر للآية ...]] ..

اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ....

صحيح البخاري (٣٠٨٦) :

حَدَّثَنَا....... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ يَا رَبِّ أُنْثَى ....

صحيح مسلم (٤٧٨٢) :

حَدَّثَنَا .... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَيُكْتَبَانِ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيُكْتَبَانِ ....

مسند أحمد (٣٣٧٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ النُّطْفَةَ تَكُونُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى حَالِهَا لا تَغَيَّرُ فَإِذَا مَضَتْ الأَرْبَعُونَ صَارَتْ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً كَذَلِكَ ثُمَّ عِظَامًا كَذَلِكَ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُسَوِّيَ خَلْقَهُ بَعَثَ إِلَيْهَا مَلَكًا فَيَقُولُ الْمَلَكُ الَّذِي يَلِيهِ أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ....

.. أيُّ عقلٍ سليمٍ يمكنه أن يتصوَّرَ وقوعَ الحادثة التي يحملها الحديث التالي :

البخاري (٣٥٦٠) :

حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ

.. أيُّ عقلٍ سليمٍ يمكنه أن يتصوّرَ رجلاً في العقد الخامس من عمره يتزوّج طفلةً لم تبلغ بعد ، وأيُّ إساءة للنبيّ ﷺ ولأزواجه تلك التي تُلبّس عليه وعليهنّ ذلك ..

البخاري (٤٧٦١) :

حَدَّثَنَا .... تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا

وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعاً

مسلم (٢٥٤٨) :

و حَدَّثَنَا .... **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ**

.. ونقول لأولئك الذين طلّقوا عقولَهم ، وراحوا يذرّون الرماد في الأعين لتبرير هذه الروايات الملفّقة على النبيّ ﷺ وعلى أزواجه رضي الله تعالى عنهن .. نقول نعم لم تبلغ الحلم بعد ، فبلوغ الحلم لا يكون قبل عشر سنين من الولادة ..

أبو داود (٤١٨) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ....

أحمد (٦٤٦٧) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ....

.. أيُّ إساءة للنبيّ تلك التي تصوّره زيرَ نساء يطوف على إِحْدَى عَشْرَةَ امرأة بغسلٍ واحد في الساعة الواحدة ..

البخاري (٢٦٠) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَكَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ** وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ تِسْعُ نِسْوَةٍ

مسلم (٤٦٧) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ أَنَسٍ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ**

.. ألم يصفه الله تعالى بقوله : ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل : ٢٠]

.. ألم يتزوّج ﷺ خديجة رضي الله تعالى عنها وهي في الأربعين من عمرها ، وبقيت معه إلى نهاية العقد السادس من عمرها ، دون أن يُعطَى قوّةً جنسيّة تعادل ثلاثين رجلاً ، ودون أن يطوفَ على إِحْدَى عَشْرَةَ امرأة بغسلٍ واحد في الساعة الواحدة ، وتوفيّت وبقي زمناً دون نساء .. فكيف إذاً – بعد كلِّ ذلك – يُعطَى قوّةً جنسيّة تعادل ثلاثين رجلاً ، ويتزوّج طفلةً لم تبلغ بعد ؟!!!!!!! ..

.. وحتى القرآن الكريم لم يَنْجُ من الروايات التي تحاول النيل من قدسيّة حفظ الله تعالى له ، ومن قدسيّة صياغته اللغويّة المرتبطة بعظمة صفات الله تعالى ..

لننظر إلى الروايات التالية (التي عرضناها في الفصل الأوّل) :

صحيح البخاري (٤٦١٥) :

حَدَّثَنَا .... سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

صحيح البخاري (٤٦١٨) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ـ ابن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ

صحيح البخاري (٣٤٧٥) :

حَدَّثَنَا .... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ لا أَدْرِي بَدَأَ بِأُبَيٍّ أَوْ بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ

صحيح مسلم (٤٥٠٤) :

حَدَّثَنَا .... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ فَبَدَأَ بِهِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ

مسلم (٤٥٠٣) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ

.. هذه الروايات تؤكّد أنّ عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب هم ـــ إضافة لمعاذ بن جبل ولسالم ـــ أعلم علماء الأمّة في القرآن الكريم ، بدليل أنّ رسول الله ﷺ يأمر بأخذ القرآن منهما ، وأن عبد الله بن مسعود يُقسم بالله تعالى أنه يعلم كلّ سورة حيث نزلت وكلّ آية فيم نزلت .. ولا يُعقل أن يغفل أعلم علماء الأمّة في كتاب الله تعالى عن سورتين من هذا الكتاب ، ولا يُعقل أن يُقرّا أنهما ليستا من كتاب الله تعالى ويحذفاهما من المصاحف عن علم مسبق كما سنرى .. لننظر إلى الروايات التالية ..

صحيح البخاري[7] (٤٥٩٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا – المقصود بكذا وكذا أنّ المعوذتين ليستا من كتاب الله تعالى – فَقَالَ أُبَيٌّ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

صحيح البخاري (٤٥٩٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(7) – ورد في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النصّ التالي فيما يخصّ هذا الحديث :
[[قولُهُ : (يقول : كذا وكذا) هكذا وقع هذا اللفظ مبهماً ، وكأن بعض الرواة أبهمه استعظاماً له ، وأظن ذلك من سفيان فإن الإسماعيلي أخرجه من طريقي عبد الجبار بن العلاء عن سفيان كذلك على الإبهام ، كنت أظنّ أولاً أنّ الذي أبهمه البخاري لأنني رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان ولفظه : ((قلت لأُبيٍّ إن أخاك يحكها من المصحف)) وكذا أخرجه الحميدي عن سفيان ومن طريقه أبو نعيم في (المستخرج) وكأن سفيان كان تارة يصرّح بذلك وتارة يبهمه .. وقد أخرجه أحمد أيضاً وابن حبّان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ : ((إنّ عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه)) ...]] ..

وَسَلَّمَ فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مسند أحمد (٢٠٢٤٥) :

حَدَّثَنِي .... قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ الأعْمَشُ وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْنَا عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقِيلَ لِي فَقُلْتُ

مسند أحمد (٢٠٢٤٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قُلْتُ لأبَيِّ بْن كَعْبٍ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام قَالَ لَهُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَقُلْتُهَا فَقَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقُلْتُهَا فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ....

.. من الواضح لكلِّ ذي عقل أنّ اختيار عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب اللذين يأمر الرسول ﷺ بأخذ القرآن منهما ، ليتمّ الدَّسّ(8) على لسانهما ، ليس اختياراً عشوائيّاً ..

(8)- نحن لسنا أوّلَ من لاحظ وجود أحاديث موضوعة في كتب الصحاح .. فعلى سبيل المثال .. ورد في كتاب تراثنا الفكري ، للشيخ محمد الغزالي ، طباعة دار الشروق ، القاهرة ، صفحة : (١٤٧ — ١٤٨) ، ورد النصّ التالي الذي أنقله بحرفيّته :

[[ومن المرويات السخيفة أن يجازف شخصٌ بإثبات آثارٍ تمسّ القرآن الكريم ، بل إني أعدّ ذلك من السَّفه المنكور .. أليس من المضحك أن يُنسَبَ إلى ابن مسعود أنّه أنكر كون المعوّذتين من القرآن الكريم ، أتبلغ الحفاوة بالمرويّات التافهة هذا الحد من الخساسة ؟ !! .. أحياناً يخيّل إلي أن أصحاب المساند جمعوها أوّلاً مسوَّدات تضم كلّ ما قيل ، على أن يمحو منها بعد ذلك الأساطير ، ثمّ ماتوا قبل أن يتمّوا أعمالهم ! ..

ومن أمثلة ذلك ، ما جاء في المسند ج٦ ص ٢٦٩ عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : لَقَدْ أُنْزِلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْرًا فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرٍ فِي بَيْتِي فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ وَدَخَلَتْ دُوَيْبَةٌ لَنَا فَأَكَلَتْهَا ..

قال الغماري : هذا أثرٌ شاذٌ منكر ، شديد النكارة ، لأنّ نسخ التلاوة محال ، كما بيّنته في جزء ذوق الحلاوة ..

والمشكلة الكبرى أنّ إنكار هاتين السورتين عن علم ، وليس عن غفلة ، كما نرى من

ثمّ من المنكر الذي لا يُعقل أن تدخل شاة البيت وتأكل ورقة فيها قرآن ولا يعلم أحد ، هذا من الباطل المردود قطعاً ، ولو جوّزنا أن تأكل شاة ورقة فيها قرآن منسوخ على رأي من يُجيز النسخ لجاز أن تأكل ورقة فيها قرآن غير منسوخ ، فترتفع الثقة بالقرآن كله ، لأنه قد يكون أُكل منه شيء ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .. ومن المقرر في كتاب الله عز وجل أن خلق العالم أجمع تمّ في ستة أيام ، فكيف يذهل عن ذلك أحد ، فيروي حديثاً يفيد أن الخلق استغرق سبعة أيام ؟! ثم يذكر ذلك في تفصيلٍ شديد البعد عن الواقع القرآني المعروف ، روى مسلم والنسائي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَقَالَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ ..

هذا الحديث شاذ ، لأنه يفيد خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام ، مع أنّ القرآن يفيد أن خلق السموات والأرض معاً كان في ستة أيام ، وقد علل البخاري هذا الحديث في التاريخ فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة عن كعب الأحبار وهو الأصح .

وكعب الأحبار ناقل لخرافات قومه ، ولا وزن له ، ومن العجب أن ينخدع أبو هريرة به .....]]

.. وقد ورد في التفسير الكبير للفخر الرازي ، الجزء الأوّل ، صفحة : (٢٢٢ – ٢٢٣) ، النصّ التالي فيما يخصّ هذه المسألة :

[[نُقل في الكتب القديمة أنّ ابن مسعود كان يُنكر كون سورة الفاتحة من القرآن ، وكان ينكر كون المعوذتين من القرآن ، واعلم أنّ هذا في غاية الصعوبة ، لأنا إنْ قلنا إنّ النقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصحابة بكون سورة الفاتحة من القرآن ، فحينئذ كان ابن مسعود عالماً بذلك ، فإنكاره يُوجب الكفر أو نقصان العقل .. وإن قلنا إنّ النقلَ المتواتر في هذا المعنى ما كان حاصلاً في ذلك الزمان ، فهذا يقتضي أن يُقال إنّ القرآن ليس بمتواتر الأصل ، وذلك يُخرج القرآن عن كونه حجة يقينيّة ، والأغلب على الظنّ أنّ **نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقلٌ كاذب باطل ، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة ....**]] ..

الصياغة الحرفية للروايات ...

.. ولننظر إلى روايات الأحاديث التالية ..

صحيح البخاري (٤٥٦٢) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ دَخَلْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّأْمَ فَسَمِعَ بِنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَأَتَانَا فَقَالَ أَفِيكُمْ مَنْ يَقْرَأُ فَقُلْنَا نَعَمْ قَالَ فَأَيُّكُمْ أَقْرَأُ فَأَشَارُوا إِلَيَّ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَرَأْتُ : وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى قَالَ أَنْتَ سَمِعْتَهَا مِنْ فِي صَاحِبِكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا سَمِعْتُهَا مِنْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَؤُلاءِ يَأْبَوْنَ عَلَيْنَا

صحيح البخاري (٤٥٦٣) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ فَقَالَ أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُلُّنَا قَالَ فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ فَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ قَالَ كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ عَلْقَمَةُ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى قَالَ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَكَذَا وَهَؤُلاءِ يُرِيدُونِي عَلَى أَنْ أَقْرَأَ : وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى وَاللَّهِ لا أُتَابِعُهُمْ

صحيح مسلم (١٣٦٤) :

و حَدَّثَنَا .... عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قَدِمْنَا الشَّامَ فَأَتَانَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ أَفِيكُمْ أَحَدٌ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ نَعَمْ أَنَا قَالَ فَكَيْفَ سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى قَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَلَكِنْ هَؤُلاءِ يُرِيدُونَ أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ فَلا أُتَابِعُهُمْ ....

صحيح مسلم (١٣٦٥) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لِي مِمَّنْ أَنْتَ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ مِنْ أَيِّهِمْ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ هَلْ تَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاقْرَأْ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ فَقَرَأْتُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى قَالَ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا ....

صحيح البخاري (١٩٠٩) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا قَـالَ كَانَـتْ عُكَـاظٌ وَمَجَنَّـةُ وَذُو الْمَجَـازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الإِسْلامُ فَكَـأَنَّهُمْ تَـأَثَّمُوا فِيـهِ فَنَزَلَـتْ : لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ

صحيح البخاري (١٢٢) :

حَدَّثَنَا .... فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ : وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُـوا مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً قَالَ الأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا

صحيح البخاري (٦٩٠٨) :

حَدَّثَنَا .... فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِـيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ : وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً قَالَ الأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا

صحيح البخاري (٤١٤٥) :

حَدَّثَنِي....... عَنْ عَطَاءٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ : وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فَـلا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ ....

صحيح البخاري (٢٩٩١) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ : وَنَادَوْا يَا مَالِكُ قَالَ سُفْيَانُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَنَادَوْا يَا مَالِ

صحيح مسلم (٩٩٨) :

و حَدَّثَنَا .... قَالَ أَمَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا وَقَالَـتْ إِذَا بَلَغْـتَ هَـذِهِ الآيَـةَ

فَآذِنِّي : حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى فَلَمَّا بَلَغْتُهَا آذَنْتُهَا فَأَمْلَتْ عَلَيَّ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَصَلاةِ الْعَصْرِ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

صحيح مسلم (١٧٣٩) :

و حَدَّثَنِي .... سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاس يَقُول سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ مِلْءَ وَادٍ مَالاً لأحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ مِثْلُهُ وَلا يَمْلأُ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ وَاللَّهُ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلا أَدْرِي أَمِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لا ....

صحيح البخاري (٥٩٥٧) :

حَدَّثَنِي .... سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاس يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالاً لأحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ وَلا يَمْلأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلا أَدْرِي مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لا قَالَ وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ

صحيح مسلم (١٧٣٧) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَنَس قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَال لابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ و حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فَلا أَدْرِي أَشَيْءٌ أُنْزِلَ أَمْ شَيْءٌ كَانَ يَقُولُهُ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ

.. حسب هذه الروايات ــ وغيرها ــ نرى أنّ حذف كلمة أو زيادتها ، أو حتى جملة ، أو حتى نص في كتاب الله تعالى ، مسألة سهلة ليست ذات قيمة .. ونرى أنّ كلّ ذلك إساءة للصياغة القرآنيّة المطلقة التي حفظها الله تعالى ..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

.. وكلُّ التبريرات التي يتحايل أصحابُها للإيهام بصدق هذه الروايات (كالقول بأنّها

قراءات تفسيريّة لكتاب الله تعالى) ليست أكثرَ من ذرٍّ للرماد في العيـــون .. فالـــصياغة اللغويّة لهذه الروايات (الموضوعة في الصحاح) تدحض كلّ هذه التبريرات من أساســـها .. فكيف بنّا أنْ نُطلِّقَ عقولنا ونصدّقَ قراءةً تفسيريّةً يتمُّ فيها الإصرارُ على حذف كلمات من كتاب الله تعالى ، أو على إضافتها .. كيف بنا أنْ نُصدِّقَ أنَّ النصَّ القـــرآنيَّ المُطلـــقَ الذي صاغه اللهُ تعالى صياغةً مُطلقة يحتاجُ تفسيرُه إلى حذف كلمات منه ، أو إلى إضـــافة كلمات إليه ؟!!!!!!! ، فأيُّ تفسيرٍ ذلك الذي لا يكونُ إلاّ بحذفٍ الكلمات من الـــنصِّ المُفَسَّر ؟!!!!!!! ..

.. أين هو حفظ الله تعالى لكتابه الكريم إنْ كانت الكلمات بل الجمل مـــن الممكـــن حذفها وإضافتها ـــ كما رأينا ـــ في بعض القراءات ؟! .. أين هو مطلق الصياغة القرآنيّة المتعلّقة بصفات الله تعالى والتي تحدّى الله تعالى بها الإنـــس والجـــنّ ، إذا كـــان حـــذف الكلمات والجمل وإضافتها سيّان في هذه الصياغة ؟! .. أليست صياغة الله تعالى لكتابـــه الكريم مطلقة تتعلق بصفاته المطلقة جل وعلا ؟ ..

.. أليس عدم التعدّد من أهم خصائص المطلق ؟ .. فكيف إذاً من الممكـــن حـــذف الكلمات وإضافتها لذات الصياغة القرآنية ؟ ..

.. هل يُعقل أنّ جلّ الصحابة كابن عبّاس وأنس وابن الـــزبير يحفظـــون نـــصوصاً لا يعلمون أهي من القرآن أم لا ، في الوقت الذي يعلمون فيه أنّ النصّ القرآني مُطلقٌ ومُميّز عن النصوص البشريّة ويتحدّى اللهُ تعالى المخلوقات أن تأتي بنصٍّ مثله ؟! ..

.. ألا تُثيرُ هذه الرواياتُ المزعومةُ الشكَّ حول خصوصيّة النصّ القرآني وسموِّه فـــوق النصوص البشريّة ، وذلك في نفوس من يصدّقون مثل هذه الروايات ، وفي اســـتخدامها كذريعة للنيل من قدسيّة النصّ القرآني ؟!! .. فكيف يقولُ – مَن يُؤمنُ بهذه الروايات – للعالَم إنّ جلّ الصحابة لا يُميّزون النصّ القرآنيَّ عن غيره من النصوص البشريّة ، ثمّ بعـــد ذلك يطلبُ من الآخرين أن يُؤمنوا بهذا النصّ كونه نصاً مُعجزاً مُميّـــزاً عـــن النـــصوص البشريّة ، لا يستطيع الإنسُ والجنّ أن يأتوا بمثله ؟!!! ..

.. أين هي هذه الخصوصيّة – إن تمّ اعتماد هذه الروايات المزعومة والمفتراة – إن كان – كما يُزعَم ويُفترى – جلّ الصحابة لا يميّزون بين نصوص القرآن الكريم والنـــصوص

البشريّة ، وإن كانت زيادة الكلمات في النصّ القرآني وحذفها منه سيّان ولا تُغيّر في مُطلق صياغة النصّ القرآني ؟!!! ..

.. هل يُعقل أن ابن مسعود وأُبي بن كعب اللذين يأمر رسول الله ﷺ بأخـذ القـرآن منهما يرفضان عن علم سورتين من كتاب الله تعالى ، ويأمران بحذفهما من المصحف ؟! ..

هل سنّة رسول الله ﷺ تقرّ حذف الكلمات وزيادتها في كتاب الله تعالى ، ورسول الله ﷺ لا يملك ـــ كما رأينا في القرآن الكريم ـــ أيّ صلاحيّة بمجرّد تحرّك الخاطر في نفسه في أن يركن ويتباطأ في تطبيق آيات كتاب الله تعالى ؟! ..

.. سنّة(9) رسول الله ﷺ الموحاة إليه من الله تعالى كتشريعٍ مستمرٍّ لهـذه الأمّـة لا

---

(9) – عن الحديث التالي في الصحيحين :

صحيح البخاري (٣٠٨٥) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ

صحيح مسلم (٤٧٨١) :

حَدَّثَنَا .... قَالُوا حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ

تُناقض القرآن الكريم ، ولا تُضيف إليه الكلمات ، ولا تحذفها منه .. وسنّة رسول الله ﷺ لا تُناقض الحقائق العلميّة الكونيّة ، لأنّ هذه الحقائق هي قوانين الله تعالى الثابتة في هـــذا الكون .. فموحي هذه السنّة الشريفة هو ذاته سبحانه وتعالى واضع هذه القوانين ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي ، كيف أنّه يسيء للقرآن الكريم ، ولا يليق أبداً مع عظمة الذات الإلهيّة ، ومع كون الله تعالى عالماً بما سيكون ، وبما سيتفاعل به البشر مـــع قرآنـــهِ الكريم ..

صحيح البخاري ، حديث رقم : (١٧٨٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ أُنْزِلَتْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ وَلَمْ يَنْزِلْ مِنْ الْفَجْرِ فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ مِنْ الْفَجْرِ فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

.. فهذا الحديث — وأمثاله — وُضِعَ من أجل الإساءة للقرآن والإسلام ، والتشكيك بكتابِ الله تعالى ، ومن أجل زرع الشكّ في النفوس الضعيفة بأنّه من تأليف الرسول ﷺ ، وذلك من خلال تصوير القرآن الكريم حادثاً تابعاً لجزئيّات بعض الأحداث في الجيل الأوّل .. والحديثان التاليان هما من جملة تلك الأحاديث ..

صحيح البخاري ، حديث رقم : (٤٦٠٦) :

أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ....

.. ورد في التفسير الكبير للفخر الرازي ، الكتاب الأول ، الجزء الثاني ، ص : ٥٤ ، نصّ يتعلق بهذا الحديث ، أنقله بحرفيته :

[[..... وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن عمرو بن عبيد الله أنه قال : لو سمعت الأعمش يقـــول هذا لكذبته ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أحببته ، ولو سمعت عبد الله بن مـــسعود يقول هذا ما قبلته ، ولو سمعت رسول الله يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله عزّ وجل يقـــول هذا لقلت : ليس على هذا أخذت ميثاقاً ..]] ..

حَدَّثَنَا .... قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ لِي زَيْدًا وَلْيَجِئْ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالدَّوَاةِ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ

صحيح البخاري ، حديث رقم : (٤٢٢٧) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا فَكَتَبَهَا فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَشَكَا ضَرَارَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ

.. الآيةُ الكريمةُ هي : ﴿ **لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ** .... ﴾ [النساء : ٩٥] ، والعبارة القرآنيّة ﴿ **غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ** ﴾ كما نرى موجودة في قلبها ، كما أنّ العبارة القرآنيّة ﴿ **مِنَ ٱلْفَجْرِ** ﴾ في قلب الآية الكريمة ﴿ .... **وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ** .... ﴾ [البقرة : ١٨٧] ... فكيف إذاً من الممكن لعاقل يحمل في قلبه وعقله ذرّةً من إيمانٍ ومنطق وتقديسٍ لكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) أن يقبلَ مثل هذه الأحاديث ، وأن يعدّها سنّةً يُجاهد – بمنتهى الغباء – في تكفير منكرِها حرصاً على عظمة كتاب الله تعالى ؟!!!!!!! ..

.. واكتشاف الأحاديث المُناقضة لدلالات كتاب الله تعالى ، مسألةٌ تتعلّقُ بدرجة إدراكنا لتلك الدلالات ، فكلّما ازدادت درجةُ إدراكنا لدلالات كتاب الله تعالى ، كلّما أصبحنا اكثرَ إمكانيّةً لتمييز الأحاديث الموضوعة عن غيرها ..

.. والمسائل التي ذهب بها معظمُ أبناء الأمّة (اعتماداً على الروايات) ، وتمّ تأطيرُها فقهاً وعقيدةً ، وثبتتْ معارضتُها لصريح كتاب الله تعالى ، كثيرة ، وقد بيّنتُ العشرات منها في أبحاثي .. وفي هذا السياق سأقفُ عند مسألة عليها شبه إجماع بين مذاهب الأمّة وطوائفها من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة .. إنّها الزعم بخروج بعضِ الداخلين إلى النار من النار بعد فترةٍ من العذاب فيها ..

.. لقد أخذوا بمضمون الروايات التالية متناسين عشرات الآيات في كتاب الله تعالى التي تؤكّدُ نقيض ذلك ..

صحيح البخاري (٢١) :

(حَدَّثَنَا ..... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ .....

صحيح البخاري (٦٠٧٤) :

(حَدَّثَنَا ..... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ)

صحيح البخاري (٦٠٧٥) :

(حَدَّثَنَا ..... أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ ....

صحيح البخاري (٦٠٨١) :

(حَدَّثَنَا .... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ)

صحيح البخاري (٦٠٨٦) :

(حَدَّثَنَا .... قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا

وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا ....

البخاري (٦٨٨٦) :

(حَدَّثَنَا .... فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ .... فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ....

مسلم رقم (٢٦٩) :

(و حَدَّثَنِي .... فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ .... قَالَ فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ....

.. لقد تمّ الجزمُ (اعتماداً على هذه الروايات وغيرها) بخروجِ بعض المسلمين من النار بعد أن يُعذّبوا فيها مدّةً تتناسبُ مع حجم ذنوبهم ، مع العلم أنّ الله تعالى يُبين لنا أنّ الزعم بالخروج من النار مسألةٌ افتراها اليهود على الله تعالى ..

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠ – ٨١]

.. الله تعالى يقول : **﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾** ، وذلك – كما نرى – بصيغة شاملة ليست خاصّة بالذين افتروا هذا الزعم ... فكلٌّ من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته لدرجة استحقاقه دخول النار ، سيخلد في النار ، مهما كان دينه ومذهبه ..... ثمَّ كيف لافتراءٍ افتراه اليهود على الله تعالى ، كيف له أن يتحوّلَ إلى ثابتٍ من ثوابت عقيدتنا ؟!!!!!! .. كيف يكون

الخروج من النار افتراءً عند اليهود ، وحقيقةً عندنا ، في الوقت الذي يُبيّنُ به كتابُ الله تعالى أنَّ الخروج من النار كذبة ، وأنَّ كلَّ الداخلين إلى النار – بما فيهم العصاة من المسلمين – لن يخرجوا من النار أبداً ؟!!!!!! ..

.. والصورة القرآنيّة التالية تؤكّد هذه الحقيقة ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣ – ٢٤]

.. وفي سورة الزمر ينقسم البشر – يوم القيامة – إلى قسمين لا ثالث لهما ، قسم يُساقُ إلى جهنم ليخلد فيها بمجرد دخوله إياها ، وقسم يُساقُ إلى الجنة ليخلد فيها بمجرد دخوله إياها ..

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧١ – ٧٣]

لقد جزموا بالخروج من النار (اعتماداً على تلك الروايات) على الرغم من تأكيد الله تعالى في كتابه الكريم على أنّ أهل النار لا يخرجون منها مهما أرادوا ذلك ..

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧]

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢]

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة : ٢٠]

.. يتحايلون على دلالات النصِّ القرآني بقولهم : إنّ هذه الآيات الكريمة تخصّ غير المسلمين الموحّدين ، مع أنّ الله تعالى – كما نرى في صياغة هذه الآيات الكريمة – لم يخصّ أحداً ، ومع أنّ الله تعالى يُبين لنا أنّ من يتعدّى حدوده [[من المسلمين قبل غيرهم حيث المسلمون يعرفون هذه الحدود أكثر من غيرهم]] ومن يعصيه ، سيدخل النار خالداً فيها ..

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن .... تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : ١١ – ١٤]

.. يحتجون بالعبارة القرآنيّة **﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ ﴾** في الآية الوسطى من الآيات الثلاث التالية على أنّها استثناءٌ للخروج من النار ..

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٦ – ١٠٨]

.. وفي الوقت ذاته يُعرضون عن عدة دلائل تنفي ما يذهبون إليه ، منها[10] أنّ هذه العبارة ذاتها ترد في الآية الثالثة بالنسبة للداخلين إلى الجنّة الذين لا يخرجون منها أبداً ، ومنها ورود كلمة **﴿ مَا ﴾** دون كلمة (من) ، في هذه العبارة القرآنيّة **﴿ إِلَّا مَا شَآءَ**

---

(10) – لقد بيّنت دلالات هذه الآيات الكريمة وغيرها فيما يخصُّ هــذه المــسألة ، في النظريــة السادسة (سلّم الخلاص) ، وفي كتاب : قصّة الوجود ، وفي كتاب : المعجزة الكُبرى ..

رَبُّكَ ۚ ﴾ ..

.. يُصوّرون دخول الجنّة بالأمنيات ، ودون العمل [[معتمدين على الروايات التي رأينا جزءاً منها]] ، مع أنَّ الله تعالى يقول ..

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣]

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢]

﴿ وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [يــس : ٥٤]

﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر : ١٩]

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢]

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثــية : ٢٨]

.. يُصوّرون النبيَّ ﷺ عالماً بالغيب ، معتمدين على رواياتٍ كالحديث التالي ..

.. البخاري (٦١١٤) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ

.. يُصوّرون ذلك معرضين عن قوله تعالى ..

﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأحقاف : ٩]

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨]

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾ [الأنعام : ٥٠]

﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥]

.. ومعرضين – في الوقت ذاتِه – عن الحديث التالي ، الذي يُؤكّد أنّه ﷺ لا يعلم الغيب ..

صحيح البخاري (٦٨٣٢) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ

.. ولا أُريد الإطالة ، فهناك الكثير من المسائل التي تمّ الجزم بها [[اعتماداً على بعض الروايات]] ، بحاجة إلى مراجعة حقيقيّة ، ومعايرة تامّة على كتاب الله تعالى .. فالروايات أصبح معظمها – مع الزمن – حاجزاً بين الأمةِ وبين تدبّرها لدلالاتِ كتابِ الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. بعد عرضنا لمئات الأحاديث في هذا الكتاب ، والتي معظمها ـــ كما رأينا ـــ من أعلى درجات الصِّحاح (صحيح البخاري وصحيح مسلم) ، وبعد رؤية ما رأيناه ، تتجلّى أمام أعيننا أكثر من قبل الحكمة التي كان من خلالها رسول الله ﷺ يأمر بعدم كتابة أيّ شيء عنه سوى القرآن الكريم ، والحكمة من حرق ما كتب بين يديه ﷺ ـــ عدا القرآن الكريم ـــ وما حرق في عصر الخلفاء الراشدين بعده ، كما رأينا في الفصل الثاني ..

.. إنّ ما كان يخشاه رسول الله ﷺ قد وقع ، وما كان ينهى عنه قد فُعل ، وإنّ القرآن الكريم مع مرور الزمن أصبح ـــ بالنسبة للكثيرين ـــ كالروايات ، إن لم يكن بدرجة أدنى من هذه

الروايات ، بدليل قول الكثير من علماء هذه الأمّة بأنّ بعض الروايات تنسخ بعض آيات القــرآن الكريم ، وبدليل أنّ بعض الروايات ـــ كما رأينا في هذا الفصل ـــ من الممكن أن تصبح ـــ عند بعضهم ـــ حجّة على زيادة كلمة هنا وحذف كلمة هناك ـــ وربما جملة ـــ مـــن كتـــاب الله تعالى ، فيما لو تم الجزم بصحتها ..

.. ولو قمنا بإحصاءٍ موضوعيٍّ مجرّدٍ عن العاطفة لناتج تدبّر هذه الأمّة لكتاب الله تعالى خلال القرون العديدة السابقة ، لما تحصّل معنا إلاّ النادر القليل ، وذلك مقارنة مع ما هو مطلوب من الأمّة القيام به ، ولرأينا أنّه حتى هذا النادر القليل حصل عبر جهود فرديّة وأنّ أصحاب هذه الجهود تعرض الكثير منهم للتّهم الباطلة وللطرد وللسجن وأحياناً للقتل .. وإنّ عودةً إلى كتب التاريخ على مختلف مشاربها تؤكد ذلك .. وقد بيَّن الله تعالى هـــذه الحقيقة في كتابه الكريم ..

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

لقد حصل ذلك على الرغم من أنّ الله تعالى يؤكّد في كتابه الكريم أنّ القرآن الكـــريم تبيانٌ لكلِّ شيء ..

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩]

.. إنّ من يقرأ التاريخ قراءة مجرّدة عن أيّ تعصّب مذهبي وعن أيّ هـــوىً ، وبحيـــث يكون تعصُّبه وهواه باتّجاه الحقّ ، وذلك منذ وفاة الرسول ﷺ حتى فترة كتابة الحـــديث وإخراجه ، يرى بأمِّ عينه كيف أنّ الخلافات الشخصيّة المجرّدة عن منهج الله تعالى ، ومـــا ترتب عليها من حروب داخلية مزّقت جسد هذه الأمّة ، وما ترتب عليها من أعمال طرد واتّهام بالكفر والنفاق والكذب ، وما ترتب على كلِّ ذلك من الاختلاف حتى في المفاهيم المتعلّقة بإدراك بعض جوانب السنّة ، ومن يقرأ روايات الأحاديث ـــ قراءة واعية مجـــرّدة ـــ التي عرضنا جزءاً منها في كتابنا ..

مسلم (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا .... قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ

أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ أَنَا وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا ....

.. من يقرأ كلَّ ذلك .. يرى بشكلٍ واضحٍ جليٍّ المفاهيم المختلفة ــ وربما المتناقضة أحياناً ــ للأحداث ذاتها التي شهدها الصحابة في حياة الرسول ﷺ ، وقد قمنا بعرض الكثير من الأحاديث التي تثبت ذلك ..

.. هذا الاختلاف بدأ ــ مع مرور الزمن ــ يتبلور ويأخذ اتّجاهات مختلفةً ، وبدأ كلّ اتّجاهٍ يتمحور داخل مذهبٍ خاصٍّ ــ سواء كان معلناً أو غير معلنٍ ــ يضخّم ماله ويقزّم ما عليه .. وإنَّ الاستجابةَ الفوريةَ للفتن ، وإشعال الحروب الداخلية ، التي راح ضحيّتَها عشراتُ الألوف من الصحابة وغيرهم ، على يد إخوانهم من الصحابة ومن تمذهب معهم ، لأكبر دليلٍ على هذه المحاور المختلفة في المفاهيم للمسائل ذاتها ..

واستمرَّ ذلك حتى فترة جمع الحديث وإخراجه .. فقام الأئمّة مخرجو الحديث بمحاولة جمع كلّ ما وصل إليهم عن الرسول ﷺ ، وذلك ضمن شروط الصحّة التي وضعها كلٌّ منهم .. وحتى بين مخرجي هذه الأحاديث تمّ الاختلاف ، وعلى سبيل المثال فإن عدد[11] الذين خرّج لهم البخاري في الجامع الصحيح و لم يخرّج لهم مسلم (٤٣٤) أربعمائة وأربعة وثلاثون شيخاً ، وعدد من احتجَّ بهم مسلم في المسند الصحيح و لم يحتج بهم البخاري في الجامع الصحيح (٦٢٥) ستمائة وخمسة وعشرون شيخاً .. وهكذا يكون مجموع الذين اختلف في الأخذ عنهم البخاري ومسلم هو (١٠٥٩) ألف وتسعة وخمسون شيخاً ..

.. وهذا أمْرٌ طبيعيٌّ ، فالمسألةُ من أساسِها مبنيّةٌ على تزكيةِ رجالٍ لرجال ، ولا تخلوا — أبداً — من الأخطاء والأهواء والعصبيّات المسبقةِ الصنع ، كونها مسألة مقاربة تاريخيّة لها أبعادُها البشريّة والشخصيّة ، ولا يمكن وصفها بالحالة العلميّة التي تعني الوقوف على حقيقة الأمور والأشياء .. ولذلك نرى أنّ الراوي ذاتَه يكون ثقةً عند أحدي مخرجي

(11) — عن كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، طباعة دار الخير ــ جــ ١ ــ ص ٢٥ .. نقلاً عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ النيسابوري في كتابه : (المدخل إلى معرفة المستدرك) ..

الحديث وكذّاباً عند مخرجٍ آخر ، والراوي الكذّاب عند أحد مخرجي الحديث يكون ثقةً عند مخرجٍ آخر ..

.. وميّزةُ العمل الذي قاموا به هو أن أنّهم كانوا يجمعون وفق منهجٍ ألزموا أنفسهم به ، ولذلك رأيناهم لا يتردّدون في عرض الأحاديث المختلفة والمتناقضة ــ أحياناً ــ للحدَث ذاته داخل الصحيح الواحد ..

فالروايات لمختلف طوائف الأمّة ومذاهبها وَثَّقت ــ من مناظير مختلفة حسب اختلاف الطوائف والمذاهب ــ أوجه الاختلاف بين طوائف الأمّة ومذاهبها ، كلٌّ يضخّم ماله ، ويقزّم ما عليه ويتعامى عنه ، وبعد فترة توثيق هذه الروايات أصبح كلُّ مذهب ــ وكلُّ طائفة ــ يتمحور داخل إطار ما قيّد نفسه به من الروايات ، ويلوي دلالات النّص القرآني لتمرَّ من باب مذهبه الضّيق ، في الوقت الذي يتعامى فيه عن الدلالات الواضحة وضوح الشمس التي تؤيّد بعض الجوانب التي يأخذ بها غيرُه ممن يختلف معهم .. وهكذا تتّسع الهوّة يوماً بعد يوم على الرغم من أنّ جميع المذاهب والطوائف تقرأ من كتابٍ واحد هو القرآن الكريم ..

ولو عدنا إلى الصياغة الحرفيّة لكلّ ما وردنا عن الرسول ﷺ ، بعيداً عن التوليفات والتخريجات التي أُضيفت لاحقاً لتبرير الاختلاف بين بعض الروايات ، لرأينا أنّه بالإمكان تكوين الكثير الكثير من المذاهب ــ غير المذاهب المعروفة ــ بناءً على هذه الروايات ، فقد رأينا كيف أنّ المسألة الواحدة يتدرّج حكمها في بعض الروايات ــ كما رأينا في هذا الكتاب ــ بين الأمر بفعلها مروراً بالإباحة وصولاً إلى النّهي عنها ..

.. إنّ المذاهب الحاليّة صمدت عبر التاريخ نتيجة وجود من يدعمها وينشرها ، ولو قُدِّر لغيرها أن يحظى بالدعم المناسب لكان بين أيدينا الآن الكثير الكثير من المذاهب التي لا نعلم الآن عنها الشيء الكثير ، ولو قُدِّر للمذاهب المعروفة حالياً ألاّ تلقى الدعم الذي لقيته لما سمعنا بها ، أو على الأقل لما علمنا عنها إلاّ القليل ..

إنّ حيثيّات تولُّد المذاهب موجودة في الاختلاف الشاسع بين الروايات الخاصّة بالمسألة الواحدة ، وفي تقزيم بعض أحكام النّص القرآني عبر مسألة الناسخ والمنسوخ المزعومة .. فهذا نصٌّ قرآنيٌّ يَنْسَخُ حُكْمَه حديثٌ من الأحاديث ، وذاك نصٌّ قرآني نُسِخَ حُكمه وبقي

خطّه ، وذاك نصٌّ آخر نُسخ خطّه وبقي حكمه .. في النتيجة حذف أحكام من كتاب الله تعالى ، وإضافة أحكام إلى كتاب الله تعالى ..

وهكذا نرى أنّ روايات الأحاديث التي بين أيدينا تتصف بالصفتين التاليتين ..

١ــ وصلتنا معنىً لا نصّاً حرفيّاً عن الرسول ﷺ ، وما عرضنا من أحاديث في هذا الكتاب لأكبر دليلٍ على ذلك .. ونضيف على هذا الدّليل أنّ نصوص الحديث وصلتنا ــ كما تؤكّد صياغتها ــ سماعاً شفهيّاً من جيلٍ لجيل ، بدليل أنّ عباراتها تبدأ بالكلمات : حدثنا ، أخبرنا ، سمعنا ، قال فلان عن فلان ، سمع فلان عن فلان ... ، ولا تُوجد بين أيدينا رواية تحمل في صياغتها اللغويّة دليلاً على أنّها نُسخت كتابة عن نصٍّ مكتوب بين يدي رسول الله ﷺ ..... وكيف يكون ذلك والرسول ﷺ ــ كما رأينا ــ كان ينهى عن كتابة أيّ شيءٍ بين يديه إلاّ كتابة القرآن الكريم ، وَحَرَقَ ما كتبه بعضهم دون علمه ﷺ ..

٢ــ وصلنا الكثير منها مجرّداً عن تاريخيّتها ، وبالتالي مجرّداً عن كونها مفسّرة ومفصّلة لكليّات النصّ القرآني بعد نزوله ، أو عن كونِها نتيجةَ موافقةِ أهل الكتاب ومجاراةِ أعراف سائدة قبل نزول النصّ القرآني ..

والأئمة مخرجو هذه الروايات لم يدّعوا لأنفسهم العصمة ، وأنّ ما أورده كلٌّ منهم صحيحٌ لا يقبل الشكّ ، بدليل أنّهم يعرضون المتناقضات للمسائل التي لا تحتمل المتناقضات .. وإنّ اختيار كلٍّ منهم للرجال الذين يأخذ عنهم لا يمكن اعتباره اختياراً مطلقاً مجرّداً عن الحيثيّات البشرية ، فالتّزكية مسألة لا يحيط بها إلاّ الله تعالى ..

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النّجم : ٣٢]

.. كيف يعلم البخاري ومسلم وغيرهم عدالةَ جميعِ ناقلي الروايات التي يعرضونها في صحاحهم ، وأمانتَهم ، وصدقَهم ، من عصر الرسول ﷺ إلى عصرهم ، علماً مطلقاً يجزمون – من خلاله – بهذه العدالة والأمانة والصدق ، والرسول ذاته يصفه الله تعالى – في القرآن الكريم – بأنّه لا يعلم بعضَ المنافقين في عصره والذين كانوا حولَه وتحت نظره ..

﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ

لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ [التوبة : ١٠١]

فهل البخاري ومسلم وغيرُهم أكثرُ علماً من رسولِ الله ﷺ بفرز البشر ، وبمعرفةِ حقيقةِ نفوسِهم ، لدرجة أنّهم يعلمون بعد قرون ما لم يعلمه الرسول ﷺ في عصره ؟! ..

وحتى الصحابة الذين أُخذ عنهم الحديث كانوا يختلفون حول حقيقة المسألة ذاتها ، فقد رأينا كيف أنّ عائشة أنكرت على عمر أنّ الموتى يسمعون ، ورأينا كيف أنّ عمر بن الخطاب لم يقنع بقول عمّار الذي ينقله عن الرسول ﷺ ، ورأينا كيف أنّ أبا هريرة أنكر حديثاً حدّثه بنفسه ، أو لُفِّق عليه وهو على قيد الحياة ، أو بعد ذلك ، ورأينا كيف أنَّ بعضَ أفراد الجيل الأوَّل وممّن أخذ عنهم مسلم ، كانوا يتّهمون أبا هريرة بالكذب على رسول الله ﷺ ليهتدوا ويضل أبو هريرة ..

وحتى الفقهاء الذين بنوا فقههم من مادة تلك الروايات ، تعدّدت مذاهبهم واختلفت ، نتيجة رُآهم المختلفة[12] لتلك الروايات وصحّتها .. فالاختلاف بين هذه الروايات ــ

---

(12)– ورد في كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ــ الجزء الأوّل ــ النصّ التالي لتبيين هل فعل الصحابي حُجّة ؟ .. ولننظر إلى هذا النصّ لنرى الاختلاف الشاسع والتناقض الكبير بين الرؤى ــ إضافة للاختلاف بين بعض الروايات ــ للمسألة الواحدة ، على الرغم من أنَّ هذا التبيان هو من منظار مذهبي واحد :

[[إذا قال الصحابي قولاً ، أو فعل فعلاً ، فقد قدمنا أنه يسمّى موقوفاً . وهل يحتجّ به ؟ فيه تفصيل واختلاف .. قال أصحابنا : إن لم ينتشر فليس هو إجماعاً . وهل هو حجّة ؟ فيه قولان للشافعي رحمه الله وهما مشهوران ، أصحّهما الجديد أنّه ليس بحجّة ، والثاني وهو القديم أنّه حُجّة ، فإن قلنا هو حجّة قُدم على القياس ، ولزم التابعيَّ وغيره العملُ به ، و لم تجز مخالفته .. وهل يخصّ به العموم ؟ فيه وجهان . وإذا قلنا : ليس بحجّة ، فالقياس مقدم عليه ، ويجوز للتابعيّ مخالفته . فأمّا إذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم على قولين فإن قلنا بالجديد لم يجز تقليد واحد من الفريقين ، بل يُطلب الدليل . وإن قلنا بالقديم فهما دليلان تعارضا فيرجح أحدهما على الآخر بكثرة العدد . فإن استوى العدد قدم بالأئمّة فيقدم ما عليه إمام منهم على مالا إمام عليه . فإن كان الذي على أحدهما أكثر عدداً ومع الأقل إمام فهما سواء . فإن استويا في العدد والأئمة إلاّ أنّ في أحدهما أحد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي آخر غيرهما ففيه وجهان لأصحابنا : أحدهما أنهما سواء ، والثاني يقدم ما فيه أحد الشيخين ، هذا كلّه إذا انتشر . أما إذا لم ينتشر فإن خُولف

إضافة للاختلاف في الرؤى المختلفة ـــ انعكس تعدّداً للمذاهب واختلافاً بينها ..

وجميع المذاهب ـــ فقهاً وعقيدة ـــ من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة تلتقي عند الكثير من المسائل ، بل عند أهم المسائل كمعظم شعائر العبادات من صلاة وصيام وحجّ وَ ... ، على الرغم من اختلافها وتباين مفاهيمها وإيمانها بهذه الروايات .. والسبب في ذلك ـــ كما قلنا ـــ أنّ هذه الشعائر التي تمثّل جوهر السنّة الشريفة المفصّلة لكلّيّات النصّ القرآني ، هي حياةٌ عاشتها الأجيال قبل جمع الروايات وبعدها ، حياة تعبديّة انتقلت من جيل إلى جيل حتى الآن ..

وهذا البحر الكبير من الروايات التي بين أيدينا لمختلف طوائف الأمّة ومذاهبها ، هو في الوقت ذاته سلاح ذو حدّين :

١ـــ إنْ كانت عصبيّة أفراد هذه الأمّة لله تعالى ولمنهج الحقّ الذي يريده جلّ وعلا ، أكبر من عصبيّتهم لأنفسهم ولمشايخهم ولمذاهبهم ولطوائفهم ، فإنّ هذه الروايات ستكون عوامل وحدة لهذه الأمّة وحيثيّات للمِّ شملها من جديد ، وذلك بتحرّي السنّة الحقّ في جميع الروايات التي تملكها جميع طوائف هذه الأمّة ومذاهبها ، وستصل مراكب تحرّي السنّة الحق وتوحيد الأمّة إلى شاطئ السنّة الشريفة وسيعاد جمع شتات هذه الأمّة من جديد ..

٢ـــ إنْ كانت عصبيّة أفراد الأمّة لأنفسهم ولمشايخهم ولمذاهبهم ولطوائفهم أكبر من

فحكمه ما ذكرناه ، وإن لم يخالف ففيه خمسة أوجه لأصحابنا العراقيين : الأربعة الأولى منها وهي مشهورة في كتبهم في الأصول وفي أوائل كتب الفروع . أحدهما : أنه حجّة وإجماع وهذا الوجه هو الصحيح عندهم . والثاني : أنه حجّة وليس بإجماع . والثالث : إن كان فتوى فقيه فهو حجّة ، وإن كان حكم إمام أو حاكم فليس بحجّة وهو قول أبي علي ابن أبي هريرة . والرابع ضده إن كان فتياً لم يكن حجّة ، وإن كان حاكماً أو إماماً كان إجماعاً . والخامس أنه ليس بإجماع ولا حجّة وهذا الوجه هو المختار عند الغزالي في (المستصفى) . أما إذا قال التابعي قولاً ولم ينتشر ، فليس بحجّة بلا خلاف . وإن انتشر وخولف فليس بحجّة بلا خلاف . وإن انتشر ولم يخالف فظاهر كلام جماهير أصحابنا أن حكمه حكم قول الصحابي المنتشر من غير مخالفة . وحكى بعض أصحابنا فيه وجهين : أصحّهما هذا ، والثاني ليس بحجّة . قال صاحب (الشامل) من أصحابنا : الصحيح أنه يكون إجماعاً وهذا هو الأفقه ، ولا فرق في هذا بين الصحابي والتابعي ....]] ..

عصبيّتهم لله تعالى ولمنهج الحقّ الذي يريده جلّ وعلا ، فإنّ هذه الروايات ستكون عوامل تفرقة لجسد هذه الأمّة .. وستغرق كلّ مراكب تحرّي شاطئ السنّة الحقّ بهدف توحيد الأمّة في بحر هذه الروايات ..

.. إنّ روايات الأحاديث هي – في النهاية – نصوصٌ تاريخيّة ، فيها من المُقَدَّس ما هو سُنّةٌ حقٌّ توافق كتاب الله تعالى وتفسِّرُ وتفصّلُ كليّاته ... أليست الروايات التي لم يخترْها مخرجوا الأحاديث – من جملة الروايات التاريخيّة – هي روايات تاريخيّة جُمعت وفق معايير تاريخيّة ؟ .. فكيف تكون الروايات التي اختاروها – من جملة هذه الروايات التاريخيّة – فوقَ التاريخ ؟!!! .. وهل هؤلاء المخرجون – وناقلو الروايات – معصومون عن الخطأ وحجّةٌ على المقدّس ، لدرجة أنَّ اختيارهم لهذه الروايات ينقلها من ساحة التاريخ إلى ساحة المقدَّس ؟!!! ..

.. أليس ربط فكر الأمّة بحديثٍ يُنكر فيه عبد الله بن مسعود (كما يُنسَب إليه) كونَ المعوّذتين من كتابِ الله تعالى ، بحيث يُكَفَّر من يدعو إلى الوقوف عند هذا الحديث .. وبحديثٍ يفقأُ فيه موسى عليه السلام عينَ ملك الموت ، بحيث يُكَفَّر من يدعو إلى الوقوف عند هذا الحديث .. وبحديثٍ تُؤدّي صياغتُه اللغويّة إلى أنَّ تحديدَ جنس المولود يكونُ بعد تلقيح النطفة للبويضة بشهورٍ ، بحيث يُكَفَّر من يدعو إلى الوقوف عند هذا الحديث .. وَ .... أليس كُلُّ ذلك منهجاً موضوعاً لتحطيم فكر هذه الأمّة ، ومحاولةً للقضاءِ على مستقبلها الدينيّ من أساسه ؟ !!! ..

.. لقد دفعتنا العصبيّات المذهبيّة والطائفيّة إلى نفقٍ مظلمٍ ضيّقٍ نختنقُ فيه .. فاعتبارُ جميع الروايات مُقدّسة وفوق وَضْعها في معيار القرآنِ الكريم ، هو – في الحقيقة – اعتبارُ التاريخ أحد مصادر التشريع ، وبالتالي حصولُ كارثةٍ فكريّة ، والغرقُ في جدلٍ سلبي من خلالِ مستنقعِ الأمور الجزئيّة الهابطة ، على حساب كلّيّة المنهج وشموليّته ، وبالتالي تشرذم الأمّة فكراً وعقيدة ..

.. والجهلة الذين يتصوّرون التاريخ منهجاً ، يحسبون نقدَ التاريخ ودراستَه – وفق معيار القرآن الكريم – وغربلتَهُ بهدفِ إخراجِ الشوائب التاريخيّة منه والتي حُسبَت على المنهج .. يحسبون ذلك هجوماً على الدين ..

.. أليس الصحابة الذين حاربوا الرسول ﷺ في بداية الدعوة ، هم ذاهم الذين آمنوا به فيما بعد وحملوا لواء الإسلام ، وهم ذاهم الذين اقتتلوا فيما بعد ؟ ..

.. إنَّ الفكرَ السليم هو الذي يصنعُ الأمّة ، ولا يصنعها التاريخ ، ولا الرجال بمعزل عن الفكر .. وحينما يُسجنُ المنهجُ بأطرٍ تاريخيّة — مهما كانت هذه الأطر — يكونُ قد خضع للتاريخ ، وبالتالي يصيرُ تاريخاً لا منهجاً ..

.. لقد سقط جناحا الأمّة الإسلاميّة — سنّة وشيعة — في هذا النفق المظلم ، وراحت الأمّة تتخبّط في دياجير هذا النفق ، وتختنقُ بفتن التاريخ وحروبه ..

.. فقولُ السنّة : إنَّ الرسولَ ﷺ قد أرادَ إعطاء الخلافة من بعده لأبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه ، وأشار إلى ذلك .. وقول الشيعة : إنّ الرسول ﷺ قد أراد ذلك لعليٍّ كرّم اللهُ تعالى وجهه ، وأشار إليه ... هذان القولان هما أحد أدلّتنا على سقوطِ جانبٍ هامٍّ من فكر الأمّة في مستنقع التاريخ ، ودوران هذا الفكر في حلقةٍ مفرغةٍ لم نستطعِ الخروج منها حتى الآن ..

.. ولو تجرّد الطرفان ووضعا رواياهما في معيار القرآن الكريم ، لأدركا أنَّ هذه الروايات — بالحيثيّة المذهبيّة التي وُضعَت بها ، وبالتأويلات التي أُوّلت بها — غيرُ صحيحة .. فلو أشارَ الرسولُ ﷺ لأيٍّ كان بالخلافة من بعده ، لاقتضى ذلك إلى أن يُشيرَ كُلُّ حاكمٍ مسلم إلى الحاكم الذي يخلفه ، ولتحوّلت الخلافة الإسلاميّة إلى نظامٍ ملكي ، ولتناقض ذلك تناقضاً صريحاً مع قولِه تعالى : ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٨] ..

.. وما هو الفارق — من حيثُ اكتمال المنهج (القرآن الكريم) ومن حيث حفظ الله تعالى له — بين استلامِ فلانٍ للخلافةِ أو فلان ؟!!! .. فهل المنهج ناقص — معاذ الله تعالى — حتى يُكمله البشر ؟!!! ..

.. وهكذا بعد قراءة هذا البحث وقراءة مئات الأحاديث المعروضة فيه والتي معظمها من صحيحي البخاري ومسلم نصل إلى النتائج التالية ..

١ـ روايات الأحاديث وصلتنا معنىً لما أدركه بعضُ رجال الجيل الأوّل لما قاله وعمله

الرسول ﷺ ، لا صياغة حرفيّة ، و لم يُكتب الحديث إلاّ بعد قرون من وفاة الرسول ﷺ ، والدليل ــ كما نرى في هذا البحث ــ موجود في روايات الأحاديث ذاتها ..

٢ــ روايات الأحاديث وصلتنا ــ بشكل عام ــ مجرّدة عن تاريخيّة الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ نسبة لنزول النصوص القرآنيّة المناسبة لهذه الأعمال ، والدليل ــ كما نرى في هذا البحث ــ موجود في روايات الأحاديث ذاتها ..

٣ــ ليس كلّ ما وصلنا عن الرسول ﷺ ــ حتى في الصِّحاح ــ صحيحاً ، والدليل ــ كما نرى في هذا البحث ــ موجود في روايات الأحاديث ذاتها ..

٤ــ ليس كلُّ ما عمله ﷺ وحياً من الله تعالى وسنّة تطالب بها الأمّة في كلّ زمان ومكان ، فكلُّ ما عمله ﷺ قبل نزول النصّ القرآني المناسب لهذه الأعمال ، عمله ﷺ إمّا موافقة لأحكام أهل الكتاب ، وإمّا مجاراة لأحكام سائدة آنذاك ، والدليل ــ كما نرى في هذا البحث ــ موجود في روايات الأحاديث ذاتها ..

٥ــ السنّة الشريفة كتشريع مستمرٍّ للأمّة ، محصورة في الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ كتفسير وتفصيل لكلّيّات النصّ القرآني المناسب لهذه الأعمال بعد نزوله ، ورسول الله ﷺ لا يملك صلاحية إضافة أحكام إلى كتاب الله تعالى ، أو حذف أحكام من كتاب الله تعالى ، أو تخصيص ما أطلقه كتابُ الله تعالى ، أو إطلاق ما قيّده كتابُ الله تعالى ، لأنّ كتابَ الله تعالى مطلقٌ بأحكامه وصياغته ، والدليل ــ كما نرى في هذا البحث ــ موجود في كتاب الله تعالى وفي روايات الأحاديث ذاتها ..

٦ــ سنّة رسول الله ﷺ حياةٌ تعبُّدية توارثتها الأمّة جيلاً بعد جيل منذ وفاة الرسول ﷺ حتى الآن ، وعاشتها الأمّة قروناً قبل جمع الحديث وإخراجه ، والدليل ــ كما نرى في هذا البحث ــ موجود في روايات الأحاديث ذاتها ..

٧ــ القرآن الكريم هو الميزان الذي تُوزن به الرواية كونها صحيحة أو موضوعة ، وكونها سنّة أم لا ، وبالتالي كونها تصف أعمالاً قام بها رسول الله ﷺ قبل نزول النصّ القرآني المناسب لها ، كموافقة لأهل الكتاب وكمجاراة لأعراف سائدة ، أم قام بها ﷺ كسنّة مفسّرة ومفصّلة لكلّيّات النصّ القرآني المناسب بعد نزوله ، والدليل ــ كما نرى في هذا البحث ــ موجود في روايات الأحاديث ذاتها ..

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن .. ما دامت طوائف هذه الأمّة ومذاهبها ، كلٌّ منها يدَّعي أنّه الفرقة السائرة على نور كتاب الله تعالى والسنّة الحقّ لرسوله ﷺ ، وأنّه هو الفرقة الناجية ، وكلٌّ منها يدَّعي أنّ هدفه جمع شتات هذه الأمّة تحت مظلّة كتاب الله تعالى والسنّة الحقّ لرسوله ﷺ .. فما هو السبيل ليعرف كلٌّ ذاته ، ولتكون كلٌّ طائفة وكلٌّ مذهب لبنةَ بناءٍ في جسد هذه الأمّة لا حجرَ عثرةٍ في طريق وحدتها وعودتها إلى العافية والصلاح .. وكيف يمكن جعل الاختلاف بين الروايات وبين الرؤى المختلفة بين هذه الطوائف والمذاهب عوامل تفاهم ونقاط تفكُّر تعود بالأمّة إلى الحيثيّة التي يريدها الله تعالى ورسوله ﷺ ؟..

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة يتلخّص ــ كما نرى بعد قراءة هذا البحث ــ بالسير على هدى الخطوات التالية ..

١ــ أن يخشى كلٌّ مذهب وكلٌّ طائفة في هذه الأمّة بل وكلٌّ فرد ، من أن يكون من الذين تخاطبهم الآيتان التاليتان في كتاب الله تعالى ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٩]

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٢] ..

.. وأن يتفاعل كلٌّ مع الآخرين على أنّهم أبناء أمّته شاء أم أبى ، وأنّ الطعن بهم وبمذاهبهم وطوائفهم هو تمزيق لجسد هذه الأمّة .. أي عليه أن ينصاع انصياعاً كاملاً للآية الأولى من النصّ القرآني التالي ، وأن يبتعد قدر الإمكان عن الذين تعنيهم الآيتان الثانية والثالثة من هذا النصّ ..

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٢ ــ ٥٤] ..

٢ــ أن يميّز كلٌّ فرد من أفراد هذه الأمّة بين العقل الذي يأمر الله تعالى بتحكيمه والمجرّد عن الهوى والتعصُّب المذهبي والطائفي ، وبين الهوى الذي تميل به النفس تعصّباً نحو الخصوصيّات المذهبيّة والطائفيّة المختلفة مع خصوصيّات الآخرين ، وأن يتمَّ تفعيل العقل تفعيلاً مجرّداً في فهم دلالات النصّ القرآني الذي تُجمع عليه الأمّة ، والذي هو جوهر رسالة الرسول ﷺ .. أي أن يحاول كلٌّ فردٍ من أفراد هذه الأمّة أن يبتعد قدر الإمكان عن الذين يعنيهم النصّ القرآني التالي ..

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٣ ــ ٤٤] ..

٣ــ أن ينظر كلٌّ فردٍ من أفراد هذه الأمّة إلى روايات مذهبه وطائفته ــ وروايات غيره من المذاهب والطوائف ــ من منظار القرآن الكريم ، نظرة عقلٍ لا هوىً ، وبحيث يكون القرآن الكريم هو المهيمن ، وبحيث لا تتجاوز صلاحيّة الروايات تفسير وتفصيل الكليّات التي يأتي بها النصّ القرآني ، وذلك بشكلٍ مجرّدٍ عن التاريخ وفتنه ومآسيه ..

٤ــ أن تكون عصبيّةُ كلّ فردٍ من أفراد الأمّة لله تعالى ولمنهج الحقّ الذي أنزله الله تعالى وأراده أكبرَ من عصبيّته لمذهبه ولطائفته ، وللأشخاص ، سواء كانوا أهل البيت أم الصحابة أم الفقهاء أم .....

٥ــ بما أنّ الروايات التي بين أيدينا ــ لمختلف طوائف الأمّة ومذاهبها ــ لا تبيّن ــ بشكل عام ــ تاريخيّة العمل الذي قام به الرسول ﷺ نسبةً إلى نزول النصّ القرآني الخاصّ بهذه الأعمال ــ كما رأينا في هذا البحث ــ وبما أنّ هناك جزءاً من الأعمال والأقوال التي تحملها الروايات فعلها رسول الله ﷺ وأمر بها ، أو نهى عنها ، نتيجة موافقة أهل الكتاب ، ونتيجة مجاراة أعراف سائدة قبل نزول النصّ القرآني .. لا بُدّ من أن نجعل القرآن الكريم ميزاناً نعرف من خلاله الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ كسنّة شريفة لكلِّ زمان ومكان ، من الأعمال الأخرى ــ التي تحملها بعض الروايات ــ التي عملها الرسول ﷺ بغير وحي من الله تعالى ..

٦ــ كلُّ رواية تُخالف صريح القرآن الكريم وما ثبت يقيناً علميّاً ، تُوضــع جانبــاً للأجيال القادمة ، ولا يجوزُ الجزمُ بصحّتها ..

٧ــ على كلِّ فردٍ أن يعلم أنَّ السنّة الحسنة التي تُعدّ تشريعاً مستمرّاً لهــذه الأمّــة ، تنحصر بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله المفصّلة لكلِّيّات النصّ القرآني ، وأنّ غيره مــن أهــل البيت والصحابة ليسوا معصومين عن الخطأ ، وبالتالي فأفعالهم وأقوالهم تخضع لميزان النقد ، فما وافق منها كتاب الله تعالى فهو حقّ ، وما عارضه فهو باطل ..

٨ ــ على كلِّ فردٍ من أفراد هذه الأمّة أن يعلم أنّ مطلق التقديس هــو لكتــاب الله تعالى وللسنّة الحقّ المفسِّرة والمفصّلة لكليّات هذا الكتاب ، وعليه أن يعلم ويقرّ بوقــوع بعض الأخطاء في المفاهيم التي أدركها بعض رجال الجيل الأوّل حتى بما يخصّ سنّة الرسول ﷺ ، وأنّه ليس كلّ ما فعلوه وأمروا بفعله ونسبوه إلى الرسول ﷺ سنّةً تطالب بها الأمّة .. ونقول لمن يستغرب ذلك انظر إلى أعمال القتل التي تمّت بين الكثير مــن أهــل البيــت والصحابة بعد موت الرسول ﷺ ، وانظر إلى الأحاديث التالية نظرة تجرّد يكون فيها منهج الله تعالى أكثر قدسيّة من العصبيّة للبشر ..

صحيح البخاري (٦٠٩٨) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى ....

صحيح البخاري (٦٠٩٠) :

و حَدَّثَنِي .... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.......

صحيح البخاري (٣١٠٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

.... وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي إِلَى قَوْلِهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

صحيح البخاري (٣١٩١) :

حَدَّثَنَا .... ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ....

صحيح البخاري (٦١٠٤) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا ....

صحيح مسلم (٤٢٤٦) :

و حَدَّثَنَا .... سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلأَقُولَنَّ أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ

صحيح مسلم (٤٢٤٥) :

قَالَ وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ قَالَ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا

صحيح مسلم (٤٢٥٩) :

و حَدَّثَنِي .... قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي أُصَيْحَابِي فَلَيُقَالَنَّ لِي إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.......

صحيح مسلم (٣٦٧) :

حَدَّثَنَا....... قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلا هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا ....

مسند أحمد (١٩٥٩٠) :

حَدَّثَنَا .... عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَحِبَنِي وَرَآنِي حَتَّى إِذَا رُفِعُوا إِلَيَّ وَرَأَيْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ

مسند أحمد (١٩٦٠٢) :

وَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرِدَنَّ الْحَوْضَ عَلَيَّ رِجَالٌ مِمَّنْ صَحِبَنِي وَرَآنِي فَإِذَا رُفِعُوا إِلَيَّ وَرَأَيْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ أُصَيْحَابِي أُصَيْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ

سنن الترمذي (٢٣٤٧) :

حَدَّثَنَا .... وَيُؤْخَذُ مِنْ أَصْحَابِي بِرِجَالٍ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ....

.. وكلامنا هذا لا يعني إلاّ أنّ الصحابة (بما فيهم أهل البيت) بشرٌ يُصيبون ويُخطئون ، وأنّ أفعالهم وأقوالهم ليست جميعها مقتبسة من سنّة رسول الله ﷺ .. ولا يعنينا لا من قريب ولا من بعيد ما سيتوهمه الجاهلون من كلامنا ومن عرضنا لهذه الأحاديث ..

.. وهنا أتوجّه بالسؤال إلى من يجزم بأنَّ كلَّ الأشخاص الذين نُقِلَت عنهم الروايات (من عصر الرسول ﷺ إلى عصر مخرجي هذه الأحاديث) عدولٌ ملتزمون بالسنّة الحقّ ، فأقول : كيف تجزم بذلك ، ورسول الله ﷺ انخدع ببعضِ أصحابه الذين ارتدّوا على أدبارهم القهقرى وأحدثوا بعده ما لا يرضاه اللهُ تعالى ورسوله ﷺ ، كما رأينا في الأحاديث السابقة ؟!! .. فقولُه ﷺ عن هؤلاء : [[يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي]] دليلٌ على أنّه لم يكن يعلم حقيقتَهم ..... فهل البخاري ومسلم وغيرهم فوق رسول الله ﷺ ، فلا ينخدعون بأحدٍ من ناقلي الروايات التي يعرضونها في صحاحهم ؟!!! ..

٩ـــ علينا ألاّ ننكر كلّ ما وصلنا عن الرسول ﷺ وألاّ نجحد الانتصارات العظيمة التي قام بها جيل الصحابة لنشر الدين ولتثبيت دعائم الدولة الإسلامية الأولى .. وعلينا ألاّ نعكس الخلافات التي وقعت بين الصحابة (بما فيهم أهل البيت) على المنهج ، فعاطفتنا ـــ حبّاً أو كرهاً ـــ تجاه بعضهم ، يجب ألاّ تنسينا المنهج المجرّد عن البشر والذي يريده الله تعالى ..

١٠ـــ ألا يتمَّ الحكم على جميع ـــ أو معظم ـــ الأحاديث في الصِّحاح ـــ كما يُريدُ أن يقولَ بعضُهُم ـــ على أنّها موضوعة ، وذلك من خلال بعض الأحاديث الموضوعة .. وألاّ يتمَّ الجزم بأنّ جميع الأحاديث في الصِّحاح مطلقة اليقين ـــ كما يُريد أن يقولَ بعضُهم ـــ وأنّها جميعها سنّة مقتبسة موحاة من الله تعالى ..

١١ـــ حبّنا لأهل البيت وتعاطفنا معهم نتيجة ما تعرض له معظمهم ، يجب ألاّ يميل بنا إلى التصوّر بأنهم رُفعوا إلى درجة المشرِّعين الذين لا يُؤخذ المنهجُ إلاّ عنهم ، فالقرآن الكريم يؤكّد ـــ كما رأينا ـــ أنّ رسول الله ﷺ هو ـــ وفقط هو ـــ الأسوة الحسنة التي تمثّل تمثيلاً كاملاً السنّة الشريفة ، والتي يؤخذ منها التشريع ..

١٢ـــ على كلّ فردٍ من أفراد هذه الأمّة إذا لم يلتق مع الآخرين من أفراد أمّته عقيدةً وفقهاً ، أن يقبلهم على ما هم عليه من العقيدة والفكر والفقه ، حتى يقبله الآخرون على

ما هو عليه ، وأن يكون الحوار بين أفراد هذه الأمّة حواراً بالكلمة والحجّة لا بـــالتكفير والقتل ، وأن يكون هدف الحوار هو الوصول إلى الحقيقة ، لا فرض الرأي على الآخرين .. أي أن ينسى كلُّ مُحاورٍ مذهبه وطائفته وأن يحاور بكتاب الله تعالى الذي أجمعت عليه الأمّة ..

حينما نسير على هدى الخطوات السابقة تتلاشى بين أفراد هذه الأمّة معظم خلافاتهـــا الفكريّة والمذهبيّة ، وتتحوّل عوامل الاختلاف إلى مقوّمات وحدة وتفاهم وأُطـــر تـــدبُّر يلتقي عندها كلُّ أفراد الأمّة في صراطٍ واحدٍ هو صراط الله تعالى ..

.. فإذا كُنّا نُريدُ وضعَ هذه الأمّة في مقدّمةِ التاريخ ، أمّةً فاعلةً ، تمتلـــك مقوّمـــات النهضة والانبعاث الحضاري ، علينا أن نكتشفَ قوانين الحركةِ التاريخيّة والسُّنن العاملة في التاريخ ، لمعايرة القوّة الدافعة لحركتنا بين الأمم على نواميس هذه السنن ..

.. وفي النهاية أوجِّه ندائي إلى كلِّ أفراد الأمّة ومذاهبها وطوائفها سنّة كانوا أم شيعة ، الذين يعتقد كلٌّ منهم أنّه هو ـــ وفقط هو ـــ من يسير على صراط السنّة الشريفة لرسول الله ﷺ ... أن اتّقوا الله تعالى في وحدة هذه الأمّة ، وحدة أكّدها الله تعالى في كتابه الكريم ..

﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] ..

.. واتَّقوا الله تعالى في القرآن الكريم تدبُّراً مجرَّداً عن الأهواء المذهبيّة والطائفيّة ، للعمل بأحكامه كما يريد منزّله جلّ وعلا ، واتَّقوا الله تعالى في آخرتكم .. فكلٌّ ذلك من أعلى درجات مُراد السنّة الشريفة ..

أوجِّه ندائي ... أن انظروا إلى تاريخنا الإسلامي نظرة تدبُّر عقلي لا نظرة أهواء عاطفيّة ، لتستفيدوا من أخطاء الماضي .. أن انظروا إلى واقع المسلمين الآن في كلِّ أنحاء العـــالم ، واتَّقوا الله تعالى في هذا الواقع ، لأنَّ الأمَّة بأسرها ستُسأل أمام الله تعالى عن هذا الواقع .. فذلك من أهمِّ مقتضيات اتِّباع السنّة الشريفة ..

.. وأوجِّه ندائي إلى كلِّ داعية إسلامي ، لأن تكون عصبيّته لله تعالى أكبر من عصبيته لمذهبه وطائفته وشيخه وإمامه ، وأن يكون مطلق دعوته لمنهج الله تعالى الذي تُجمع عليه الأمّة ، وأن يبتعد قدر الإمكان عن أهوائه المذهبية والطائفيّة ، فذلك من أهـــم عوامـــل

الدعوة للسنّة الشريفة ، لأنّ رسول الله ﷺ لم يكن منتمياً لمذهبٍ محدّدٍ ولا لطائفة محـــدَّدة ..

.. وأوجِّه ندائي إلى كلِّ مسلم أن يكون متعقِّلاً متدبِّراً لكلِّ ما يسمعه من الذين جعلوا أهواءهم المذهبيّة والطائفيّة إلهاً يريدون من البشر أن يعبدوه ، وأن لا يكون مجـــرّد ذيـــلٍ لهؤلاء ، فلا يقرأ إلاّ ما يحدّدونه له ، ولا يتكلّم إلاّ بلسانهم ..

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٦ ــ ٦٨] ..

وأوجِّه ندائي إلى كلِّ مسلم أن يكون كلامه وعمله ونجواه في سبيل إصلاح شأن هذه الأمّة ..

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النِّساء : ١١٤]

.. فهل هناك من إصلاحٍ أكبر من إصلاح شأن الأمّة وجمعها فكراً وعقيدةً في صراطٍ واحد هو صراط الله تعالى ؟ ..

مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

الخاتمة

.. بعد الانتهاء من هذا البحث أصبحنا ننظر بوضوحٍ أكثر إلى حقيقة سنّة رسول الله ﷺ ، وأصبحنا أكثر اقتراباً من سكّتها ، وأكثر يقيناً بها ، وأصبحنا نرى أنّه ما زال أمامنا الكثير من العمل الخالص لوجه الله تعالى من أجل جعلها سبيل وحدة لهذه الأمّة للمِّ شملها وجمع شتاتها ..

وأرجو أن يكون هذا البحث برنامج عملٍ لكلِّ مذاهب الأمّة وطوائفها من أجل اتّجاهها جميعاً نحو السنّة الحقّ التي يريدها الله تعالى ورسوله ﷺ ، وبالتالي برنامج عمل لنقد الذات والتّحرّي المجرّد للحقيقة ، ونقطة البداية في الاتّجاه الصحيح ..

.. وكما قلنا فإنّ الدافع لهذا البحث هو أنّ عصبيّتنا للحق سبحانه وتعالى ولمنهجه أكبر من عصبيتنا للأشخاص وعصبيّات تمذهبهم ، وإنّ هذا البحث هو من أجل السنّة الشريفة لتحرّيها ورسم طريقها في بحر الروايات التي بين أيدينا ، ومن أجل حرق أشواك الاختلاف بين طوائف هذه الأمّة ومذاهبها .. ولسنا معنيين بما يتوهمه الآخرون الذين وقفت عصبيتهم جداراً يحول بينهم وبين رؤية الحقيقة المجرّدة عن هذه العصبيّة ..

.. علينا أن نتعامل مع المسائل وفق موضوعيّة منبثقة عن تعقُّل ما يطلب الله تعالى منّا تعقُّله ، وأن نكون أمّةً وسطاً لا تتأرجح فكراً وعقيدةً ومذهباً بين الأهواء المتناقضة ، وأن نعطي لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه .. فكون الصحابة ليسوا ملائكة لا يعني أنهم شياطين ، وكونهم ليسوا شياطين لا يعني أنهم ملائكة ، وكون بعض الروايات موضوعة في كتب الصِّحاح لا يعني إنكار هذه الصِّحاح ، وكون هذه الصِّحاح تحمل لنا الكثير من حياة الرسول ﷺ وأعماله ، لا يعني أنّ كلَّ ما هو واردٌ فيها سنّةٌ يُكفّر من لا يتّبعها ، وكون أهل البيت ظُلموا لا يعني أنّهم أصبحوا مشرِّعين لا يُأخذ المنهج إلاّ منهم ، وهذا لا يعني أن

مضطهديهم ملائكة لم يخطئوا ، ولا يعني أنّهم شياطين أرادوا قتل الحقيقة من أجل قتلها .. فالوسطيّة من روح هذه الأمّة وهي أمرٌ إلهيٌّ اتّباعُهُ عبادةٌ لله تعالى ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣]

.. وأخيراً أرجو المولى سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله سبيل هداية لمختلف مذاهب هذه الأمّة وطوائفها ، وأن يجعلنا ممن يستفيدون من دراسة التاريخ ، ويتعلمون من أخطائهم وأخطاء غيرهم ، حتى تكون لنا رؤيةٌ واضحةٌ للتاريخ المستقبل الذي ينتظرنا وينتظر أبناءنا دنيا وديناً ، لنكون — إن شاء الله تعالى — من الفائزين في الدنيا والآخرة .. والله تعالى وليُّ التوفيق ..

تمَّ بعون الله تعالى

في : ٢٤ رمضان عام : ١٤٢٠ هجري

الموافق : ١ / ١ / ٢٠٠٠ ميلادي



المراجع

ــ القرآن الكريم
ــ صحيح البخاري
ــ فتح الباري في شرح صحيح البخاري
ــ صحيح مسلم
ــ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي
ــ سنن الترمذي
ــ مسند أحمد
ــ سنن أبي داود
ــ سنن النَّسائي
ــ موطأ مالك
ــ سنن الدارمي
ــ سنن ابن ماجه
ــ البداية والنهاية
ــ جامع بيان العلم وفضله
ــ تذكرة الحفّاظ
ــ المنتقى من منهاج السنّة
ــ المحدث الفاصل
ــ تقييد العلم
ــ اللالئ المصنوعة
ــ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع
ــ ضحى الإسلام
ــ الكفاية
ــ مقدمة التمهيد لابن عبد البر
ــ تدريب الراوي
ــ الإلماع
ــ الباعث الحثيث
ــ تمييز المرفوع عن الموضوع
ــ توضيح الأفكار
ــ طبقات ابن سعد
ــ تراثنا الفكري للغزالي

الفهرس

مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

أخي القارئ

تمَّ تنضيد الكتب على عجل

وأيّ خطأ مطبعي

هو نتيجة الإسراع

في تنزيل هذه الكتب على النت

نزولاً عند رغبة الإخوة القرّاء

ونتيجة عدم مراجعتها

لذلك نعتذر

إن وُجدت بعض الأخطاء المطبعية

ونعد بتصحيحها لاحقاً بإذن الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي